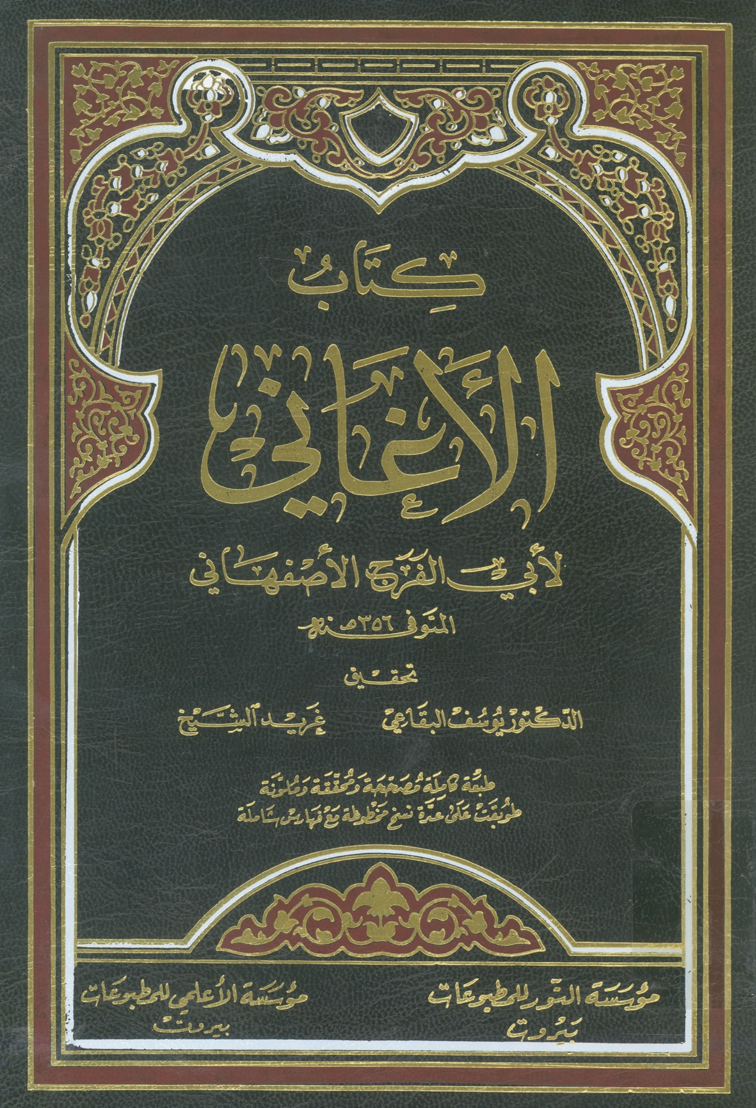


كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت

كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء السادس عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.

ملك الأعلمي - ص.ب ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY

Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON

P.O. BOX 7120

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبار شارية

[اسمها وأصلها وأخذها الغناء عن إبراهيم بن المهدي]

قال أبو الفرج عليّ بن الحسين: كانت شارية مولّدة من مولّدات البصرة، يقال إن أباها كان رجلاً من بني سامة بن لؤيّ المعروفين ببني ناجية، وأنه جحدها، وكانت أمّها أَمَة، فدخلت في الرِّقّ. وقيل بل سُرِقَتْ فبِيعَتْ، فاشترتها امرأة من بني هاشم، فأدّبتها، وعلّمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فأخذت غناءها كلّه أو أكثره عنه، وبذلك يحتجّ مَنْ يقدّمها على عَرِيب، ويقول: إن إبراهيم خَرَّجها، وكان يأخذها بصحّة الأداء لنفسه، وبمعرفة ما يأخذها به. ولم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبي(١) لم يكن يقارب إبراهيم في العلم، ولا يقاس به في بعضه، فضلاً عن سائره.

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قُرِيص: أنَّ ابن المعتزّ دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها، وقال له أن يرويه عنه، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب، وسمعته أنا عمن رويته عنه.

قال ابن المعتز: حَدَّثني عيسى بن هارون المنصوري: أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصريّة، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها. فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها. فقالت له مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار، وأنت أيها الأمير، أعزَّكَ

(١) المراكبي: هو عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ مولى عريب المأمونية المغنية (نهاية الأرب ٥:٩٦).

اللهُ، بها أحقّ. فقال: زِنُوا لها ما قالت. فوُزِنَ لها، ثم دعا بقيِّمته، فقال: خذي هذه الجارية ولا ترينيها سنة، وقولي للجواري يطرحنَ عليها. فلما كان بعد سنة أُخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها. فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه، وأراه إياها، وأسمعه غناءها. وقال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، وهي رخيصة بها. قال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا. قال: هذه الجارية التي عَرَضَتْها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار، فلم تقبل. فبقي إسحاق متحيّراً، يعجب من حالها وما انقلبت إليه.

وقال ابن المعتز: حَدَّثني الهشامي عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولّدة البصرة، وكانت لها أمّ خبيثة منكرة، تدّعي أنها بنت محمد بن زيد، من بني سامة بن لؤي. قال ابن المعتز: وحَدَّثني غيره، أنها كانت تَدَّعي أنها من بني زُهْرة.

قال الهشامي: فَجِيءَ بها إلى بغداد، وعُرِضَتْ على إبراهيم بن المهدي، فأُعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يعطِي بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي. إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق[1]، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجاباً شديداً، وليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخَزف، ونجمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت في شيء، اذهب إلى عليّ بن هشام، فأقرئه مني السّلام، وقل له: جعلني الله فداءك! قد عُرِضَتْ عليَّ جارية قد أخذت بمجامع قلبي، وليس عندي ثمنها، فأُحبُّ أن تقرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إن ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلِمَ تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بدَّ أن نكسوها، ونقيم لها ما تحتاج إليه.

فصرت إلى عليّ بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، وقال له: ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، وقل له: أنا لا أصلك، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة. قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعتُ عليه بالخلافة، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

وكانت أمّها خبيثة، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهي، ذهبت إلى

(١) الدانق: سُدس الدّرهم.

عبد الوهاب بن عليّ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

قال ابن المعتز: وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصريّ، صاحب إبراهيم بن المهدي: أن إبراهيم وَجَّهَ به إلى عبد الوهاب بن علي، في حاجة كانت له، قال: فلقيته وانصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة. فلمّا نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري أن المرأة هي أم شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، وقلت له: أدرك، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، وهي من تعلم، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أُشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك. وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دُواد[1]، وإحضار مَنْ قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. وأمر بإخراج شارية، فخرجت، فقال لها: أسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت. فقال لها: تَسَمَّي. فقالت: أنا شارية أَمَتُكَ. فقال لهم: تأمّلوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإني أُشهدكم أنها حُرَّة لوجه الله تعالى، و أنّي قد تزوّجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهديّ، أرضيتِ؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به عليّ. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطَيَّبهم وانصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دُواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن عليّ، فأقرأ عمّه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترَض عليَّ طاعتك، وصيانتك عن كلّ ما يُعِرُّكَ، إذ كنتَ عمّي، وصِنو[2] أبي، وقد رفعتْ إليّ امرأة من قريش قصّة، ذكرت فيها أنها من بني زُهرة صَليبة[3]، وأنها أمّ شارية، واحتجّتْ بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أَمَة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في

---

(١) ابن أبي دُواد: هو أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الإيادي، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م) ترجمته في (وفيات الأعيان ١: ٢٢، وتاريخ بغداد ٤: ١٤١).

(٢) الصِّنْوُ: الشقيق، والشبيه.

(٣) صليبة: محضاً.

أن شارية بنتها، وأنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أَمَة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند مَنْ تثقُ به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ من جعلتَها عنده بإطلاقها، وكان في ذلك الحظّ لك في دينك ومروءتك؛ وإن لم يصحّ ذلك، أُعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن. فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هَبْ شارية بنت زُهْرة بن كلاب، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها؟ فقال عبد الوهاب: لا. فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه السّلامة، وأخبره أن شارية حرّة، وأنّي قد تزوّجْتها بشهادة جماعة من العدول.

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دُواد. فشمَّ منهم من رائحة الطِّيب ما أنكره، فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية، وتزوّج إبراهيم إيّاها. فركب إلى المعتصم، فحدّثه بالحديث معجّباً له منه. فقال: ضَلَّ سَعْيُ عبد الوهاب. ودخل عبد الوهاب على المعتصم، فلمّا رآه يمشي في صحن الدّار، سدّ المعتصم أنف نفسه، وقال: يا عبد الوهاب، أنا أشمُّ رائحة صوف مُحْرَق، وأحسب أن عمّي لم يقنعه ردّك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها، فشمِمْتُ رائحتها منك. فقال: الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح.

ولمّا انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، ٱبتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية، بعشرة آلاف درهم، وستر ذلك عنها، فكان عتقه إيّاها وهي في ملك غيره، ثم ٱبتاعها من ميمونة، فحلَّ له فرجُها، فكان يطؤها على أنها أَمَته، وهي تتوهّم أنّه يطؤها على أنها حُرَّة. فلمّا توفّي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثُّمن، فأظهرت خبرها. وسُئِلَتْ ميمونة وهبة الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصم. فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار، فحوّلت إلى داره، فكانت في ملكه حتى تُوفِّي.

قال ٱبن المعتز: وقد قيل إن المعتصم ٱبتاعها بثلثمائة ألف درهم.

قال: وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم ٱقترض ثمن شارية من ابنته، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين، فربّاها تربية الولد، حتى لقد ذكرت أنها كانت في حجره جالسة، وقد أُعجِبَ بصوت أخذته منه، إذ طُمِثت أوّل طمثها، فأحسَّ بذلك، فدعا قَيِّمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام، فلفه عليها، فقال:

احمليها، فقد ٱقشعرت، وأحسب برد الحُشّ[١] قد آذاها.

قال: وحدّثت شارية أنها كانت معه في حَرَاقة[٢] قد توسَّطَ بها دجلة، في ليلة مقمرة، وهي تغنّي إذ ٱندفعت فغنّتْ: [مجزوء الوافر]

لَـقَـدْ حَـثُّـوا الـجِـمَـالَ لِـيَـهـــ ـربـوا مِـنَّـا فـلـم يَـئِـلُـوا[٣]

فقام إليها، فأمسك فاها، وقال: أنت والله أحسن من الغريض وجهاً وغناءً، فما يؤمنني عليك؟ أمسِكي.

قال: وحدّث حمدون بن إسماعيل: أنه دخل على إبراهيم يوماً، فقال له: أتحبُّ أن أُسمعك شيئاً لم تسمعه قطّ؟ قال: نعم. فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن تغنّي لحن إسحاق: [الرمل]

* هل بِالدِّيارِ الَّتي حَيَّيْتَها أَحَدُ؟ *

قال حمدون: فغنّتني شيئاً لم أسمع مثله قطُّ، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا. فقال: أتحبُّ أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون. فقال: بلى والله تقرّ بذاك. فقلت: على ٱسم الله. فغناه هو، فرأيت فضلاً عجيباً. فقلت: ما ظننتُ أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل. قال: أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك؟ فقلت: هذا الذي لا يكون. فقال: بلى والله. فقلت: فهات. قال: بحياتي يا شارية، قوليه وأحيلي حلقك فيه. فسمعت والله فضلاً بَيِّناً، فأكثرت التعجّب. فقال لي: يا أبا جعفر، ما أهون هذا على السّامع! تدري بالله كم مرّة رددت عليها موضعاً في هذا الصوت؟ قلت: لا. قال: فقل وأكثر. قلت: مائة مرّة. قال: أصعد ما بدا لكَ. قلت: ثلثمائة. قال: أكثر والله من ألف مرّة، حتى قالته كذا.

قال: وكانت رَيِّق تقول: إن شارية كانت إذا ٱضطربت في صوت، فغاية ما عنده من عقوبتها، أنه يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي يريد، ضرَبت[٤] رَيِّق.

---

(١) الحُشّ: البستان.
(٢) الحراقة: سفينة كبيرة تستعمل عادة في الحروب وترمي الأعداء بالنيران.
(٣) لم يَئِلوا: لم يرجعوا.
(٤) أحيلي حلقك: حَوّليه من حال إلى حال ارتفاعاً وانخفاضاً.
(٥) ضربت: أخذت العود من شارية وضربت به.

قال: ويقال: إنَّ شارية لم تضربْ بالعود إلاّ في أيام المتوكّل، لمّا اتصل الشرّ بينها وبين عريب، فصارت تقعد بها عند الضرب، فضربت هي بعد ذلك.

[تَمسُّكُ إبراهيم بها]

قال ٱبن المعتزّ: وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم، المعروف بسهل الأحول، وكان قاضي الكتّاب في زمانه، وكان يكتب لإبراهيم، وكان شيخاً ثقة، قال: أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها. فعاتبتُه على ذلك، فلم يجبني بشيء. ثم دعاني بعد أيام، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة. فأحضره الغلام سَفُّوداً[1] فيه ثلاث فراريج، فرمى إليَّ بواحدة، فأكلتها وأكل اثنتين، ثم شرب رِطلاً وسقانيه، ثم أُتِيَ بسفّود آخر، ففعل كما فعل، وشرب كما شرب وسقاني، ثم ضَرَب سِتراً كان إلى جانبه، فسمعت حركة العِيدان، ثم قال: يا شارية تَغَنَّي. فسمعت شيئاً ذهب بعقلي. فقال: يا سهل، هذه التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا والله، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

قال: وكانت شارية تقول: إنَّ أباها من قريش، وإنها سُرِقَتْ صغيرة، فبيعت بالبصرة من ٱمرأة هاشمية، وباعتها من إبراهيم بن المهديّ. والله أعلم.

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: أمرني المعتزّ ذات يوم بِالمُقام عنده، فأقمت. فأمر فمُدَّتِ السِّتارةُ، وخرج من كان يغنّي وراءها، وفيهنّ شارية، ولم أكن سمعتها قبل ذلك، فاستحسنت ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتزّ: يا عبيد الله، كيف ما تسمع منها عندك؟ فقلت: حظّ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظّ الطَّرَب. فاستحسن ذلك، وأخبرها به فاستحسنته.

قال ٱبن المعتزّ: وأخبرني الهشاميّ، قال: قالت لي رَيِّق: كنت ألعب أنا وشارية بالنّرد بين يدي إبراهيم، وهو مُتَّكِىءٌ على مِخدّة ينظر إلينا، فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللّعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة. فاستوى إبراهيم جالساً، وقال: أراك تستخفّين بها، فوالله لا أحد يخلفكَ غيرها. وأومأ إلى حلقه بيده.

---

(١) السَّفُّود: حديدة دقيقة يُشَكُّ فيها اللحم ليشوى.

قال: وحدَّثني الهشاميّ، قال: حدّثني عمرو بن بانة، قال: حضرت يوماً مجلس المعتصم، وضُرِبَت الستارة، وخرجت الجواري، وكنت إلى جانب مخارق، فغنّتْ شارية، فأحسنت جِدّاً. فقلت لمخارق: هذه الجارية في حُسْنِ الغناء على ما تسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرّم[١] بها إبراهيم بن المهديّ؟ فقال لي: أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة مَنع إبراهيم بن المهديّ من ذلك.

قال عبد الله بن المعتزّ: وحدّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى، عن رَيِّق قالت: ٱستزار المعتصم من إبراهيم بن المهديّ جواريه، وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام، فنالته ضيقة. قالت: فتحمل ذهابنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقّعة، فجعلنا نَرى جواري المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة، فلم تستجمعْ إلينا أنفسنا حتى غنّوا وغنّينا، فطربَ المعتصم على غنائنا، ورآنا أَمْثَل من جواريه، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التِّيهِ والصَّلَفِ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

[حُسْنُ غنائها]

قال: وحدّثني أبو العبيس، عن أبيه قال: كانت شارية أحسن الناس غناءً، منذ توفّي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

قال أبو العبيس: وَحَدَّثتني رَيِّق أن المعتصم ٱفْتَضَّها، وأنها كانت معها في تلك اللّيلة.

قال أبو العُبَيس: وحدّثتني طِباع جارية الواثق: أنَّ الواثق كان يسميها سِتي. وكانت تعلم فريدة، فلم تبق في تعليمها غاية، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحداً بعدها، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتاً إلاّ نقصت من نغمه. وكان المعتمد قد تعشَّق شرة جاريتها، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفّة روح، وعجز عن شرائها. فسأل أمّ المعتز أن تشتريها له، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار، وأهدتها إليه. ثم تزوّجت بعد وفاة المعتمد

(١) يتحرّم: يجعلها من حرمه بعد أن يعتقها ويتزوّجها.

بابن البقال المغني، وكان يتعشّقها، فقال عبد الله بن المعتز، وكان يتعشّقها:

[الطويل]

أَقُولُ وقد ضَاقَتْ بِأحزانِهَا نَفْسِي ... ألاَ رُبَّ تَطْلِيقٍ قَرِيبٍ مِنَ العُرْسِ
لَئِنْ صِرْتِ لِلبَقَّالِ يَا شَرَّ زوجةٍ ... فلا عجب قد يَرْبُضُ الكَلْبُ في الشَّمْسِ

وقال يعقوب بن بنان: كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف، فلمَّا بلغه رحيل موسى بن بُغا من الجبل يريده، بسبب قتله المعتز، أودع شارية جوهره. فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح، استترت شارية عند هارون بن شعيب العُكْبَرِي، وكان أنظف خلق الله طعاماً، وأسراه مائدة، وأوسخه كلّ شيء بعد ذلك؛ وكان له بِسُرَّ مَنْ رأى منزل، فيه بستان كبير، وكانت شارية تسمّيه أبي، وتزوره إلى منزله. فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه، حتى الحصير الذي تقعد عليه.

قال: وكانت شارية من أكرم النّاس، عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاق[١] في وقت، فاقترض منها على غير رهن، عشرة آلاف دينار، ومكثت عليه أكثر من سنة، ما أذكرته بها، ولا طالبته، حتى رَدَّها ابتداءً.

قال يعقوب بن بنان: وكان أهل سُرَّ مَنْ رَأى متحازِبين، فقوم مع شارية، وقوم مع عَرِيب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، ولا أصحاب هذه في هؤلاء. فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عَرِيبياً، فدعا عليّ بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، وعنده عرِيب وجواريها. فاتّصَلَ الخبر بشارية، فبعثت بجواريها إلى عليّ بن الحسين بعد يوم أو يومين، وأمرت إحداهن، وما أدري من هي: مِهرجانُ، أو مطربُ، أو قمريّة، إلا أنها إحدى الثلاثة، أن تغني قوله:

[مجزوء الخفيف]

لا تَعُودَنَّ بَعْدَهَا ... فَتَرى كيفَ أَصْنَعُ

فلمّا سمع عليّ الغناء ضحك، وقال: لست أعود.

قال: وكان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن يأكل إلاّ طعامها. فمكثت دهراً من الدهور تعدّ له في كل يوم جُوْنتين[٢]، وكان طعامه منهما في أيام المتوكّل.

---

(١) أضاق: فقد ماله وافتقر.

(٢) الجُونة: سلّة صغيرة مستديرة مغطّاة بالجلد يوضع فيها الطيب وتستعمل لوضع الطعام.

قال ابن المعتز: وحدّثني أحمد بن نعيم عن رَيِّق، قالت: كان مولاي إبراهيم يسمّي شارية بنتي، ويسميني أختي.

حدَّثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوماً، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه: [الكامل]

يـا طُـولَ عِـلَّـةِ قَـلْـبِـيَ الـمُـعْـتَـادِ إِلْـفَ الـكِـرَامِ وصُـحْـبَـةَ الأَمْـجَـادِ

فقال لها: أحسنتِ واللهِ. فقالت: هذا غنائي وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسية؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة، فحمل ذلك إليها. فقال لي علي بن يحيى المنجّم: اجعل انصرافك معي. ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا. فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام، فتصفحناها كلها؛ فما وجدنا أحداً قبله فعل ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت [الكامل]

يـا طُـوْلَ عِـلَّـةِ قَـلْـبِـيَ الـمُـعْـتَـادِ إِلْـفَ الـكِـرَامِ وصُـحْـبَـةَ الأَمْـجَـادِ
مَـا زِلْـتُ آلَـفُ كُـلَّ قَـرْمٍ مَـاجِـدٍ مُـتَـقَـدِّمِ الآبَـاءِ والأجـدادِ[(١)]

الشعر لإبراهيم بن المهدي، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حَدَّثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدثني محمد بن مالك الخزاعيّ، قال: حدّثتني مُلَح العطّارة، وكانت من أحسن الناس غناء، وإنما سُمِّيَت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيّب، قالت: غَنَّت شاريةُ يوماً بين يدي المتوكّل وأنا واقفة مع الجواري: [السريع]

بِـاللهِ قُـولُـوا لِـي لِـمَـنْ ذا الـرَّشَـا الـمُـثْـقَـلُ الـرِّدْفِ الـهَـضِـيـمُ الـحَـشَـا[(٢)]

(١) القَرْم: السيّد المعظّم.

(٢) الرَّشأ: ولد الغزالة الذي قَوِيَ ومشى مع أمّه. والهضيم الحشا: الضامر البطن.

أَظْـرَفُ مـا كَـانَ إذا مـا صَـحَـا ... وأَمْـلَـحُ الـنَّـاسِ إذا مـا انْـتَـشَـى
وقـد بَـنَـى بُـرْجَ حَـمَـام لـه ... أَرْسَـلَ فـيـه طَـائِـراً مُـرْعَـشَـا
يـا لَـيْـتَـنِـي كُـنْـتُ حَـمَـامـاً لـه ... أو بَـاشِـقـاً يـفـعـلُ بـي مـا يَـشَـا
لـو لَـبِـسَ الـقُـوهِـيَّ مِـنْ رِقَّـةٍ ... أَوْجَـعَـهُ الـقُـوهِـيُّ أو خَـدَّشَـا[1]

وهو هَزَج، فطرب المتوكل، وقال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت: أخذته من دار المأمون، ولا أدري لمن هو. فقلت له: أنا أعلم لمن هو. فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك سراً. قال: أنا في دار النساء، وليس يحضرني إلا حُرَمي، فقوليه. فقلت: الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه، وغنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلاً، ثم قال: لا يسمعْ هذا منك أحد.

صوت

[الطويل]

أُحِبُّكِ يَا سَلْمَى على غَيْرِ رِيبَةٍ ... ومـا خَـيْـرُ حُـبٍّ لا تَـعِـفُّ سَـرَائِـرُهْ
أُحِـبُّـكِ حُـبّـاً لا أُعَـنِّـفُ بَـعْـدَهُ ... مُـحِـبّـاً، ولَـكِـنِّـي إذا لِـيـمَ عَـاذِرُهْ
وقد مَاتَ حُبِّي أَوَّلَ الحُبِّ فَانْقَضَى ... ولو مِتُّ أَضْحَى الحُبُّ قد مَاتَ آخِرُهْ
ولَمَّا تَنَاهى الحُبُّ في القَلْبِ وَارِداً ... أَقَـامَ وسَـدَّتْ فـيـه عَـنْـهُ مَـصَـادِرُهْ

الشعر للحسين بن مُطَير الأسدي، والغناء لإسحاق: هزج بالبنصر.

---

(١) القوهيّ: لفظ فارسي، وهو ضربٌ من الثياب منسوب إلى قوهستان.

أخبار الحسين بن مُطَير ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو الحسين بن مُطير بن مكمَّل، مولى لبني أسد بن خُزيمة، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد، وكان جده مكمل عبداً، فأعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأُعتق. وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون أنه كان من ساكني زُبالة[1]، وكان زِيُّهُ وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بَيِّن في شعره.

وممّا يدلُّ على إدراكه دولة بني أُميّة، ومدحه إيّاهم، ما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، عن مروان بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفيّ، والحسين بن مطير الأسديّ، في عِدَّة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعراً، وقف الوليدَ على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حَمَّاد الراوية. فلمّا وقفت بين يدي الوليد لأُنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة. فتهانف[2] الشيخ، ثم قال: يأبن أخي، أنا رجل أكلّمُ العامّة، وأتكلّم بكلامها. فهل تروي منْ

(١) زُبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق (معجم البلدان ٣:١٢٩).

(٢) تهانف: ضحك في فتور كضحك المستهزىء.

أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كلّه. إلاّ شعر ابن مقبل[(١)]، فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته: [الطويل]

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَيْ حبِرٍ فَوَاهِبٍ إلى مَا رَأى هَضْبَ القَلِيبِ المُضَيَّحُ[(٢)]

ثم جزت. فقال: قف. ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول. فقال: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا.

[شهرةُ أبياتِهِ ومدحه معن بن زائدة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن عليّ، ويحيى بن عليّ، قالوا: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدّثني أبي أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لمّا وَلِيَ اليمن وقد مدحه، فلمّا دخلَ عليه أنشده: [الطويل]

أَتَيْتُكَ إذ لم يَبْقَ غَيْرَكَ جَابِرٌ ولا وَاهِبٌ يُعْطِي اللُّها والرَّغَائِبَا[(٣)]

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن تَوْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة في مِسمع بن مالك: [الخفيف]

قَلَّدَتْهُ عُرَا الأُمُورِ نِزَارُ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ السَّرَاةُ البحورُ[(٤)]

قال: وأوّل هذا الشعر:

اظْعَنِي مِنْ هراةَ قد مَرَّ فيها حِجَجٌ مُذْ سَكَنْتِها وشُهُورُ[(٥)]
اظْعَنِي نحوَ مِسْمَعٍ تَجْدِيهِ نِعْمَ ذو المُنْثَنَى ونِعْمَ المَزُورُ[(٦)]
سَوْفَ يَكْفِيكِ إنْ نَبَتْ بكِ أرضٌ بِخُرَاسَانَ أو جَفَاكِ أميرُ[(٧)]

---

(١) هو تميم بن أُبَيّ بن مقبل، من بني العجلان، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وكان يهاجي النجاشي الشاعر (ت نحو ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م) ترجمته في: (خزانة البغدادي ١ :١١٣، والإصابة ١ :١٩٥).

(٢) حِبرٌ: جبل في ديار سُليم (معجم البلدان ٢ :٢١٢) وواهب: اسم جبل لبني سليم (معجم البلدان ٥ :٣٥٥) والقليب: ماء لبني ربيعة (معجم البلدان ٤ :٣٩٤)، والمُضَيَّح: جبل بنجد على شطّ وادي الجريب (معجم البلدان ٥ :١٤٦).

(٣) اللُّها: جمع اللُّهْوَة: الألف من الدنانير والدراهم، أو هي أفضل العطايا وأوسعها.

(٤) السَّراة: أعالي الناس.

(٥) هَرَاة: مدينة عظيمة من أمّهات مدن خراسان (معجم البلدان ٥ :٣٩٦). والحِجَج: جمع حِجّة: السنة.

(٦) ذو المثنّى: الذي يثني عنه قاصده بخير كثير.

(٧) نَبَتْ: تباعدتْ.

مِن بَنِي الحِصْنِ عَامِلِ بنِ بَرِيحٍ لا قَلِيلُ النَّدَى ولا مَنْزُورُ[١]
والَّذي يَفْزَعُ الكُمَاةُ إِلَيهِ حِينَ تَدْمَى مِنَ الطِّعَانِ النُّحُورُ[٢]
فاصْطَنِعْ يَابْنَ مَالِكٍ آلَ بَكْرٍ واجْبرِ العَظْمَ إِنَّه مَكْسُورُ

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأوّلها: [الطويل]

* حَدِيثُ رَيَّا حَبَّذَا إِدْلالُها *
* تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وما سُؤَالُها *
* عَنِ امْرِئٍ قد شَفَّهُ خَيَالُها *[٣]
* وَهي شِفَاءُ النَّفْسِ لو تَنَالُها *

يقول فيها يمدحه:

* سَلَّ سُيوفاً مُحْدِثاً صِقَالُها *
* صَابَ على أَعْدَائِهِ وَبَالُها *[٤]
* وعِنْدَ مَعْنٍ ذِي النَّدَى أمثالُها *

فاستحسنها، وأجزل صِلته.

أخبرني ابن عمار ويحيى بن عليّ، قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبي بكرٍ الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدِعبِل بن عليّ:

* أينَ الشَّبَابُ وأَيَّةً سَلَكا *

فاستحسنا قوله: [الكامل]

لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأسِهِ فَبَكَى

---

(١) النَّدى: العطاء. والمنزور: القليل التافه.
(٢) الكُماة: جمع الكمِيّ: الشجاع.
(٣) شَفَّه: أضعفه.
(٤) صاب: انصبَّ في غزارة.

فقال الأصمعيّ: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير: [الخفيف]

أيـنَ أَهْـلُ الـقِـبَـابِ بِـالـدَّهْـنَـاءِ أيـنَ جِـيـرَانُـنـا عـلـى الأحْـسَـاءِ[١]
فَـارَقُـونـا والأرضُ مُـلْـبَـسَـةٌ نُـو رَ الأَقَـاحِـي يُـجَـادُ بِـالأَنْـوَاءِ[٢]
كُـلَّ يَـوْمٍ بِـأُقْـحُـوانٍ جـديـدٍ تَـضْـحَـكُ الأرضُ مِـنْ بُـكـاءِ الـسَّـمَـاء

[المهدي يستمتع بشعره]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حَدّثني محمد بن القاسم الدينورِيّ، قال: حَدّثني محمد بن عمران الضّبيّ، قال:

قال المهدي للمفضل الضبيّ: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسديّ. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله: [الطويل]

وقـد تَـغْـدُرُ الـدُّنْـيَـا فَـيُـضْـحِـي فَـقِـيـرُهـا غَـنِـيّـاً ويَـغْـنَـى بـعـدَ بُـؤْسٍ فَـقِـيـرُهـا
فـلا تَـقْـرَبِ الأَمْـرَ الـحَـرَامَ فَـإِنَّـهُ حَـلاوَتُـه تَـفْـنَـى وَيَـبْـقَـى مَـرِيـرُهـا
وكـم قـد رَأَيْـنَـا مِـنْ تَـغَـيُّـرِ عِـيـشَـةٍ وأُخْـرَى صَـفَـا بـعـدَ ٱكْـدِرَارٍ غَـدِيـرُهَـا

فقال له المفضَّل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبيّ: قال المفضل الضبيّ: كنت يوماً جالساً على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليّ عشرة آلاف درهم، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساعٍ. وتخوّفته، لخروجي ـ كان ـ مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فدخلت منزلي، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين، وصِرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت، فردّ عليّ، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقياً فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها: [البسيط]

وإِنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـمُّ الـهُـدَاةُ بِـهِ كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نَـارُ[٣]

---

(١) الدهناء: من ديار بني تميم وهي سبعة أجبل من الرمل (معجم البلدان ٢: ٤٩٣).
(٢) يُجَاد: يكثر. والأنواء: جمع النَّوْء: المطر.
(٣) العَلَم: الجبل.

فأومأ إلى إسحاق بن بَزِيع، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه. فقلت: الصَّواب ما قاله أمير المؤمنين. ثم قال: حَدِّثْني يا مفضّل. قلت: أيّ الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال: حديث النساء. فحدّثته حتى انتصف النهار، ثم قال لي: يا مفضّل، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأوّل. ثم قال: ألهذين ثالث يا مفضل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله: [الطويل]

وكم قد رَأَيْنَا مِنْ تَغَيُّرِ عِيشَةٍ ... وأُخْرَى صَفَا بَعْدَ ٱكْدِرَارٍ غَدِيرُهَا

وكان المهديّ رقيقاً فاستعبر، ثم قال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: اقضِ دينك، وأصلِحْ شأنَكَ. فقبضتها وانصرفت.

[المهدي يجيزه ويكشفه]

أخبرني يحيى بن عليّ، عن عليّ بن يحيى إجازة، وحدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سوار بن الحارث الأسديّ، قال: أخبرني جدّي موسى بن مجمع، قال: قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها: [الطويل]

إليكَ أَمِيرَ المُؤمنينَ تَعَسَّفَتْ ... بِنَا البِيدَ هَوْجَاءُ النَّجَاءِ خَبُوبُ[1]
ولو لم يكنْ قُدَّامَها ما تَقَاذَفَتْ ... جِبَالٌ بها مُغْبَرَّةٌ وسُهُوبُ[2]
فَتًى هو مِنْ غَيْرِ التَّخَلُّقِ مَاجِدٌ ... ومِنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أديبُ
علا خَلْقُهُ خَلْقَ الرِّجَالِ وخُلْقُهُ ... إذا ضَاقَ أخلاقُ الرِّجالِ رَحِيبُ
إذا شاهدَ القُوَّادَ سَارَ أَمَامَهُمْ ... جَرِيءٌ على ما يتَّقُونَ وَثُوبُ
وإنْ غَابَ عنهم شَاهَدَتْهُمْ مَهَابَة ... بها يقهرُ الأعداءَ حينَ يغيبُ
يَعِفُّ ويستحيي إذا كان خَالياً ... كما عَفَّ واستحيا بحيثُ رقيبُ

(١) تعسّفت: سارت بغير قصدٍ ولا هداية، والبيد: جمع البيداء: الصحراء. والهوجاء: النّاقة المسرعة. والنَّجاء: الإسراع. والخَبوب: التي تسير الخَبَب وهو ضربٌ من العدو.
(٢) السُّهوب: جمع السَّهْب: من الأرض: البعيدة السهلة.

فلمّا أنشدها المهديّ أمر لَه بسبعين ألف درهم وحصان جواد.

وكان الحسين من الثعلبية[1]، وتلك داره بها. قال ابن أبي سعد: وأرانيها الشيخ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحاق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مُطَير على المهدي، فأنشده قوله: [البسيط]

لو يَعْبُدُ النَّاسُ يا مَهْدِيُّ أَفْضَلَهُمْ ... ما كان في النَّاسِ إلاَّ أنتَ مَعبُودُ
أَضْحَتْ يَمِينُكَ مِن جُودٍ مُصَوَّرَةً ... لا بَلْ يَمِينُكَ منها صُوِّرَ الجُودُ
لو أَنَّ مِنْ نُورِهِ مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ ... في السّودِ طُرًّا إذنْ لأَبْيَضَّتِ السُّودُ

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي، قال: خرج المهديّ يوماً، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشدهُ قوله: [البسيط]

أضحتْ يمينُكَ مِنْ جُودٍ مُصَوَّرَةً ... لا بَلْ يَمينُكَ مِنْهَا صُوِّرَ الجُودُ

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعاً لأحد، بعد قولك في مَعْن بن زائدة حيث تقول: [الطويل]

أَلِمَّا بِمَعْنٍ ثمَّ قولا لِقَبْرِه ... سُقِيتَ الغَوَادِي مَرْبَعاً ثم مَرْبَعا[2]

أخرجوه عني، فأخرجوه.

وتمام الأبيات:

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كنتَ أوّلَ حُفْرَةٍ ... مِنَ الأرضِ خُطَّتْ لِلمكارمِ مَضْجَعا
أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كيفَ واريتَ جُودَهُ ... وقد كانَ منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا
بلى قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ مَيِّتٌ ... ولو كانَ حَيّاً ضِقْتَ حَتّى تَصَدَّعا
فَتًى عِيشَ في معروفِهِ بعد موتِهِ ... كما كانَ بعدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مُمْرِعا[3]

(١) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ٢: ٧٨).
(٢) الغوادي: جمع الغادية: السحابة التي تنشأ وتمطر غدوةً، والمَرْبَع: المطر في الربيع.
(٣) المُمْرِع: المخصِب.

أَبَى ذِكْرُ مَعْنٍ أَنْ تَموتَ فِعَالُهُ وإنْ كان قد لاَقَى حِمَاماً ومصرَعا

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ قال: حدّثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه، فقال لعبد الله بن طاهر: يا أبا العباس، مَنْ أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً. فقال له: على ذاك فقل، وتكلّم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول: [الطويل]

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ خِطَّةٍ مِنَ الأرضِ خُطَّتْ لِلمَكارِمِ مَضْجَعا

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول: [الكامل]

وَقَفَ الهَوَى بي حَيْثُ أَنْتِ فليسَ لي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ ولا مُتَقَدَّمُ[1]

فقال: أبيت يا أحمد إلاّ غزلاً! أين أنتم عن الذي يقول:

يا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حكمٍ نِمْتَ عن لَيْلي ولَمْ أَنَمِ[2]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو خليفة عن التَّوزِي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله: [الطويل]

مخصرةُ الأوساطِ زَانَتْ عُقُودَها بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْها عُقُودُها
فَصُفرٌ تَرَاقِيها، وحُمْرٌ أَكُفُّها وسُودٌ نَواصِيها، وبِيضٌ خُدودُها[3]

[وَصْفٌ لسحَابَةٍ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال: كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة، فدخل عليه

(١) البيت لأبي الشيص.
(٢) البيت مطلع قصيدة لأبي نواس.
(٣) التراقي: جمع التَّرْقُوة: العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر. والنواصي: جمع الناصية: شعر مقدَّم الرأس إذا طال.

الحسين بن مطير، فقيل له: هذا مِنْ أشْعَرِ الناس. فأراد أن يختبره، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جَوْد. فقال له: صف هذه السحابة. فقال: [الكامل]

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ ... بِمَدَامِعٍ لم تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ[١]
فَلَهُ بلا حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ... ضَحِكٌ يُرَاوِحُ بينه وبُكَاءُ
كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ وَدْقِهِ أَطْبَاؤُهُ ... فَإذا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ[٢]
وكَأَنَّ بَارِقَهُ حريقٌ تَلْتَقِي ... رِيحٌ عليه وَعرْفَجٌ وأَلاءُ[٣]
لو كانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُه ... لم يبقَ في لُجَجِ السَّواحِلِ مَاءُ

صوت

[الهزج]

إذا مَا أُمُّ عَبْدِ اللَّـ ... ـهِ لَمْ تَحْلُلْ بَوَادِيهِ
ولَمْ تُمْسِ قَرِيباً هيـ ... ـجَ الحزن دَوَاعِيه
غَزَالٌ رَاعَهُ القَنَّا ... صُ تَحْمِيهِ صَيَاصِيهِ[٤]
ومَا ذِكْرِي حَبِيباً و ... قليلٌ مَا أُوَاتِيهِ
كَذِي الخَمْرِ تَمَنَّاها ... وقَدْ أُنْزِفَ سَاقِيهِ[٥]
عَرفتُ الرَّبْعَ بِالإكليـ ... ـلِ عَفَّتْهُ سَوَافِيهِ[٦]
بِجَوٍّ نَاعِمِ الحَوْذَا ... نِ مُلْتَفٍّ رَوَابِيهِ[٧]

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاريّ، وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير، وباقيها ليزيد بن معاوية. ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر

---

(١) مَرَى الدمع: أرسله. والأقذاء: جمع القذى: ما يقع في العين من الغبار الناعم.
(٢) الوَدْق: المطر. والأطباء: جمع الطبي: ثدي الحيوان.
(٣) العرفج: ضرب من النبات الطيّب الرائحة ليس له حبّ ولا شوك. والألاء: جمع الألاءة: شجر دائم الخضرة له ثمر.
(٤) راعه: أخافه. والصّياصي: أعالي الجبال.
(٥) أُنزف: ذهب عقله كلّه.
(٦) الإكليل: اسم موضع (معجم البلدان: ١:٢٤٠) وعَفَّته: محته. والسّوافي: جمع السّافية، من الرياح: التي تحمل التراب وتنثره.
(٧) الجوّ: الوادي المتّسع، والحَوْذان: نبات عشبيّ له زهر أصفر في أصله حمرة.

أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيبانيّ؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، وخالد بن كلثوم، نسخته من كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان. وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية، قال:

فبحتُ اليومَ بِالأمرِ الّـ ... ـذِي قد كنتُ أُخفيهِ
فَإن أكْتُمهُ يَوماً ... فَإنِّي سوفَ أُبْدِيهِ
وما زِلتُ أُفَدِّيهِ ... وأُدْنِيهِ وأُرْقِيهِ
وأَسْعَى في هَوَاهُ أ ... بداً حَتَّى أُلاقِيهِ
فَبَاتَ الرِّيمُ مِنِّي حَـ ... ـذراً زلتْ مَرَاقِيه[1]

والغناء لمعبد: خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وذكره إسحاق في خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، ولم ينسبه إلى أحد، وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهِشاميّ وحنين.

---

(١) المراقي: الأرجل.

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

[٢ ـ ٦٥ هـ/ ٦٢٣ ـ ٦٨٤ م]

[اسمه ونسبه وأخباره]

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلاّس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج. وأمّه عَمْرة بنت رَواحة، أخت عبد الله بن رواحة، التي يقول فيها قيس بن الخطيم: [المتقارب]

أَجَدَّ بِعَمْرَةَ غُنْيَانُها فتَهْجُرَ أمْ شَأنُنا شَأنُها[1]
وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَا ءِ تنفحُ بِالمِسْكِ أَرْدَانُها[2]

وله صحبة بالنبيّ ﷺ، ولأبيه بشير بن سعد، وكان جاء إلى النبيّ ﷺ ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما فردّهما.

وأبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه، ثم توالت الأنصار فبايعته. وشهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأُحُداً والخندق والمشَاهد كلّها، واستشهد يوم عين التمر[3] مع خالد بن الوليد.

وكان النعمان عثمانياً، وشهد مع معاوية صِفّين، ولم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه، رفِيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده، وعمّر إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولّى حِمص. فلمّا بويع لمروان، دعا إلى ابن الزبير،

(١) غنيانها: استغناؤها عن زوجها.
(٢) سَرَوات النساء: أشرافهنّ. والأردان: جمع الرُّدْن: طرف الكُمّ الواسع.
(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة (معجم البلدان ٤: ١٧٦).

وخالف على مروان، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط. فلم يجبه أهل حِمص إلى ذلك، فهرب منهم، وتبعوه فأدركوه فقتلوه، وذلك في سنة خمس وستين.

ويقال إن النعمان بن بشير أوّل مولود وُلِدَ بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إيّاها. وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلاّ أن النعمان أوّل مولود ولد بعد مقدمه ﷺ من الأنصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ ﷺ كثيراً.

حَدَّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء، قال: حدّثني أبو بكر بن أبي شَيْبة، قال: حدّثنا عباد بن العوّام، عن الحصين، عن الشعبيّ، قال:

سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطانِي أبي عطيّة، فقالت أمي عمرة: لا أرضى حتى تُشهِدَ رسول الله ﷺ. فأتى رسولَ الله فقال: ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتْني أن أُشهدك. فقال: أعطيتَ كل ولدك مثل هذا؟ قال: لا. فقال: فاتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا محمد بن سعيد، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان عثمانياً، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في عليّ عليه السلام. فأبى النعمان أن ينفذها لهم، فكلّموه وسألوه بالله، فأبى أن يفعل. وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن. وكان يقول: لا ترون على منبركم هذا أحداً بعدي يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ. فصعد المنبر يوماً فقال: يا أهل الكوفة. فصاحوا: ننشدك الله والزيادة. فقال: اسكتوا. فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: لا. قال: مثل الضّبع والضّب والثّعلب: فإن الضبع والثعلب أتيا الضّبّ في وِجاره، فنادياه: أبا الحِسْل. فقال: سميعاً دعوتما. قالا: أتيناك لتحكم بيننا. قال: في بيته يؤتى الحَكَم. قالت الضبع: إني حللت عَيْبَتي. قال: فِعلَ الحرّة فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: طَيِّباً لقطتِ. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بِجُرْمِه. قالت: فلطمني. قال:

حُرٌّ أنتصر. قالت: فاقضِ بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث أمرأة حديثين، فإن أبت فعشرة»[(١)].

فقال عبدُ الله بن هَمَّام السَّلولي: [الطويل]

زِيـادَتَـنـا نُـعْـمَـانَ لا تَـحْـبِـسَـنْـهَـا خَفِ اللهَ فِينا والكِتَابَ الَّذي تَتلو
فـإنَّـكَ قـد حُـمِّـلْـتَ مِـنَّـا أمـانـةً بما عجِزَتْ عنه الصَّلاخِمَةُ البُزْلُ[(٢)]
فـلا يَـكُ بَـابَ الـشَّـرِّ تـحـسـنُ فتحَهُ وبـاب الـنَّـدَى والـخَـيِّـراتِ لـه قـفـلُ
وقد نِلْتَ سُلطاناً عَظِيماً فلا يكنْ لِغَيْرِكَ جَمَّات النَّدى ولكَ البخلُ
وأنـتَ أمْـرؤٌ حُـلْـوُ الـلِّـسـانِ بَـلـيـغُـهُ فـمـا بَـالـه عـنـد الـزِّيـادَةِ لا يَـحْـلـو
وقـبـلـكَ قـد كـانـوا عـلـيـنـا أَئِـمَّـةً يَـهُـمّـهُـمُ تـقـويـمُـنـا وهـم عُـصْـلُ[(٣)]
إذا نـصـبـوا لـلـقـولِ قـالـوا فـأحْـسَـنُـوا ولـكـنَّ حُـسْـنَ الـقَـوْلِ خَـالَـفَـهُ الـفِـعـلُ
يـذمّـونَ دُنـيـاهُـم وهُـمْ يُـرضـعُـونَـهـا أَفَـاوِيـقَ حَـتَّـى مـا يـدرَّ لـهـم ثَـعْـلُ[(٤)]
فـيَـا مَـعْـشَـرَ الأنـصـارِ إنِّـي أَخُـوكُـمْ وإنّـي لِـمـعـروفٍ أنَـى مـنـكـمُ أهـلُ[(٥)]
ومِـنْ أجـلِ إيـواءِ الـنَّـبِـيِّ ونَـصْـرِهِ يُـحِـبُّـكُـمُ قَـلْـبِـي وغَـيـرُكُـمُ الأصـلُ

فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألاَّ يتقرّب، فوالله لا أُجيزها ولا أُنفِذها أبداً.

[النعمانُ يَشْهَدُ لعزّة الميلاء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال: حدّثني شيخ قديم من أهل المدينة. وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزوميّ. وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسِيّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه،

---

(١) هذا مثل في مجمع الأمثال للميداني ٢:١٣ على لسان الأرنب والثعلب والضَّبّ وهو: «حَدّث امرأة حديثين فإن أبت فعشرة». وهو يُضرَب مثلاً لسوء الفهم.
(٢) الصّلاخمة: جمع الصلخم: الجمال الصعبة الشديدة. والبُزْل: جمع البازل: البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة.
(٣) العُصْل: جمع الأعصل: المعوجّ.
(٤) الأفاويق: جمع أفواق: جمع فِيقة: اسم اللّبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين. والثعل: خلف زائد صغير في أخلاف الناقة لا يدرّ من اللبن شيئاً.
(٥) أَنَى: حان.

قال: ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسيّ قال:

دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير، فقال: والله لقد أخفقتْ أُذناي من الغِناء، فأسمِعوني. فقيل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء، فإنّها من قد عرفت. فقال: إي ورب الكعبة، إنها لممن تزيد النفس طيباً، والعقل شحذاً. ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبتْ صِرت إليها. فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتدّ عليها، لثقل بدنها، وما بالمدينة دابّة تحملها. فقال النعمان بن بشير: وأين النّجائب عليها الهوادج؟ فوجه إليها بِنُجُبٍ، فذكرت علّة. فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا. فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها. فأذِنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها، وقال لها: غَنّي، فغنّتْ:

صوت [المتقارب]

أَجَــدَّ بِـعَـمْــرَةَ غُـنْـيَــانُـهــا ... فـتَـهْـجُـرَ أَمْ شَــانُــنــا شَــانُــهــا
وَعَــمْــرَةُ مِــن سَــرواتِ الــنِّــسَــا ... ءِ تـنـفَـحُ بِـالـمِـسْـكِ أردانُـهـا

قال: فأُشير إليها أنها أمّه، فأمسكت. فقال: غَنّي، فوالله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً، ولا تغنّي سائر اليوم غيره. فلم تَزلْ تغنّيه هذا اللّحن فقط حتى انصرف.

قال إسحاق: فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفة؟ فقلنا: بلى، يا أبا عبد الرحمن. فقال: قال لقيط ونحن عند سعيد الزبيريّ، قال عامر الشعبيّ: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء، فصار إلى منزل عَزَّة المَيْلاء، فلما انصرف إذا آمرأة بالباب منتظرة له، فلمّا خرجَ شكتْ إليه كثرة غِشيان زوجها إيّاها، فقال النعمان: لأقضين بينكما بقضيّة لا تُردُّ عَلَيَّ، قد أحلَّ الله له من النساء أربعاً: مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتان بالنهار، ومرتان بالليل.

[نعمانُ الندى ونعمانُ النار]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدّثني عَمّي، عن العباس بن هشام، عن أبيه؛ وأخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبي. وأخبرني عَمّي قال: حَدّثنا الكرانِيّ قال: حَدَّثني العُمَرِيّ عن الهيثم بن عدي، قالوا: خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها

حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حِمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له. فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه. فقال: أعطوه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له: أَعْطِهِ إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان: [الطويل]

ولم أرَ لِلحَاجَاتِ عندَ الْتِمَاسِها كَنعمانَ نعمانِ النَّدَى ابن بشيرِ
إذا قَالَ أَوْفَى ما يقولُ ولم يَكُنْ كَمُدْلٍ إلى الأقوام حَبْلَ غُرورِ
متى أكفرِ النّعمانَ لا أُلْفَ شاكراً وما خَيْرُ مَنْ لا يقتدي بِشَكُورِ
فلولا أخو الأنصارِ كنتُ كنازلٍ ثَوَى مَا ثَوَى لم ينقلبْ بنَقيرِ(١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة، قال: حَدّثنا يحيى الزبيريّ قال: حَدّثني ابن أبي زريق، قال: شبّب عبد الرحمن بن حسان برَمْلة بنت معاوية، فقال: [الخفيف]

رَمْلَ هل تذكرينَ يومَ غَزَالٍ إذ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنّي
إذ تقولينَ عَمْرَكَ اللهَ هل شيءٌ وإنْ جَلَّ سوفَ يُسْلِيكَ عَنّي
أَمْ هَلْ اطمِعْتُ منكم يابنَ حَسّا نَ كما قد أراكَ أُطْمِعْتَ مِنّي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العِلج من أهل يثرب، يتهكّم بأعراضنا، ويشبّب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن أمهل حتى يقدَم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلمّا قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنكَ شبّبتَ برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لَذَكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإنَّ لها لأُختاً يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرضَ يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجُعَيل، فقال: اُهجُ الأنصار. فقال: أَفْرَقُ من أمير المؤمنين، ولكن أدلّكَ على هذا الشاعر

(١) نقير: موضع بين هجر والبصرة (معجم البلدان ٥: ٣٠١).

الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهجُ الأنصار. فقال: أفرَقُ من أمير المؤمنين. قال: لا تخفْ شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال: [الكامل]

وإذا نَسَبْتَ ابْنَ الفُرَيْعَةَ خِلْتَهُ كَالجَحْشِ بينَ حِمَارةٍ وحِمَارِ[1]
لعنَ الإلهُ مِنَ اليهودِ عِصابةً بالجِزْعِ بين صُلَيْصِلٍ وصُدَارِ[2]
قومٌ إذا هَدَرَ العَصِيرُ رَأيْتَهُمْ حُمْراً عُيُونُهُمُ مِنَ المُسْطَارِ[3]
خَلُّوا المَكَارِمَ لَسْتُمُ مِنْ أهْلِها وخُذُوا مَسَاحِيكُمْ بَنِي النَّجَّارِ[4]
إنَّ الفَوَارِسَ يعرفونَ ظهورَكُمْ أَوْلادَ كُلِّ مُقَبَّحٍ أَكَّارِ[5]
ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالمَكارِمِ والعُلاَ واللُّؤمُ تحتَ عَمَائِمِ الأنْصَارِ

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: بل أرى كرماً وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أوَ فعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أُتي به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أُرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جَمْرتنا[6]؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، وهو المدّعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبيِّنة، فإن أثبتَ شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأتِ بها، فخلَّى سبيله، فقال الأخطل: [الطويل]

وإنّي غَداةَ اسْتَعْبَرَتْ أُمُّ مَالِكٍ لَرَاضٍ مِنَ السُّلْطَانِ أنْ يَتَهَدَّدا
ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وسَعْيُهُ تَجَلَّلْتُ حِدْباراً مِنَ الشَّرِّ أنْكَدا[7]

---

(١) ابن الفريعة: كنية حسّان بن ثابت الأنصاري والفريعة: أمه وهي فريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان.
(٢) صليصل: تصغير صلصل: موضع بنواحي المدينة نزل بها الرسولﷺ يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح (معجم البلدان ٣:٤٢١). وصُدَار: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٣:٣٩٧).
(٣) المُسْطار والمصطار: لغتان في الخمر التي اعتصرت حديثاً من أبكار العنب.
(٤) المساحي: جمع المسحاة: المجرفة من الحديد يُجرف بها الطين، وبنو النجّار: فريق من أهل المدينة وهو ينعتهم بأنهم حَرّاثون.
(٥) الأكّار: الحرّاث الزّارع.
(٦) الجمرة: الجماعة.
(٧) تجلّلتُ: علوت. والحدبار من النوق: الضامرة الهزيلة التي بدا عظم ظهرها، وهو كناية عن الأمر الصعب.

فكم أَنْقَذَتْنِي مِنْ خُطوبٍ حِبَالُهُ وخَرْساءَ لو يُرْمَى بها الفِيلُ بَلَّدَا[١]
ودَافَعَ عَنِّي يومَ جِلَّقَ غمرة وهَمّاً يُنَسِّيني الشَّرَابَ المُبَرَّدا[٢]
وبَاتَ نَجِيّاً في دِمَشْقَ لِحَيَّةٍ إذا هَمَّ لم يَنَمِ السَّلِيمُ وأقْصَدَا[٣]
يُخَافِتُهُ طَوْراً، وطَوْراً إذا رَأى مِنَ الوَجْهِ إِقْبَالاً أَلَحَّ وأَجْهَدا
أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتَ عَنِّي عظيمةً وأَدْرَكْتَ لَحْمِي قبلَ أن يَتَبَدَّدا
وأطفأتَ عَنّي نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَما أَغَذَّ لأَمْرٍ فاجرٍ وتَجَرَّدا[٤]
ولَمَّا رَأى النُّعْمَانُ دُوني ابنَ حُرَّةٍ طَوَى الكشحَ إذ لم يَسْتَطِعْنِي وعَرَّدا[٥]

حدّثني عَمّي، قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال: لَمَّا أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادِّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آوَوا رسول اللهﷺ ونصروه؟ قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدله على الأخطل.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب، قال: لَمَّا كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي، وتفاحشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي وهو عامله على المدينة، أن يجلدَ كلّ واحد منهما مئة سوط، وكان ابن حسان صديقاً السعيد، وما مدح أحداً غيره قطّ، فكره أن يضربه أو يضرب ٱبن عمّه، فأمسكَ عنهما. ثم وَلي مروان، فلمّا قدم أخذ ٱبن حسان فضربه مئة سوط، ولم يضرب أخاه. فكتب ٱبن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام، وكان كبيراً أثيراً مكيناً عند معاوية: **[الخفيف]**

ليتَ شِعْرِي أَغَائِبٌ ليسَ بِالشَّا مِ خَلِيلِي أَمْ رَاقِدٌ نعمانُ
أَيَّةً ما يَكُنْ فقدْ يرجِعُ الغَا ئِبُ يَوْماً ويُوقَظُ الوَسْنَانُ

---

(١) الخرساء: الداهية.
(٢) الغمرة: الشدّة.
(٣) السّليم: اللَّديغ. وأقصدت: عضّت فقتلت.
(٤) أغذَّ: أسرع.
(٥) عَرَّد: انحرف.

إنَّ عـمـراً وعـامـراً أَبَـوَيْـنَـا وحَرَاماً قِدْماً عَلَى العَهْدِ كَانوا
أَفَـهُـمْ مَـانِـعُـوكَ أَمْ قِـلَّـةُ الـكُـتَّـابِ أَمْ أَنْـتَ عـاتِـبٌ غَـضْـبَـانُ
أَمْ جَـفَـاءٌ أَمْ أَعْـوَزَتْـكَ الـقَـراطيـسُ أَمَ ٱمـري بِـهِ عَـلَـيْـكَ هَـوانُ
يَـوْمَ أُنْـبِـئْـتَ أَنَّ سَـاقِـيَ رُضَّـتْ وَأَتَـتْـكُـمْ بِـذلِـكَ الـرُّكْـبَـانُ
ثُـمَّ قَـالُـوا إِنَّ ٱبْـنَ عَـمِّـكَ فِـي بَـلْـوى أُمُـورٍ أَتَـى بِـهَـا الـحِـدْثَـانُ
فَـنـسيت الأَرْحَـامَ والـودَّ والـصحْـبَـةَ فـيـمـا أَتَـتْ بِـهِ الأَزْمَـانُ
إِنَّـمَـا الـرُّمْـحُ فَـاعْـلَـمَـنّ قَـنَـاةٌ أَوْ كَـبَـعْـضِ الـعـيـدانِ لَـوْلا الـسِّـنَـانُ

وهي قصيدة طويلة، فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة، فلم يفعل، ثم ولّيت أخاه، فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه: قال: فتريد ماذا؟ قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد. فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة. فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحُلة، وسأله أن يعفو عن خمسين. ففعل، وقال لأهل المدينة: إنما ضربني حَدّ الحرّ مئة، وضربه حد العبد خمسين. فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم. فجاء إلى أخيه فأخبره، وقال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان. فبعث إليه مروان: لا حاجةَ لنا فيما تركت، فهلمّ فاقتصَّ من صاحبك. فحضر فضربه مروان خمسين أُخرى.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائنيّ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب: أن معاوية تزوّجَ امرأة من كَلْب، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عَمّك هذه. فأتتها فنظرت إليها، ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلها، ولقد رأيت خالاً تحت سرّتها ليوضَعنَّ تحت مكانه في حجرها رأس زوجها. فتطيَّرَ من ذلك، فتزوّجها حبيب بن مسلمة، ثم طلّقها، فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

[خبر مقتله]

قالوا: وكان النعمان بن بشير لما قُتِلَ الضّحاكُ بن قيس بمَرْج راهط، في خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملاً عليها، فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزّوا رأسه. فقالت امرأته هذه

الكلبيّة: أَلقوا رأسه في حجري، فأنا أحقُّ به، فألقوه في حجرها، فضمّته إلى جسده، وكَفَّنته ودفنته.

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخزاعيّ، قال: حَدَّثنا أبو غسان دماذ، قال: حَدّثنا أبو عبيدة، قال: نظر معاوية إلى رجل في مجلسه، فراقه حسناً وشارة[١] وجسماً، فاستنطقه فوجده سديداً. فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين. قال: عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثير عددها، التي لا تمنع مَن دخل فيهم، ولا تبالي من خرج منهم. فغضب النعمان بن بشير، ووثب من بين يديه، وقال: أما والله إنك ما علمتُ لسيّىء المجالسة لجليسك، عاقّ بِزَوْرِكَ[٢]، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك. فأقسم عليه إلاَّ جلس فجلس. فضاحكه معاوية طويلاً، ثم قال له: إن قوماً أولهم غسان وآخرهم الأنصار، لكرام، وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضي.

[أَوَّلُ شِعْرِهِ]

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه: أخبرنا ابن حبيب، قال: قال خالد بن كلثوم: خرج النعمان بن بشير في ركبٍ من قومه وهو يومئذ حديث السنّ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حَفير[٣]، وحاضرتها بنو القَين، فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى، هديّة. فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعراً؟ قال: لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِماك: لم تقل شعراً قطّ؟ قال: لا. قال: فأُقسم عليك لَتَرْبَطَنّ إلى هذه السَّرْحة[٤]، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم، أو تقول شعراً. فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله: [الخفيف]

يَا خَلِيلَيَّ وَدِّعَا دَارَ لَيْلَى ... لَيْسَ مِثْلِي يَحِلُّ دارَ الهَوَانِ
إِنَّ قَيْنِيَّةً تَحِلّ مُحِبّاً ... وَحَفِيراً فَجَنْبَتَيْ تَرْفُلان[٥]

---

(١) الشارة: الهيئة.
(٢) الزَّوْر: الزّائر.
(٣) حفير: نهر بالأردن من منازل بني القين بن جسر (معجم البلدان ٢: ٢٧٧).
(٤) السَّرحة: الشجرة الكبيرة.
(٥) محب وحبيب وترفلان: مواضع بالشام (معجم البلدان ٢: ٢٣).

لا تُؤَاتِيكَ فِي المَغيبِ إذا مَا ... حَالَ مِنْ دونِهَا فُروعُ قَنَانِ[1]
إنَّ لَيْلَى وَلَوْ كَلِفْتَ بِلَيْلَى ... عَاقَهَا عَنْكَ عَائِقٌ غيرُ وَانِ

قال: وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل. ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص. فلما رآها عرفها، فأنشأ يقول:

[الطويل]

ألاَ اسْتَأْذَنَتْ لَيلى فَقُلْنَا لَهَا لِجِي ... وَمَا لَكِ ألاَ تَدْخُلِي بِسَلامِ
فَإِنَّ أُنَاساً زُرْتِهِمْ ثُمَّ حَرَّمُوا ... عَلَيْكِ دخولَ البَيْتِ غَيْرَ كِرَامِ

وأحسن صلتها، ورفدها[2] طول مقامها، إلى أن رحلت عنه.

أخبرني عَمّي، قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حَدّثني محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من الأنصار، قال: حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة ـ وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان ـ فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال له عمرو: ما هذا اللّقب يا أمير المؤمنين؟ اردُد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إني أخاف من ذلك الشُّنعة. فقال: هي كلمة تقولها، إن مضت عضتهم ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلاّ الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظراً منكراً، فقال له: باعدتَ جداً. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل أحد فقال له معاوية: أُخرجْ فقلْ: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدمُهم النعمان بن بشير وهو يقول:

[الكامل]

يا سَعْدُ لا تُعِدِ الدُّعَاءَ فَمَا لَنَا ... نَسَبٌ نُجِيبُ بِهِ سِوى الأَنْصَارِ
نَسَبٌ تَخَيَّرَهُ الإِلٰهُ لِقَوْمِنَا ... أَثْقِلْ بِهِ نَسَباً عَلَى الكُفَّارِ
إنَّ الَّذِينَ ثَوَوْا بِبَدرٍ مِنْكُمُ ... يَوْمَ القَلِيبِ هُمُ وُقودُ النَّارِ

(١) قَنَان: جبل بأعلى نجد (معجم البلدان ٤:٤٠١).

(٢) الرِّفد: العطاء.

فقال معاوية لعمرو: قد كنّا أغنياء عن هذا.

والنعمان بن بشير هو من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً، جدّه شاعر، وأبوه شاعر، وعمّه شاعر، وهو شاعر، وأولاده وأولاد أولاده شعراء.

فأما جَدّه سعد بن الحصين فهو القائل: [البسيط]

إنْ كُنْتِ سَائِلَةً والحَقُّ مَعْتَبَةٌ ... فَالأَزْدُ نِسْبَتُنَا والمَاءُ غَسَّانُ[1]
شُمُّ الأُنُوفِ لَهُمْ عِزٌّ وَمَكْرمَةٌ ... كانَتْ لَهُمْ مِنْ جِبَالِ الطَّوْدِ أَرْكَانُ[2]

وعَمّه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد، القائل: [الطويل]

إذَا لَمْ أَزُرْ إلاَّ لآكُلَ أَكْلَةً ... فَلاَ رَفَعَتْ كَفِّي إِلَيَّ طَعَامِي
فَمَا أَكْلَةٌ إنْ نِلْتُهَا بِغَنِيمَةٍ ... ولا جَوْعَةٌ إنْ جِعْتُهَا بِغَرامِ

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول: [الطويل]

لِعَمْرَةَ بالبَطحاءِ بينَ مُعَرَّفٍ ... وبين المَطَافِ مسكنٌ ومَحاضِرُ[3]
لَعَمْرِي لَحَيٌّ بينَ دَارِ مُزَاحِم ... وبين الجُثَا لا يجشمُ السيرَ حَاضرُ[4]
وحَيٌّ حِلالٌ لا يُرَوَّعُ سَرْبُهُمْ ... لهم مِنْ وَراءِ القَاصياتِ زَوَافِرُ[5]
أَحَقُّ بها من فِتيةٍ وركائبٍ ... يُقَطِّعُ عنها اللَّيْلَ عُوجٌ ضَوَامِرُ[6]
تقولُ وتُذْرِي الدَّمْعَ عن حُرِّ وَجْهِهَا ... لَعَلَّكَ نفسي قبلَ نَفْسِكَ باكرُ
أَبَاحَ لها بِطريقُ فارسَ غَائِطاً ... لها من ذُرا الجَوْلانِ بَقْلٌ وزَاهِرُ[7]
فَقَرَّبْتُهَا لِلرَّحْلِ وهي كأَنَّها ... ظَلِيمُ نَعَامٍ بالسَّمَاوَةِ نَافِرُ

---

(١) غسّان: ماء بسدّ مأرب باليمن، أو هو ماء بالمشلل قريب من الجحفة (معجم البلدان ٤: ٢٠٣).
(٢) الطَّوْد: هو الجبل المشرف على عرفة، وجبال الطود هي جبال السّراة (معجم البلدان ٤: ٤٦).
(٣) البطحاء: هي بطحاء مكة، ومعرّف: موضع الوقوف بعرفات (معجم البلدان ١: ٤٤٦). والمطاف: حيث يطوف الناس بالبيت.
(٤) الجُثا: الحجارة التي توضع على حدود الحرم وهو موضع بين فدك وخيبر، أو هو جبل من جبال أجأ (معجم البلدان ٢: ١١٠).
(٥) الحِلال: المقيمون بأرضهم. والسَّرْب: المال الراعي من الإبل أو الماشية. والقاصيات: جمع قاصية: اسم موضع، والزوافر: جمع الزافرة: الرهط والعشيرة والأنصار.
(٦) العوج: جمع الأعوج والعوجاء: ما كان في يديه عوج من الإبل والخيل وهي من الصفات المستحسنة.
(٧) الغائط: المكان المنخفض.

فـأوردتُـهـا مـاءً فـمـا شَـرِبَـتْ بـه سِوَى أنَّهُ قد بُلَّ منها المَشَافِرُ(١)
فـبَـاتَـتْ سُـرَاهـا لـيـلـةً ثـم عَـرَّسَـتْ بـيـثـربَ والأعـرابُ بَـادٍ وحـاضـرُ(٢)

قال خالد بن كلثوم: ودخل النعمان بن بشير على معاوية لمّا هجا الأخطل الأنصارَ، فلما مَثَلَ بين يديه أنشأ يقول: [الطويل]

مُـعَـاويَ إلاّ تُـعْـطِـنَـا الـحَـقَّ تَـعْـتَـرِفْ لِحَيِّ الأَزْدِ مَشْدوداً عَلَيْهَا العَمَائِمُ
أَيَـشْـتِـمُـنـا عـبـدُ الأراقـم ضَـلَّـةً وماذا الَّذي تُجْدِي عليكَ الأَرَاقِمُ(٣)
فـمـا لِـيَ ثَـأْرٌ غَـيْـرَ قـطـعِ لِـسَـانِـهِ فَدُونَكَ مَنْ يُرضِيهِ عنكَ الدَّراهِمُ
وَأَرْعِ رُوَيْـداً لا تَـسُـمْـنَـا دَنِـيَّـةً لَـعـلَّـكَ فـي غِـبِّ الـحَـوَادِثِ نَـادِمُ
متـى تَـلْـقَ مِـنَّـا عُـصْـبَـةً خَـزْرَجِـيَّـةً أَوِ الأوس يَوماً تَخْتَرِمْكَ المَخَارِمُ(٤)
وتَـلْـقَـكَ خَـيْـلٌ كـالـقَـطَـا مُـسْـبَـطِـرّةٌ شَمَاطِيطُ أرسالٌ عليها الشَّكَائِمُ(٥)
يُـسَـوِّمُـهـا الـعَـمْـرَانِ عَـمْـرو بـن عـامـرٍ وعِـمْـرَان حَـتَّـى تُـسْـتَـبَـاحَ الـمَـحَـارِمُ
ويـبـدو مِـنَ الـخَـوْدِ الـغَـرِيـرَةِ حِـجْـلُـهـا وَتبْيَضُّ مِنْ هَوْلِ السّيوفِ المَقَادِمُ(٦)
فـتطلبُ شَـعْـبَ الـصَّـدْعِ بعد انْفِتَاقِهِ فـتـعـيَـا بـه فَـالآنَ والأمـرُ سَـالِـمُ
وإلاّ فَـبَـزِّي لأْمَـةٌ تُـبَّـعِـيَّـةٌ مَـواريـثُ آبَـائِـي وأبـيـض صَـارِمُ(٧)
وأجْـرَدُ خَـوَّارُ الـعِـنَـانِ كَـأَنَّـه بِـدُومَـةَ مـوشـيُّ الـذِّرَاعَـيْـنِ صـائـمُ
وأَسْـمَـرُ خَـطِّـيٌّ كَـأَنَّ كُـعـوبَـهُ نَوَى القَسْبِ فيها لَهْذَمِيٌّ ضُبارِمُ(٨)
فـإنْ كـنـتَ لـم تـشـهـدْ ببدرٍ وقـيـعـةً أذلَّـتْ قُـرَيْـشـاً والأنـوفُ رَوَاغِـمُ
فـسَـائِـلْ بِـنَـا حَـيَّـيْ لُـؤَيٍّ بـن غـالـبٍ وأنـتَ بـمـا تُـخْـفِـي مِنَ الأمـرِ عَـالِـمُ

(١) المشافر: جمع المشْفَر: شفة الجمل.
(٢) السُّرى: السير ليلاً. وعَرَّست: نزلت ليلاً للاستراحة من السفر.
(٣) الأراقم: أحياء من تغلب وهم ستة: جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب. وعبد الأراقم: يريد به عبد من الأراقم وهو الأخطل.
(٤) تخترمك: تهلكك. والمخارم: الطرق في الجبال.
(٥) مسبطرة: طويلة سريعة. والشماطيط: المتفرِّقة المتتابعة. والأرسال: جمع الرسل: بمعنى الشماطيط. والشكائم: جمع الشكيمة: حديدة اللّجام المعترضة في فم الفرس.
(٦) الخود: المرأة الشابة. والحِجل: الخلخال.
(٧) بزّي: سلاحي، اللأمة: الدرع.
(٨) الخطيّ: السيف المنسوب إلى الخَطّ (معجم البلدان ٢:٣٧٨)، والقَسْب: التمر اليابس الصّلب النوى. واللّهذمي: القاطع من السنان. والضُّبارم: الشديد الخلق من الأسود واستعاره وصفاً للرمح.

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يومَ بدرٍ سُيوفُنا ولَيلُكَ عَمَّا نابَ قومَكَ نائِمُ
ضَرَبْنَاكُمُ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ وطارَتْ أَكُفٌّ مِنْكُمُ وجَماجِمُ
وَعَاذَتْ على البيتِ الحرامِ عَوَانِسٌ وأنتَ على خَوْفٍ عليكَ تَمائِمُ
وعَضَّتْ قريشٌ بالأناملِ بِغْضَةً ومِنْ قَبْلُ ما عُضَّتْ علينا الأَبَاهِمُ
فكنّا لها في كلِّ أمرٍ تكيدُهُ مكانَ الشَّجَا والأمرُ فيه تفاقُمُ
فما إنْ رَمَى رَامٍ فَأَوْهَى صَفَاتَنا ولا ضَامَنا يوماً مِنَ الدَّهْرِ ضَائِمُ(١)
وإنِّي لأُغْضِي عن أمورٍ كثيرةٍ سَتُرْقَى بها يوماً إليكَ السَّلالِمُ
أُصَانِعُ فيها عبدَ شَمْسٍ وإنّني لتلكَ التي في النَّفْسِ مِنّي أُكَاتِمُ
فلا تَشْتُمَنَّا يابنَ حَرْبٍ فإنَّما تُرَقِّي إلى تلكَ الأُمورِ الأَشَائمُ
فما أنتَ والأَمْرَ الَّذي لَسْتَ أَهْلَهُ ولكنْ وليّ الحقِّ والأمرِ هَاشِمُ
إليهم يصيرُ الأمرُ بعد شتاتِهِ فَمَنْ لكَ بالأمرِ الَّذي هو لازِمُ
بهم شَرَعَ اللهُ الهُدَى واهْتَدَى بهم ومِنْهُمْ له هَادٍ إِمَامٌ وخَاتَمُ

قال: فلمّا بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه، فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، وأَرْضَوُا النعمان، حتى رضي وكفَّ عنه.

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، ولم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه، فدخل إلى معاوية، وأنشأ يقول:

[السريع]

يابنَ أبي سُفْيَانَ ما مِثْلُنا جَارَ عليه مَلِكٌ أو أَمِيرْ
اذكُرْ بِنَا مَقْدَمَ أَفْرَاسِنَا بالجِنْوِ إذ أنتَ إلينا فقيرْ(٢)
واذكُرْ غداةَ السَّاعِدِيِّ الَّذِي أَثْرَكُمْ بالأمرِ فيها بشيرْ(٣)
واحْذَرْ عليهم مثلَ بدرٍ فقد مَرَّ بكم يَومٌ بِبَدْرٍ عَسِيرْ
إنَّ ابنَ حَسَّانَ له ثائرٌ فأَعْطِهِ الحَقَّ تَصِحَّ الصّدورْ

---

(١) الصَّفَاة: الحجر الضخم الصلب.

(٢) الجِنْو: كلّ منعرج فهو جِنو، ويوم الجِنو: من أيام العرب وجِنو ذي قار وجِنو قُراقر واحد (معجم البلدان ٢: ٣١٢).

(٣) الساعدي: يريد اليوم السّاعديّ: نسبة إلى بني ساعدة من الأنصار أصحاب السقيفة وكان بشير بن سعد أبو النعمان أول أنصاري بايع أبا بكر بالخلافة.

ومِــثْــلُ أيَّــام لــنــا شَــتَّــتَــتْ ملكاً لكم أمرك فيها صغيرْ
أمــا تــرى الأزدَ وأشــيــاعَــهــا نحوَكَ خُزْراً كَاظِمَاتٍ تَزِيرْ[١]
يطوفُ حولي مِنْهُمُ مَعْشَرٌ إنْ صُلْتُ صَالُوا وهمْ لي نصيرْ
يَأبَى لنا الضَّيْمَ فلا يَعْتَلي عِزٌّ منيعٌ وعديدٌ كثيرْ
وعُنْصُرٌ في حُرٍّ جرثومةٍ عَادِيَّةٍ تنقلُ عنها الصُّخورْ[٢]

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن الهيثم الفِراسي، قال: حدّثني العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو دُرّة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً؟ ارددهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، ولا مردّ لها. فقال له معاوية: اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: اخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول: [الكامل]

يا سعدُ لا تُعِدِ الدُّعَاءَ فما لنا نَسَبٌ نُجيبُ به سِوَى الأنصارِ
نَسَبٌ تَخَيَّرَهُ الإلهُ لِقَوْمِنَا أَثْقِلْ به نَسَباً على الكُفَّارِ
إنَّ الَّذينَ ثَوَوا ببدرٍ مِنْكُمُ يومَ القَلِيبِ هُمُ وقودُ النَّارِ

وقام مغضباً وانصرف. فبعث معاوية فردّه. فترضّاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار.

[من أشعارِهِ]

ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

[الطويل]

إذا ذُكِرَتْ أمُّ الحُوَيْرِثِ أَخْضَلَتْ دُمُوعِي على السِّربالِ أربعة سَكْبَا

(١) تزير: تزأر (بتخفيف الهمزة).
(٢) الجرثومة: الأصل. وعاديّة: قديمة نسبة إلى عاد.

كَأَنِّي لمّا فَرَّقَتْ بيننا النَّوَى أُجَاوِرُ في الأغلالِ تَغْلِبَ أو كَلْبَا
وكُنَّا كَمَاءِ العينِ والجَفْنِ لا تَرَى لِوَاشٍ بَغَى نَقْضَ الهَوَى بيننا إِرْبا
فَأَمْسَى الوُشَاةُ غَيَّروا وُدَّ بيننا فلا صِلَةً تَرْعَى لَدَيَّ ولا قُرْبَى
جَرَى بيننا سَعْيُ الوُشَاةِ فَأَصْبَحَتْ كَأَنِّي ـ ولم أذنبْ ـ جَنَيْتُ لها ذَنْبَا
فإنْ تَصْرِمِينِي تَصْرِمِي بِيَ وَاصِلاً لَدَى الوُدِّ مِعْرَاضاً إذا ما النَّوَى صَعْبَا
عَزُوفاً إذا خَافَ الهَوَانَ عَنِ الهَوَى ويَأْبَى فلا يُعْطِي مَوَدَّتَهُ غَضْبَا
فإنْ أَسْتَطِعْ أَصْبِرْ وإنْ يغلبِ الهَوَى فمِثْلُ الَّذي لاقيتُ كَلَّفَني نُصْبَا(١)

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أُخرى، وأوّلها: [المتقارب]

أَهَيَّجَ دَمْعَكَ رَسْمُ الطَّلَلْ عَفَا غَيْرَ مُطَّرِدٍ كَالخِلَلْ(٢)
نَعَمْ فاسْتَهَلَّ لِعرفانِهِ يَسِحُّ ويَهْمِي بِفَيْضٍ سَبَلْ(٣)
دِيارُ الأُلوفِ وأَتْرَابِها وأنتَ مِنَ الحُبِّ كالمُخْتَبَلْ
لَيَالِيَ تَسْبِي قلوبَ الرِّجا لِ تحتَ الخُدورِ بِحُسْنِ الغَزَلْ
مِنَ النَّاهِضَاتِ بِأَعْجَازِهِـ نَّ حينَ يقومُ جَزِيلُ الكَفَلْ(٤)
كَأَنَّ الرُّضَابَ وصَوْبَ السَّحا بِ بَاتَ يُشَابُ بِذَوْبِ العَسَلْ(٥)
مِنَ اللَّيْلِ خالَطَ أنيابَها بُعَيْدَ الكَرَى واخْتِلافِ العَلَلْ(٦)

أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال: [الكامل]

وكَأَنَّ طارقَها على عَلَلِ الكَرَى والنَّجْمُ وَهْناً قد دَنَا لِتَغَوُّرِ(٧)
يَشْتَمُّ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ بِسَحِيقِ مِسْكٍ في ذَكِيِّ العَنْبَرِ

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وَأَرْوَعَ ذِي شَرَفٍ حَازِمٍ صَرُومٍ وَصُولٍ حِبَالَ الخُلَلْ(٨)

(١) النّصب: التعب والمرض.
(٢) الخِلَل: جمع خِلّة: بطانة يُغَشّى بها جفن السيف تنقش بالذهب.
(٣) السَّبَل: المطر.
(٤) الكَفَل: الرِّدف.
(٥) الصَّوب: المطر.
(٦) اختلاف العَلَل: حدوث النوم بعد النوم.
(٧) الطارق: الزائر ليلاً.
(٨) الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. والخُلَل: جمع الخلّة: الحبيبة.

كَـرِيـم الـبَـلاءِ صَـبُـورُ الـلِّـقَـا ءِ صَـافِـي الـثَّـنَـاءِ قَـلـيـل الـعَـذَلْ
عَـظِـيـم الـرَّمَـادِ طَـوِيـلُ الـعِـمَـا دِ وَارِي الـزِّنَـادِ بَـعِـيـد الـقَـفَـلْ[1]
أَقَـمْـتُ لـه وَلأَصْـحَـابِـهِ عَـمـودَ الـسُّـرَى بِـذَمُـولٍ رَمَـلْ[2]
مُـدَاخَـلَـةٍ سَـرْحَـةٍ جَـسْـرَةٍ عـلـى الأَيْـنِ دَوْسَـرَةٍ كَـالـجَـمَـلْ[3]

[من قال من أبناء النعمان شعراً]

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل:

[مجزوء الكامل]

مَـاذا رَجَـاؤُكَ غَـائِـبـاً مَـنْ لا يَـسُـرُّكَ شَـاهِـدا
وإذا دَنَـوْتَ يَـزِيـدُه مِـنْـكَ الـدُّنُـوُّ تَـبَـاعُـدا

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر، وهو القائل في قصيدة طويلة: [الطويل]

وشَادَ أبونا الشَّيْخُ عَمْرُو بن عَامِرٍ بِـأَعْلَى ذُرا الـعـلـيـاءِ رُكْـنـاً تَـأَثَّـلا
وخَطَّ حِيَاضَ المَجْدِ مُتْرَعَةً لنا مِـلاءً فَـعَلَّ الصَّفْوَ منها وأَنْهَلا
وأَشْرَعَ فيها النَّاس بَعْدُ، فما لهم مِنَ المَجْدِ إلاَّ سُؤْرُهُ حين أَفْضَلا[4]
وفي غَيرِنا مَجْدٌ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأمّا كَمِثْلِ العُشْرِ مِنْ مَجدِنَا فلا

وله أشعار كثيرة لم أحبّ الإطالة بذكرها.

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مُجيد، وهو القائل من قصيدة طويلة، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده، أوّلها: [البسيط]

يا قلبُ صَبْراً جَمِيلاً لا تَمُتْ حُزْنَا قد كُنْتَ مِنْ أَنْ تُرَى جَلْدَ القُوَى قَمِنَا[5]

---

(١) القَفَل: الرجوع من أماكن الغزو البعيدة.
(٢) العمود: طريق السير. والذَّمول: الناقة تسير الذميل، وهو ضرب من سير الإبل. والرَّمَل: ضربٌ من السير السريع.
(٣) المداخلة: المكتنزة. والسّرحة: الطويلة الجسم والجسرة: الضخمة. والأين: التعب. والدَّوسرة: الضخمة الشديدة.
(٤) أشرع الناسُ بعده: وردوا حياض المجد بعده. والسؤر: البقية تبقى في الحوض أو غيره.
(٥) قمناً: جديراً.

يقول فيها:

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُزْجِي مَطِيَّتَهُ ... لُقِّيتَ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ الثَّنَا الحَسَنا
أَبْلِغْ أُمَيَّةَ أَعْلاَهَا وأَسْفَلَهَا ... قَولاً يُنَفِّرُ عن نُوَّامِهَا الوَسَنا
إنَّ الخِلافَةَ أمرٌ كان يُعْظِمُهُ ... خيارُ أَوَّلِكُمْ قِدْماً وَأَوَّلُنا
فقد بَقَرْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ بُطُونَكُمُ ... وقَدْ وُعِظْتُمْ فما أَحْسَنْتُمُ الأَذْنا[1]
أَغْرَيْتُمُ بِكُمُ جَهْلاً عَدُوَّكُمُ ... في غَيْرِ فائدةٍ فاسْتَوسَقُوا سَنَنا[2]
لَمَّا سَفَكْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ دِمَاءَكُمُ ... بَغْياً وغَشَّيْتُم أَبْوابَكُمْ دَرَنا

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد، أخو النعمان، شاعر مكثر، وهو القائل في قصيدة طويلة: **[الطويل]**

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانُ الحُدُوجِ البَوَاكِرِ ... كَنَخْلِ النُّجَيْرِ الشَّامِخَاتِ المَوَاقِرِ[3]
على كُلِّ فَتْلاَءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ ... وأَعْيَسَ نَضَّاخِ المَهَدِّ عُذَافِرِ[4]
نَعَمْ فَاسْتَدَرَّتْ عَبْرَةَ العَيْنِ لَوْعَةً ... وما أنتَ عن ذِكْرَى سُلَيْمَى بِصَابِرِ
ولم أَرَ سَلْمَى بعدَ إذ نَحْنُ جِيرةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ وَقْفَةً بِالمَشَاعِرِ
أَلاَ رُبَّ لَيْلٍ قد سَرَيْتُ سَوَادَهُ ... إلى رُدُحِ الأَعْجَازِ غُرِّ المَحَاجِرِ[5]
لَيَالِيَ يَدْعُونِي الصِّبَا فَأُجِيبُهُ ... أَجُرُّ إِزَارِي عَاصِياً أَمْرَ زَاجِرِي
وإذ لِمَّتِي مِثْلُ الجَنَاحِ أَثِيثَةٌ ... أُمَشِّي الهُوَيْنَى لا يُرَوَّعُ طَائِرِي
فَأَصْبَحْتُ قد وَدَّعْتُكُمْ بغيره ... مَخَافَةَ رَبِّي يومَ تُبْلَى سَرَائِرِي

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حُميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها. وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه: **[المتقارب]**

كُهُولُ دِمَشْقَ وشُبَّانُهَا ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الجَالِيَهْ[6]

---

(١) الأَذَن: الاستماع.

(٢) استوسقوا: اجتمعوا. والسَّنَن: الطريق الواضح.

(٣) النجير: ماء في ديار بني تميم (معجم البلدان ٥ :٢٧٢)، والمواقر: جمع موقرة: ذوات الأحمال.

(٤) الأعيس: الذي فيه أدمة. والنَّضَّاخ: الفَوَّار: والمَهَدّ: هو هدير الفحل. والعذافر: الصلب الشديد.

(٥) الرُّدُح: جمع الرّداح: الضخمة.

(٦) الجالية: القوم الذين جلوا عن بلادهم.

صُمَاحُهُمُ كَصمَاحِ التُّيُو سِ أَعْيَا على المِسْكِ والغَالِيَهْ[١]
وقَمْلٌ يَدُبُّ دَبِيبَ الجَرَادِ أَكَارِيسَ أَعْيَا على الفَالِيَهْ[٢]

فطلّقها. فتزوّجها رَوْح بن زِنْباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذي زوّجها من رَوح، وتقول: [الوافر]

أَضَلَّ اللهُ حِلْمَكَ مِنْ غُلاَمٍ مَتَى كَانَتْ مَنَاكِحَنَا جُذَامُ
أَتَرْضَى بِالأَكَارِعِ والذُّنَابَى وقد كُنَّا يَقِرُّ لنا السَّنَامُ

وقالت تهجو رَوحاً: [الطويل]

بَكَى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكرَ جِلْدَهُ وعَجَّتْ عَجِيجاً مِن جُذَامَ المَطَارِفُ
وقَال العَبَاءُ نحنُ كنّا ثِيابَهُمْ وأَكْسِيَةٌ كَدْرِيَّةٌ وقَطَائِفُ[٣]

فطلّقها رَوح، وقال: سَلَّطَ اللهُ عليك بعلاً يشرب الخمر ويقيئها في حجرك. فتزوّجت بعده الفيض بن أبي عَقيل الثقفيّ، وكان يسكر ويقيء في حجرها. فكانت تقول: أُجيبت فِيَّ دعوة روح. وقالت في الفيض: [البسيط]

سُمِّيتَ فَيْضاً وما شَيءٌ تَفيضُ به إلاَّ بِسَلْحِكَ بينَ البَابِ والدَّارِ
فتلكَ دَعْوَةُ رَوْحِ الخَيْرِ أَعْرِفُها سَقَى الإِلهُ صَدَاهُ الأَوْطَفَ السَّارِي[٤]

وقالت فيه: [الطويل]

وَهَلْ أَنَا إلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَها بَغْلُ
فَإنْ نُتِجَتْ مهراً كريماً فَبِالحَرَى وإنْ كَانَ إقْرَافٌ فَمَا أنجبَ الفَحْلُ[٥]

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها، وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لمّا تزوّج الحجاج أخته هنداً، وهي القائلة لما تزوّج الحجّاج أختها أم أبان:

[الرجز]

قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ أَنْ تَنْكِحيهِ مَلِكاً أو ذا تَاجْ

---

(١) الصُّماح: العرق المنتن.

(٢) أكاريس: جمع أكراس: جمع كِرَاس: الجماعة من كلّ شيء.

(٣) العباء: نوع من ثياب الأعراب الخشن الغليظ. والقطائف: جمع قطيفة: ثوب يلقيه الرجل على نفسه.

(٤) الأوطف: السحاب المسترخي لكثرة مائه.

(٥) أقرف الفرسُ: كان أحد أبويه عربياً والآخر غير عربيّ.

إذا تَـذَكَّـرْتُ نِـكـاحَ الـحَـجَّـاجْ تَـضَـرَّمَ الـقَـلْـبُ بِـحُـزْنٍ وَهَّـاجْ
وفَـاضَـتِ الـعـيـنُ بِـمَـاءٍ ثَـجَّـاجْ لـو كـانَ نـعـمـانُ قَـتِـيـلُ الأَعْـلاجْ
مُسْتَوِيَ الشَّخْصِ صَحِيحَ الأَوْدَاجْ مـا نِـلْـتَ مَـا نِـلْـتَ بِـخَـتْـلِ الـدُّرَاجْ[1]

فأخرجها الحجّاج من العراق، وَرَدَّها إلى الشأم.

صوت

[الكامل]

نَـفَـرَتْ قَـلُـوصِـي مـن حِـجَـارَةِ حَـرَّةٍ بُـنِـيـتْ عـلـى طَـلْـقِ الـيَـدَيْـنِ وَهُـوبِ
لا تَـنْـفُـرِي يـا نَـاقُ مـنـه فَـإِنَّـهُ شِـرِّيـبُ خَـمْـرٍ مِـسْـعَـرٌ لِـحُـروبِ
لا يَـبْـعَـدَنَّ رَبِـيـعَـةُ بـنُ مُـكَـدَّمٍ وسَـقَـى الـغَـوَادِي قـبـرَهُ بِـذَنُـوبِ[2]
لـولا الـسِّـفَـارُ وبُـعْـدُ خَـرْقٍ مَـهْـمَـهٍ لَـتَـرَكْـتُـهـا تَـحْـبُـو عـلـى الـعُـرْقُـوبِ[3]

يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاريّ، ويقال: إنه لضرار بن الخطّاب الفهريّ.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. ومن الناس من يرويها لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف الفهريّ، وعمرو بن شقيق أولى بها.

والغناء لمالك: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

(١) الختل: الخداع. والدُّرّاج: طائر شبيه بالحجل أرقط بسواد وبياض قصير المنقار.
(٢) ذنوب: اسم موضع (معجم البلدان ٣: ٨).
(٣) الخَرْق: الأرض الواسعة التي يشتدّ فيها هبوب الريح. والمهمه: الصحراء الواسعة.

أخبار مقتل ربيعة نسبه

[ربيعة بن مُكَدَّم وقصة مقتله]

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مُكدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فُرسان مُضَر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَمي في يوم الكَديد[١].

وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة؛ ونسخْته أيضاً من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم، فجمعتها ههنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارؤ[٢] بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سُلَيم بن منصور، ثم إنّهم ودَوْهما[٣]. ثم ضرب الدّهر ضَرَبانه[٤]، فخرج نبيشة بن حبيب السلميّ غازياً، فلقي ظُعُناً من بني كنانة بالكديد، في نفر من قومه، وبَصُر بهم نفر من بني فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفَرْعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدور يومئذ يُحمل في محفة، فلما رآهم أبو الفارعة، قال:

---

(١) الكديد: موضع بالحجاز، ويوم الكديد: من أيام العرب المشهورة (معجم البلدان ٤: ٤٤٢).
(٢) التدارؤ: التدافع في خصومة واختلاف.
(٣) وَدَى القاتلُ القتيلَ: دفع دِيَتَهُ.
(٤) ضَرَبان الدهر: مصائبه ونوائبه.

هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم علم القوم، فآتيكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما وَلّى، قال بعض الظعن: هرب ربيعة. فقالت أخته أم عزّة بنت مكدم: أين تنتهي نَفْرة[1] الفتى؟ فعطف وقد سمع قول النساء، فقال: [الرجز]

لَقَدْ عَلِمْنَ أَنَّني غَيْرُ فَرِقْ لأَطْعُنَنَّ طَعْنَةً وأَعْتَنِقْ[2]
أُعْمِلُ فيهم حينَ تَحْمَرُّ الحَدَقْ عَضْباً حُساماً وسِناناً يَأْتَلِقْ

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الظعن. وانفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة. ثم رماه نبيشة أو طعنه. فلحق بالظعن يستدمي، حتى أتى إلى أمّه أم سيار، فقال: اجعلي على يدي عصابة، وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

* شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أُمَّ سيارْ *
* لقد رُزِيتِ فَارِساً كالدِّينَارْ *
* يَطْعُنُ بِالرُّمْحِ أمامَ الأدبارْ *

فقالت أمّه: [الرجز]

إنَّا بَنُو ثعلبة بن مَالِكِ مُرَزأٌ أخيارُنَا كَذلِكِ
مِنْ بين مَقْتُولٍ وبين هَالِكِ ولا يكونُ الرّزءُ إلاَّ ذَلِك

قال أبو عبيدة: وشَدَّتْ أمُّه عليه عصابةً. فاستسقاها ماء، فقالت: إنك إن شربت الماء متَّ، فكُرَّ على القوم. فكَرَّ راجعاً يشد على القوم ويَذُبُّهم، ونزفه الدّم حتى أثخن، فقال للظعن: أَوْضِعن[3] ركابكنّ خلفي، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحيّ، فإني لما بي، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة. وأعتمد على رمحي، فلن يقدَموا عليكن لمكاني. ففعلن ذلك، فنجون إلى مأمنهن.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره. قال: وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة. قال: فاعتمد على رمحه، وهو واقف لهن على متن فرسه، حتى بلغن مأمنهن، وما تقدّم القوم عليه. فقال نُبيشة بن

(١) النفرة: الجماعة.
(٢) فَرِق: خائف.

حبيب: إنه لمائل العنق، وما أظنه إلا قد مات. فأمر رجلاً من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه. فرماها فقمصت وزالت، فمال عنها ميتاً. قال: ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة. فانصرفوا عنه، وقد فاتهم الظُّعُن.

قال أبو عبيدة: ولحقوا يومئذ أبا الفَرعة الحارث بن مكدم، فقتلوه، وألقَوا على ربيعة أحجاراً.

[رثاؤه]

فمرَّ به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أُهيلت على ربيعة. فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره، وحضَّ على قتلته، وعَيَّرَ من فَرَّ وأسلمه من قومه: [الكامل]

نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ ... بُنِيَتْ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ
لا تَنْفُرِي يا نَاقُ منه فإنَّه ... سَبَّاءُ خمرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ
لولا السِّفَارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو على العُرقُوبِ
فَرَّ الفوارسُ عن ربيعةَ بعدما ... نَجَّاهُمُ مِنْ غُمَّةِ المَكْرُوبِ
يَدْعُو عَلِيّاً حِينَ أسلمَ ظَهْرَهُ ... فلقدْ دَعَوْتَ هناكَ غَيْرَ مُجِيبِ
للهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ إنَّهُمْ ... لم يُحْمِشُوا غَزْواً كوَلْغِ الذِّيبِ[1]
نِعْمَ الفَتَى أدَّى نَبِيشَةُ بَزَّهُ ... يومَ الكَدِيدِ، نَبِيشةُ بنُ حبيبِ[2]
لا يَبْعَدَنّ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ

قال أبو عبيدة: ويقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مِرداس، أحد بني محارب بن فهر. وقال آخر: هو حسان بن ثابت. وقال الأثرم: أنشدني أبو عبيدة مرة أُخرى هذا البيت: [الكامل]

* وسَقَى الغَوَادِي قَبْرَه بِذَنُوبِ *

واحتج به في قول الله عز وجل: ﴿ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾[3]. فسألته

(١) يُحمشوا: يحرّضوا على القتال. والولغ: الشرب.
(٢) البَزّ: السلاح.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٩.

لمن هذا البيت، فقال: لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ ولم يسمه ههنا.

وقال عبد الله بن جذل الطّعان واسمه بَلْعاء: [الكامل]

لأَطْلُبَنْ بِرَبِيعَةَ بْنَ مُكَدَّمٍ ... حَتَّى أَنالَ عُصَيَّةَ بنَ مَعِيصِ

يقال إن عصيّة من بني سليم، وهو عُصيّة بن مَعِيص بن عامر بن لؤي:

وتقادُ كُلُّ طِمِرَّةٍ مَمْحُوصَةٍ ... ومُقَلِّصٍ عَبْلِ الشَّوَى مَمْحُوصِ[1]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدّم. وقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته: [الكامل]

ولأَضْرِفَنَّ سِوَى حُذَيْفَةَ مِدْحَتي ... لِفَتَى الشِّتاءِ وفَارِسِ الأَجْرَافِ[2]
مَأْوَى الضَّرِيكِ إذا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مُخْلِفٍ مِتْلافِ[3]
مَنْ لا يَزَالُ يَكُبُّ كُلَّ ثَقيلَةٍ ... كَوْمَاءَ غَيْرَ مُسَائِلٍ مِنْزَافِ[4]
رَحْبِ المَبَاءَةِ والجَنَابِ مُوَطَّأٍ ... مَأْوَى لِكُلِّ مُعَتَّقٍ بِسَوَافِ[5]
فَسَقَى الغَوَادِي قَبْرَكَ ابْنَ مُكَدَّمٍ ... مِنْ صَوْبِ كُلِّ مُجَلْجِلٍ وَكَّافِ[6]
أَبْلِغْ بَنِي بَكْرٍ وخُصَّ فَوَارِساً ... لَحِقُوا المَلامَةَ دونَ كُلِّ لِحافِ
أَسْلَمْتُمُ جِذْلَ الطِّعَانِ أَخَاكُمُ ... بينَ الكَدِيدِ وقُلَّةِ الأعرافِ[7]

الأعراف: رمل، قال الأثرم: الأعراف كل ما ارتفع، ومنه قول الله تعالى: ﴿ونادَى أَصْحابُ الأَعْرَافِ﴾[8].

---

(١) الطِّمِرَّة: الفرس الطويلة القوائم المستعدّة للعدو. والممحوصة: القليلة لحم القوائم. والمقلّص: الحصان الطويل القوائم المنضمّ البطن. وعبل الشوى: ضخم الأطراف.
(٢) فتى الشتاء: الكريم وقت الشدّة. والأجراف: موضع (معجم البلدان: ١٠١).
(٣) الضريك: المحتاج. والدسيعة: المائدة الكريمة.
(٤) الثقيلة: الناقة السمينة. والكوماء: العظيمة السنام.
(٥) المباءة: المنزل. والمعتّق: المسنّ. والسواف: مرض يصيب الإبل. يريد أنه لا يبقي إلا على الإبل الكبيرة في السنّ أو المريضة.
(٦) المجلجل: المطر يصاحبه الرعد. والوكّاف: المنهمر.
(٧) القُلّة: أعلى الرأس أو الجبل.
(٨) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

حَـتَّـى هَـوَى مُـتَـزَايِـلاً أَوْصَـالُـهُ ... لِـلَّـحْـدِ بـيـن جَـنَـادِلٍ وقِـفَـافِ(١)
لِـلَّـهِ دَرُّ بَـنِـي عَـلِـيٍّ إِنْ هُـمُ ... لـم يَـثْـأَرُوا عَـوْفـاً وحَـيَّ خِـفَـافِ(٢)

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال:

* تـذكـر لـيـلـى حُـسـنَـهـا وصـفـاءَهـا *

وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضاً: [الوافر]

أَلاَ لِـلَّـهِ دَرُّ بَـنِـي فِـرَاسٍ ... لَـقَـدْ أُورِثْـتُـمُ حُـزْنـاً وَجِـيـعـا
غَـدَاةَ ثَـوَى رَبِـيـعـةُ فـي مَـكَـرٍّ ... تَـمُـجُّ عُـروقُـهُ عَـلَـقـاً نَـجِـيـعَـا(٣)
فـلـن أَنْـسَـى رَبِـيـعَـةَ إذ تَـعَـالـى ... بـكـاءُ الـظُّـعْـنِ تَـدْعُـو يـا رَبِـيـعَـا

وقال كعب بن زهير، وأمّه من بني أشجع بن عامر بن اللّيث بن بكر بن كنانة، يرثي ربيعة بن مكدّم، ويحضُّ على بني سُليم، ويعيّر بني كنانة بالدماء التي أدّوها إلى بني سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية:

[الكامل]

بَـانَ الـشَّـبَـابُ وكُـلُّ إِلْـفٍ بَـائِـنُ ... ظَعَنَ الشَّبَابُ مع الخليطِ الظَّاعِنِ
قـالَـتْ أُمَـيْـمَـةُ ما لِجِسْمِكَ شَـاحِـبـاً ... وأراكَ ذا بَـثٍّ ولَـسْـتَ بِـدَائِـنِ
غُـضِّـي مَـلامَـكِ إنَّ بي مِـنْ لَـوْمِـكُـمْ ... دَاءً أَظُـنُّ مُـمَـاطِـلـي أو فَـاتِـنـي
أَبْـلِـغْ كـنـانـةَ غَـثَّـهـا وسَـمِـيـنَـهـا ... الـبَـاذِلـيـنَ رِبَـاعَـهـا بـالـقَـاطِـنِ
أَنَّ الـمَـذَلَّـةَ أَنْ تُـطَـلَّ دِمَـاؤُكُـمْ ... ودماءُ عَـوْفٍ ضَـامِـنٌ في الـعَـاهِـنِ(٤)
أَمْـوَالُـكُـمْ عـوضٌ لـهـم بِـدِمَـائِـهـم ... ودِمَـاؤُكُـمْ كَـلَـفٌ لـهـم بِـظَـعَـائِـنِ
طَـلَـبُـوا فَـأَدْرَكَ وِتْـرَهُـمْ مَـوْلاَهُـمُ ... وأَبَـتْ مَـحَـامِـلُـكُـمْ إِبـاءَ الـحَـارِنِ
شُـدُّوا الـمَـآزِرَ فَـاثْـأَروا بِـأَخِـيـكُـمُ ... إنّ الـحَـفَـائِـظَ نِـعْـمَ رِيـحُ الـثَّـامِـنِ
كـيـفَ الـحَـيَـاةُ ربـيـعـةُ بـنَ مُـكَـدَّمٍ ... يُـغْـدَى عـلـيـكَ بِـمِـزْهَـرٍ أو قَـائِـنِ(٥)

---

(١) الجنادل: جمع الجندل: الصخر الضخم. والقفاف: جمع القُفّ: ما ارتفع من الأرض.
(٢) بنو عليّ: قبيلة من كنانة، وهم بنو عبد مناة وليسوا من كنانة قريش.
(٣) العلق والنجيع: الدم.
(٤) طَلَّ القتيلُ: ذهب دمه هدراً ولم يُثأر به. والعاهن: الثابت.
(٥) المِزهر: العود. والقائن: صاحب القِيان.

وهـو الـتَّـرِيـكَـةُ بِـالـعَـرَاءِ وحَـارِثٌ فَـقْـعُ الـقَـرَاقِـرِ بِـالـمكـانِ الـوَاتِـنِ(١)
كـم غَـادَروا لـكَ مِـنْ أَرَامِـلَ عُـيَّـلٍ جَـزَرَ الـضِّـبَـاعِ ومِـنْ ضَـرِيـكٍ وَاكِـنِ(٢)

وقالت أمّ عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة: [البسيط]

ما بـالُ عَـيْـنكِ منـهـا الـدَّمْـعُ مِـهْـرَاقُ سَـحًّـا ولا عَـازِب لالا ولا راقـي
أَبْـكِـي عـلـى هـالـكٍ أَوْدَى وأورَثَـنـي بـعـدَ الـتَّـفَـرُّقِ حُـزْنـاً بـعْـدَهُ بَـاقِـي
لـو كـان يُـرجِـعُ مَـيْـتـاً وَجْـدُ ذِي رَحِـم أَبْـقَـى أَخِـي سَـالِـماً وَجْـدِي وإِشْـفَـاقي
أو كَـانَ يُـفْـدَى لَـكَـانَ الأَهْـلُ كُـلُّـهـمُ ومَـا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مَـالٍ لـه وَاقِـي
لَـكِـنْ سِـهَـامُ الـمَـنَـايـا مَـنْ نَـصَـبْـنَ لـه لـم يُـنْـجِـهِ طِـبٌّ ذِي طِـبٍّ ولا رَاقِـي
فـاذهـبْ فـلا يُـبْـعِـدَنَّـكَ اللهُ مِـنْ رَجُـلٍ لاَقَـى الَّـذِي كُـلُّ حَـيٍّ مِـثْـلَـه لاَقِـي
فـسـوفَ أَبْـكِـيـكَ ما نَـاحَـتْ مُـطَـوَّقَـةٌ وما سَـرَيْـتُ مع السَّـارِي عـلـى سَـاقـي
أَبْـكـى لِـذِكْـرَتِـهِ عَـبْـرَى مُـفَـجَّـعَـةً مَـا إنْ يَـجِـفُّ لـهـا مِـنْ ذِكْـرِه مَـاقِـي(٣)

وقال عبد الله يرثيه: [الكامل]

خَـلَّـى عَـلَـيَّ رَبِـيـعَـةُ بْـنُ مُـكَـدَّمٍ حُـزْنـاً يـكـادُ لـه الـفـؤادُ يَـزُولُ
فَـإذَا ذَكَـرْتُ رَبِـيـعـةَ بـنَ مُـكَـدَّمٍ ظَـلَّـتْ لِـذِكْـرَاهُ الـدُّمُـوعُ تَـسِـيـلُ
نِـعْـمَ الـفَـتَـى حَـيّـاً وفَـارِسُ بُـهْـمَـةٍ يَـرْدِي بِـشِـكَّـتِـهِ أَقَـبُّ ذَؤولُ(٤)
سَـقَـتِ الـغَـوَادِي بِـالـكُـدَيِّـدِ رِمَّـةً والـنَّـاسُ إِمَّـا هـالِـكٌ وقَـتِـيـلُ
فـإذا لَـقِـيـتَ رَبِـيـعـةَ بْـنَ مُـكَـدَّمٍ فَـعَـلـى رَبِـيـعَـةَ مِـنْ نَـدَاهُ قـبـولُ
كـيـفَ الـعَـزَاءُ ولا تَـزَالُ خَـرِيـدَةٌ تَـبـكـي ربـيـعـةَ غَـادَةٌ عُـطْـبُـولُ(٥)
يَـأْبَـى لِـيَ اللهُ الـمَـذَلَّـةَ إِنَّـمـا يُـعْـطَـى الـمَـذَلَّـةَ عَـاجِـزٌ تِـنـبـيـلُ(٦)

---

(١) التريكة: هي بيضة النعام حين تنقف النعامة وتدفنها تحت الأرض. وحارث: هو أخو ربيعة. وفقع القراقر: مَثَل يُضرَب للذليل. والفقع: أردأ الكمأة تطؤه الدواب بحوافرها. والواتن: الثابت المقيم.
(٢) جزر الضباع: طعام للضباع. والواكن: الجالس عجزاً.
(٣) ماقي: تخفيف مآقِيّ: جمع المُؤْق: مجرى الدمع.
(٤) البهمة: الشجاع الذي لا يدري مَنْ يقاتله من أين يأتيه. والشّكة: السلاح. والأقبّ: الضامر البطن من الخيل. والذّؤول: من الذّألان وهو المشي السريع الخفيف.
(٥) العطبول: الجارية الممتلئة الطويلة العنق.
(٦) التنبيل: القصير العاجز.

وقال عبد الله أيضاً يرثيه: [الكامل]

نَادَى الظَّعَائِنُ يا رَبِيعةُ بَعْدَ ما لم يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةٍ وفُوَاق[١]
فأجابَها والرُّمْحُ في حَيْزُومِهِ أَنَفاً بِطَعْنٍ كَالشَّعِيبِ دُفَاقِ[٢]
يَا رَيْطَ إنَّ ربيعَةَ بْنَ مُكَدَّم وربيع قومِك آذِنا بِفراقِ
ولَئِنْ هَلكتَ لَرُبَّ فَارِسِ بُهْمَةٍ فَرَّجْتَ كُرْبَتَهُ وضيق خِنَاقِ

وقال أيضاً يتوعّد بني سليم: [الوافر]

ولستُ لِحَاضرٍ إن لم أُزِرْكُمْ كتائبَ من كنانةَ كَالصَّرِيمِ[٣]
على قُبِّ الأَيَاطِلِ مُضْمَرَاتٍ أَضَرَّ بِنِيِّها عَلْكُ الشَّكِيمِ[٤]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثني الطلحي، قال: أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحي ومحمد بن الحسن بن زُبالة في مجلس واحد، قالا: مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني، بثنية كعب، ويقال: بثنية غزال، فقلصت به راحلته، فقال: [الكامل]

نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ على طَلْقِ اليدينِ وَهُوبِ
لا تَنْفري يا نَاقُ منه فإنَّه شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحروبِ
لولا السِّفَارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لَتَرَكْتُها تَحْبُو على العُرْقُوبِ

فبلغ شعره بني كنانة، فقالوا: والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا السجستانيّ، قال: حدّثنا أبو عبيدة، قال: خرج دُريد بن الصِّمة في فوارس من بني جُشَم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبني كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بني كنانة، رُفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل، فصاح به، وألح عليه، فلمّا أتى ألقى الزمام وقال للظعينة:

---

(١) الفواق: ما يأخذ المحتضَر عند النزاع.
(٢) الحيزوم: الصدر. والشعيب: جلود يُضَمُّ بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء. يريد: بطعنٍ متتابع.
(٣) الصريم: الليل، يريد أنها لكثرتها تبدو كالليل الأسود.
(٤) الأياطل: جمع الأيطل: الخاصرة. والنِّيّ: الشحم.

سِيري على رِسْلِك سَيْرَ الآمِنِ سَيْرَ رَدَاحٍ ذاتِ جَأْشٍ سَاكِنِ
إنَّ انْثِنَائِي دونَ قِرْنِي شَائِنِي وابْلِي بَلائِي واخْبُرِي وعَايِنِي

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارساً آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعاً. فصاح به، فتصامم عنه، فظنّ أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول: [الرجز]

خَلِّ سَبيلَ الحُرَّةِ المَنِيعَهْ إنَّكَ لاَقٍ دُونَهَا رَبِيعَهْ
في كَفِّهِ خَطِّيَّةٌ مُطِيعَهْ أو لا، فَخُذْها طَعْنَةً سَرِيعَهْ
* فالطَّعْنُ مِنِّي في الوَغَى شَرِيعَهْ *

فلمّا أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجرر رمحه. فقال له الفارس: خلِّ عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اُقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال: [الرجز]

ماذا تريدُ مِنْ شَتيمٍ عَابِسِ ألم تَرَ الفارسَ بعدَ الفَارِسِ[1]
* أرداهُما عَامِلُ رمْحٍ يَابِسِ؟ *

ثم طعنه فصرعه، وانكسرَ رمحه. فارتاب دريد، وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة، وقتلوا الرجل. فلحقَ بهم، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحيّ، ووجد القوم قد قُتِلوا. فقال دريد: أيّها الفارس، إن مثلك لا يُقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السنّ فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبِّط عنك. فأتى دريد أصحابه، وقال: إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فوارسكم، وانتزع رمحي، ولا طمع لكم فيه، فانصرف القوم. وقال دريد في ذلك: [الكامل]

مَا إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظَّعِينةِ فَارِساً لم يُقْتَلِ
أَرْدَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً ثُمَّ اسْتَمَرَّ كأنَّه لم يَفْعَلِ[2]

---

(١) الشتيم: الكريه الوجه.
(٢) نهزة: فرصة لمن يريدهم بشرّ.

مُـتَـهَـلِّـلٌ تَـبْـدُو أَسِـرَّةُ وَجْـهِـهِ ... مِثْلَ الحُسَامِ جَلَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ(١)
يُزْجِي ظَعِينَتَهُ ويَسْحَبُ رُمْحَهُ ... مُتَوَجِّهاً بِمُنَاهُ نحوَ المَنْزِلِ(٢)
وتَرَى الفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمْحِهِ ... مِثْلَ البغاثِ خَشِينَ وَقْعَ الأجدلِ(٣)
يا ليتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأمُّهُ ... يا صَاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لم يُجْهَلِ!

فقال ربيعة: [الكامل]

إن كان يَنْفَعْكِ اليَقِينُ فسَائِلي ... عَنِّي الظَّعِينَةَ يومَ وَادِي الأَخْرَمِ(٤)
هل هِيَ لأول مَنْ أَتَاهَا نُهْزَةً ... لولا طِعَانُ رَبِيعَةَ بن مكدَّمِ
إذ قالَ لي أَدْنَى الفوارسِ مِيتَةً ... خَلِّ الظَّعِينَةَ طَائِعاً لا تَنْدَمِ
فصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ ... عَمْداً لِيَعْلَمَ بعضَ ما لم يَعْلَمِ
وهَتَكْتُ بالرُّمْحِ الطَّويلِ إهَابَهُ ... فَهَوى صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ
ومَنَحْتُ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَّاشَةً ... نَجْلاءَ فَاغِرَةً كَشِدقِ الأَضْجَمِ(٥)
ولقد شَفَعْتُهُمَا بآخَرَ ثَالِثٍ ... وَأَبَى الفَرَارَ لِيَ الغَدَاةَ تَكَرُّمِي

قال: فلم يلبثْ بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد، فقتلوا وأسروا وغنموا، وأسروا دريد بن الصمة، فأخفى نسبه. فبينا هو عندهم محبوس، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه. فصرخت آمرأة منهنّ، فقالت: هلكتم وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة. ثم ألقت عليه ثوبها وقالت: يا آل فِراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوه من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة، فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدم، قال: فما فعل؟ قالوا: قتله بنو سليم، قال: فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: رَيطة بنت جذل الطعان، وأنا هي، وأنا آمرأته. فحبسه القوم، وآمَروا أنفسهم، وقالوا: لا ينبغي أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا. وقال

(١) الصَّيقل: الذي يشحذ السيوف.
(٢) وفي الأصول: يُمْنَاه: من اليُمنى، يقال: توجّه فلان يمينه ويمناه، أي توجه ظافراً ميموناً.
(٣) البغاث: الطيور الضعيفة. والأجدل: الصقر.
(٤) الأخرم: اسم لعدة مواضع منها جبل في ديار بني سُليم، والأخرم أيضاً: جبل في طرف الدهناء (معجم البلدان ١: ١٢١).
(٥) جيّاشة: صفة لطعنة، وهو يريد: طعنة تجيش بالدم. والأضجم: الذي في فمه عوجٌ.

بعضهم: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق الذي أسره. وانبعثت المرأة في الليل، فقالت: [الطويل]

سَنُجْزِي دُرَيْداً عَنْ رَبِيعَةَ نعمةً ... وكُلُّ فَتًى يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَّما
فإنْ كَانَ خَيْراً كانَ خَيْراً جَزَاؤُهُ ... وإنْ كَانَ شرّاً كَانَ شَرّاً مُذَمَّما
سنجزيه نُعْمَى لم تكنْ بِصَغِيرَةٍ ... بِإِعْطَائِهِ الرُّمْحَ السَّدِيدَ المُقَوَّما
فقد أَدْرَكَتْ كَفَّاهُ فينا جَزاءَهُ ... وَأَهْلٌ بِأَنْ يجزَى الّذي كَانَ أَنْعَما
فلا تكفروه حَقَّ نُعْمَاهُ فِيكُمُ ... ولا تَرْكَبُوا تلكَ التي تَمْلأُ الفَمَا
فلو كَانَ حَيّاً لم يَضِقْ بِثَوَابِهِ ... ذِرَاعاً، غَنِيّاً كَانَ أو كان مُعْدِما
فَفُكُّوا دُرَيْداً مِنْ إِسَارِ مُخَارِقٍ ... ولا تَجْعَلُوا البُؤْسَى إلى الشَّرِّ سُلَّمَا

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه. ولم يزل كافاً عن غزو بني فِراس حتى هلك.

[حِيَلٌ وشجاعَةٌ وجُبْنٌ]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدّثني محمد بن يعقوب بن أبي مَريم العَدويّ البصري، قال: حدّثني محمد بن عمر الأزدي، قال: حدّثني أبو البلاد الغطفاني وقبيصة بن ميمون الصادري، قالا: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن مَعْدِيكرِب الزُّبيديّ: مَنْ أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأُخبرنَّكَ عن أَحْيَل الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربَعَت المدينة، فخرجَتْ كأحسن ما رأيت، وكانت لي فرس شَمَقمقة[1] طويلة سريعة الإبقاء[2]، تَمطّقُ[3] بالعرق تمطّق الشيخ بالمرق، فركبتها، ثم آليتُ لا ألقى أحداً إلاّ قتلته. فخرجت وعَليّ مُقْدّي[4]، فإذا أنا بفتى بين غرضين[5]، فقلت له: خذ حذرك، فإني قاتلك. فقال: والله ما أنصفتني يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزل

(١) فرس شمقمقة: طويلة.
(٢) سريعة الإبقاء: أي تسرع استئناف الجري بعد التعب.
(٣) تمطّق: تتمطّق: تصدر صوتاً عند استطياب الشيء والتصاق لسانها بالحلق.
(٤) المُقْدّ: السيف.
(٥) الغرض: شعبة في الوادي غير كاملة.

أَمْيَل[١] عُوّارة ـ والعُوّارة: الذي لا تُرس معه ـ فأنْظِرني حتى آخذ نبلي. فقلت: وما غنَاؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروّعني حتى آخذها. فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبداً. فسلم والله مني وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتمل عَلَيَّ اللَّيل، فوالله إني لأسير في قمر زاهر، كالنور الظَّاهر، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول: [مجزوء الرمل]

يــا لُــدَيــنــا يــا لُــدَيــنــا   لَــيْــتَــنَــا يُــعْــدَى عَــلَــيْــنــا

* ثــم يُــبْــلَــى مــا لَــدَيْــنَــا *

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته، فيرمي بها في السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[٢] من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمّك، فإني قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض. فقلت: إنْ هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك، ما أجهلك! فما تحلحلَ ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح في إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك هَرْشَى[٣] إلى غزال[٤]، فنظرت إلى أبيات، فعدلت إليها، فإذا فيها جَوارٍ ثلاث، كأنهنَّ نجوم الثريّا. فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت هي أجمل منا. فأشرفت من فدفد[٥]، فإذا بمن لم أر شيئاً قطّ أحسن من وجهه، وإذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلمّا نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض، فسبقني إلى البيوت، فوجدهنَّ قد ارتعنَ، فسمعته يقول لهن: [الرجز]

مَـهْـلاً نُـسَـيَّـاتِـي إذَنْ لا تَـرْتِـعَـنْ   إنْ يُـمْـنَـعِ الـيـومَ نِـسَـاءٌ تُـمْـنَـعَـنْ

---

(١) الأميل: الذي لا يستقرّ على الخيل.

(٢) المشقص من النصال: الطويل غير العريض.

(٣) الدكادك: جمع الدكدك: ما تلبّد من الرمل بعضه على بعض. وهرشى: ثنيّة على طريق مكة قريبة من الجحفة (معجم البلدان ٥: ٣٩٧).

(٤) غزال: على الطريق من ثنيّة هرشى بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات منها غزال (معجم البلدان ٤: ٢٠١).

(٥) الفدفد: الفلاة لا شيء فيها.

* أَرخِينَ أذيالَ المُروطِ وارْتَعَنْ *[١]

فلمّا دنوت منه، قال: أتطردني أم أطردك؟ قلت: أطردك. فركض وركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان في لفتته ـ واللّفتة أسفل من الكتف ـ اتّكأتُ عليه، فإذا هو والله مع لَبَب[٢] فرسه، ثم استوى في سَرْجه. فقلت: أَقِلْني. قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضِغَيْهِ اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسّنان ماضٍ زالج. واستوى على فرسه، فقلت: أقلني. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكّنتُ السنان في متنه، اتّكأتُ عليه وأنا أظنُّ أني قد فرغتُ منه، فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض، ومضى السنان زالجاً. ثم استوى وقال: أبعد ثلاث تريد ماذا؟ اطردني ثكلتك أمّك. فولّيت وأنا مرعوبٌ منه. فلَمَّا غَشِيَني ووجدتُ حسَّ السنان، التفتُّ فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، فكفَّ عني واستنزلني، فنزلت ونزل، فجزَّ ناصيتي، وقال: انطلقْ، فإنّي أَنْفَسُ بك[٣] عن القتل. فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت؛ فذاك أشجع من رأيت. وسألت عن الفتى، فقيل: ربيعة بن مكدّم الفِراسي، من بني كنانة.

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول. قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني محمد بن موسى الهذلي، قال: حدّثني سُكين بن محمد، قال: دخل عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بني مخزوم، أعظمها هامة، وأمدّها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلماً، وأقدمها سلماً، وأجرئها مُقدَماً. قال: ومن هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله[٤]، قال: وأيَّ شيء صنعتَ عنده؟ قال: أتيته زائراً، فدعا لي بكعب وقوس وثور[٥]. فقال عُمر: وأبيك إن في هذا لشبعاً. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك. قال له: فوالله إني لآكُلُ الجَذَعَةَ، وأشرب التِّبْنَ من اللّبن رَثيئة وصِرْفاً[٦]، فلِمَ تقول هذا يا أمير

(١) المروط: جمع المِرط: كل ثوب غير مخيط.

(٢) اللَّبب: النحر.

(٣) أنفس بك: أضنّ بك.

(٤) يريد خالد بن الوليد.

(٥) الكعب: الصبّة من السمن. والقوس: ما يبقى من أصل الجلّة من التمر. والثّور: الكتلة من الجبن.

(٦) الجَذَعة من الغنم: التي يكون سنّها بين ستة أشهر وسنة. والتِّبْنُ: أعظم الأقداح يكاد يروي

المؤمنين؟ فقال له عمر: أيّ أحياء قومك خير؟ قال: مَذحج، وكلٌّ قد كان فيه خير، شِداد فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الرّبا والرباح(١). قال عمر: وأين سعد العَشِيرة؟ قال: هم أشدّنا شَريساً(٢)، وأكثرنا خميساً(٣)، وأكرمنا رئيساً، وهم الأوفياء البَرَرة، المساعير(٤) الفَجَرة. قال عمر: يا أبا ثور، ألكَ عِلمٌ بالسِّلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سَلْ عَمّا بدا لك. قال: أخبرني عن النَّبْلِ. قال: منايا تخطىءُ وتصيبُ. قال: فأخبرني عن الرّمح. قال: أخوك وربما خانكَ. قال: فأخبرني عن التُّرْسِ. قال: ذاكَ مِجَنٌّ وعليه تدور الدَّوائر. قال: أخبرني عن الدرع. قال: مَشْغلة للفارس، مَتْعبة للراجل. قال: أخبرني عن السيف. قال: عنه قارعتُك(٥)، لأمك الهَبَل، قال: لا، بل لأمِّكَ. قال عمرو: بل لأُمّكَ، فرفع عمر الدِّرَّة(٦)، فضرب بها عَمراً، وكان عمرو مُحتبياً، فانحلّتْ حُبْوَتُه، فاستوى قائماً، وأنشأ يقول: [الوافر]

أَتَضْرِبُني كَأَنَّكَ ذو رُعَيْنٍ ... بِخَيْرِ مَعِيشَةٍ أو ذو نُوَاسِ
فكم مُلْكٍ قَديم قد رَأَيْنَا ... وعِزٍّ ظَاهِرِ الجَبَرُوتِ قَاسِي
فَأَضْحَى أَهْلُهُ بَادُوا وأَضْحَى ... يُنَقَّلُ مِنْ أُنَاسٍ في أُنَاسِ

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كلّه الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كَعَعْتَ(٧) من فارس قطّ ممن لقيت؟ قال: اعلم يا أمير المؤمنين، أني لم أستحلّ الكذب في الجاهلية، فكيف أستحلّه في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي، خيل بني زُبيد، أغيروا بنا على بني البكّاء. فقالوا: بعيد علينا المُغَار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سَرَاة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سَرَاة. قال: رأيت مَزاود خيلهم كثيرة، وقدوراً

العشرين. والرثيئة: اللبن الحليب يصبّ عليه اللبن الحامض فيروب بسرعة. والصرف: المحض، غير الممزوج.

(١) أهل الرّبا والرباح: أهل النماء والكثرة.
(٢) الشريس: الشراسة.
(٣) الخميس: الجيش.
(٤) المساعير: الذين يسعرون الحرب ويشعلونها.
(٥) المقارعة: المضاربة بالسيوف، وربما يريد هنا المصاولة باللسان.
(٦) الدِّرَّة: السَّوْط الذي يُضرب به.
(٧) كَعَّ: ضعف وجبن.

مُثَفَّاة[١]، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلي حَجْرة[٢]، وجلست في موضع أتسمّعُ كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعت وليدة من ولائدها، فقالت: ادعي فلاناً. فدعت لها برجل من الحيِّ، فقالت له: إن نفسي تحدّثني أن خيلاً تغير على الحيِّ، فكيف أنت إن زوّجتك نفسي؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وأقبلت على صواحباتها، فقالت: ما عنده خيرٌ، ادعي لي فلاناً. فدعت بآخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضاً. ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكَدَّم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إنَّ أعجز العجز وصفُ المرءِ نفسَه، ولكني إذا لقيت أعذرت، وحَسْبُ المرء غَناءً أن يُعذِرَ. فقالت له: قد زوّجتك نفسي، فأحضُر غداً مجلس الحيِّ، ليعلموا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرتُ حتى ذهب اللَّيل، ولاح الفجر، فخرجتُ من مَكمني، وركبت فرسي، وقلت لخيلي: أغيري، فأغارت، وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامّة الحُسْنِ. فلمّا ملأتْ بصرها مني، أهوت إلى درعها فشقّته وقالت: واثكلاه؟ والله ما أبكي على مال ولا تِلاد، ولكن على أخت من وراء هذا القَوْز[٣]، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضيعة، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم. فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد، أهلبَ[٤] أغلب، يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه. فلما رآني رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى ولم يحفلْ بي. فطفقت أشجره[٥] بالرمح خَفْقاً، وأقول له: يا هذا استأسِر[٦]. فمضى ما يحفل بي، حتى أشرف على الوادي. فلمّا رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً، وأنشأ يقول: [الرجز]

قـد عَـلِـمَـتْ إذ مَـنَـحَـتْـنِـي فَـاهَـا أنّـي سَـأحْـوِي الـيـومَ مَـنْ حَـوَاهَـا

(١) المثفّاة: المنصوبة على الأثافي استعداداً للطبخ.
(٢) حجرةً: ناحية.
(٣) القَوز: الرمل المستدير المرتفع.
(٤) الأهلب: الكثير شعر الجسد والرأس.
(٥) أشجره بالرمح: أطعنه.
(٦) استأسِرْ: كنْ أسيراً لي.

* بل ليتَ شِعْرِي اليومَ مَنْ دَهاها *

فأجبته: [الرجز]

عَمْرٌو على طُولِ الوَجَى دَهَاهَا بِالخَيْلِ يَحْمِيها على وَجَاها[١]

* حَتَّى إذا حَلَّ بها احْتَوَاها *

فحمل عليّ وهو يقول: [الرجز]

أَهْونْ بِنضرِ العَيْشِ في دَارِ نَدَمْ أفيض دمعاً كُلَّمَا فَاضَ انْسَجَمْ
أَنَا ابْنُ عَبْدِ اللهِ محمود الشِّيَمْ مُؤْتَمَن الغَيْبِ وَفِيّ بِالذِّمَمْ
أَكْرَم مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ وقَدَمْ كَاللَّيْثِ إنْ هَمَّ بِتَقْصامٍ قَصَمْ

فحملت عليه وأنا أقول: [الرجز]

أنا ابنُ ذِي التَّقليدِ في الشَّهْرِ الأَصَمّ أنا ابنُ ذِي الإكليلِ قَتَّال البُهَمْ[٢]
مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أَوْدَتْ إِرَمْ أَتركُهُ لَحْماً على ظَهْرِ وَضَمْ[٣]

وحمل عليّ وهو يقول: [الرجز]

هذا حِمًى قد غَابَ عنه ذَائِدُهْ المَوْتُ وِرْدٌ والأَنَامُ وَارِدُهْ

وحمل عَلَيَّ فضربني، فرُغْت وأخطأني، فوقع سيفه في قَرَبوس[٤] السرج، فقطعه وما تحته، حتى هجم على مِسْح[٥] الفرس. ثم ثنّى بضربة أُخرى، فرُغْت وأخطأني، فوقع سيفه على مؤخّر السّرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس، وصرتُ راجلاً. فقلت: ويحكَ! من أنت؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليّ إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم، للعُجْب والخيلاء؛ وعامر بن الطفيل للسنّ والتجربة؛ وربيعة بن مكدّم للحداثة والغِرَّة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معديكرب. قال: وأنا ربيعة بن مكدم. قلت: يا هذا، إنّي قد صرت راجلاً، فاختر مني إحدى ثلاث، إن شئتَ اجتلدنا بسيفينا حتى

---

(١) الوجا: الحفا.
(٢) الشهر الأصمّ: هو شهر رجب لأنه من الأشهر الحرم. والإكليل: التاج.
(٣) الوضم: خشبة القصّاب التي يقطع عليها اللحم.
(٤) القَرَبوس: الجزء المرتفع من مقدّم السرج ومؤخّره.
(٥) المِسح: ثوب غليظ من الشعر يوضع تحت السّرج.

يموت الأعجز، وإن شئت اصطرعنا، فأيّنا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني. قال: الصّلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، وما بي أيضاً على قومي هوان. قلت: فذاكَ لك. وأخذت بيده، حتى أتيت أصحابي، وقد حازوا نَعَمه، فقلت: هل تعلمون أني كَعَعْت عن فارس قَطُّ من الأبطال إذا لقيته؟ قالوا: نعيذك من ذاك. قال: قلت: فانظروا هذا النَّعم الذي حُزتموه، فخذوه مني غداً في بني زُبيد، فإنه نَعَمُ هذا الفتى، والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حيّ. فقالوا: لحاك الله فارس قوم! أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فَثَأْتَنا[1] عنها. قال: قلت إنه لا بُدَّ لكم من ذلك، وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم. فقالوا: وإنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها وسالمتُه، فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك.

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معديكرب وربيعة بن مكدّم غناء، نَسَبْتُه، وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد، وهو:

صوت

أنا ٱبنُ ذي التَّقليدِ في الشَّهْرِ الأَصَمّ ... أنا ٱبنُ عبدِ اللَّه قَتَّال البُهَمْ
أكرم مَنْ يمشي بِسَاقٍ وقَدَمْ ... مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كما أَوْدَتْ إِرَمْ
أَتركُهُ لَحْماً على ظَهْرِ وَضَمْ ... كَاللَّيْثِ إنْ هَمَّ بِتَقْصامٍ قَصَمْ
* مُؤْتَمَنُ الغَيْبِ وَفِيٌّ بِالذِّمَمْ *

ذكر أحمد بن يحيى المكي: أنَّ الغناء في هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وذكر الهشاميّ أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط.

حَدَّثتني قمرية العُمْرية جارية عمرو بن بانة، أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن، فقال لها: انظري أيَّ صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن مخارق، فلما استوى لي قال لي مخارق: انظر أي صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكيّ، فلمّا غَنّيته الرشيد أطربه، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حَدَّثني محمد بن الحسن الأحول،

(١) فثأتنا: ثبّطتَ عزيمتنا وسَكّنتنا.

عن الطُّرسوسيّ، عن ابن الأعرابيّ، قال: أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول: [الكامل]

ولقد طَعَنْتُ ربيعةَ بْنَ مُكَدَّمٍ يَوْمَ الكديدِ فَخَرَّ غيرَ مُوسَّدِ
في ناقعٍ شَرِقَتْ بما في جَوْفِهِ منه بِأحمرَ كالعقيقِ المُجْسَدِ

صوت

[الكامل]

أَدْرَكْتِ مَا مَنَّيْتُ نَفْسِي خَالياً لِلهِ دَرّكِ يابْنَةَ النُّعْمَانِ!
إنِّي لِحَلْفِكِ بِالصَّلِيبِ مُصَدِّقٌ والصُّلْبُ أصدقُ حَلْفَةِ الرُّهبانِ
ولقد رَدَدْتِ على المُغَيْرَةِ ذهنَهُ إنَّ الملوكَ بَطِيئَةُ الإذعانِ
يا هِندُ حَسْبُكِ قد صَدَقْتِ فَأَمْسِكِي والصِّدْقُ خَيْرُ مقالةِ الإنسانِ

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفيّ، يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر، وقد خطبها فردّته، وخبره في ذلك وغيره يذكر ها هنا إن شاء الله، والغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ وإبراهيم.

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

[٢٠ ق.هـ ـ ٥٠ هـ/ ٦٠٣ ـ ٦٧٠ م]

[اسمه ونسبه وأخبارُهُ]

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ، وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله، وكان يكنى أبا عيسى، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكناه أبا عبد الله. وأمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلِم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوِية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها، وذوي الرأي منها، والحيل الثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي، وكان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما.

وصَحِبَ النبيّ ﷺ، وشهد معه الحديبية وما بعدها. وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النُّجير[1]. وشَهِدَ فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور، أُصيبت عينه في يوم اليرموك، وشهِد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص. فلما أراد مراسلة رستم، لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب.

وولاّه عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنه عِدّة ولايات، إحداها البصرة. ففتح

---

(١) النُّجَير: حصن باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الردّة مع الأشعث بن قيس (معجم البلدان ٥: ٢٧٢).

وهو واليها مَيسان[١] ودست ميسان وأَبْرَقُباذ. وقاتل الفرس بالمِرغاب[٢] فهزمهم، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز، فقاتلهم وهزمهم، وفتحها. وانحازوا إلى نهر تِيرَى[٣] ومَناذِر الكبرى، فزحف إليهم، فقاتلهم وهزمهم وفتحها. وخرج إلى المشرِق مع النعمان بن المُقَرِّن، وكان المغيرة على ميسرتِه، وكان عمر قد عهد: إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة[٤]، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة.

ولما فتحت نهاوند، سار المغيرة في جيش إلى هَمَذان ففتحها. وولاّه عمر رَضِيَ اللهُ عنه بعد ذلك الكوفة، فقُتِلَ عمر وهو واليها، وولاّه أيضاً إيّاها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان عليها إلى أن مات بها. وهو أوّل من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة، ورتب الناس فيه، فأعطاهم على الدّيوان، ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

[اعتناقُهُ الدين الإسلامي]

قال محمّد بن سعد كاتب الواقديّ: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدَّثني محمد بن سعيد الثقفيّ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفيّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب، ومحمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه وغيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كُنّا قوماً من العرب متمسّكين بديننا، ونحن سَدنة اللاَّت، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم. فأجمع نفرٌ من بني مالك الوفود على المقوقِس، وأهدوا له هدايا، فأجمعت الخروج معهم، فاستشرت عَمّي عروة بن مسعود، فنهاني، وقال لي: ليس معك من بني أبيك أحدٌ. فأبيت إلاّ الخروج، وخرجت معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقِس في مجلس مُطِلّ على البحر. فركبت قارِباً حتى حاذيتُ مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر مَنْ يسائلني ما أنا؟ وما أريد؟ فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا، وقدومنا عليه. فأمر بنا أن ننزِلَ في الكنيسة، وأجرى علينا ضِيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، وأجلسه معه، ثم سأله: أكل

---

(١) مَيسان: اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط (معجم البلدان ٥: ٢٤٢).

(٢) المِرغاب: من قرى هراة، وهو اسم نهر بالبصرة (معجم البلدان ٥: ١٠٧).

(٣) نهر تيرى: من نواحي الأهواز (معجم البلدان ٥: ٣١٩).

(٤) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسيّ.

القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف. فعرَّفَهُ إيَّاي، فكنتُ أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه، فسُرَّ بها، وأمر بقبضها. وأمر لهم بجوائز، وفضَّل بعضهم على بعض، وقَصَّرَ بي، فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذِكر له.

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض عَلَيَّ أحدٌ منهم مُواساة. وخرجوا، وحملوا معهم خمراً، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تَدَعني معهم. وقلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حَباهم به الملك. ويخبرون قومي بتقصيره بي، وازدرائه إيَّايَ. فأجمعتُ على قتلهم. فقلت: أنا أجدُ صُداعاً، فوضعوا شرابهم ودعوني. فقلت: رأسي يُصَدَّعُ، ولكني أجلس وأسقيكم، فلم ينكروا شيئاً، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دَبَّتْ الكأس فيهم، اشتهوا الشراب، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس، فيشربون ولا يدرون. فأَهْمَدَتْهم الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعاً، وأخذت جميع ما كان معهم.

فقَدِمْتُ على النبيّ ﷺ، فوجدته جالساً في المسجد مع أصحابه، وعليَّ ثياب السفر، فسلّمت بسلام الإسلام. فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة، وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عُرْوة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أفمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشّرك، فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليَخْمُسها، ويرى فيها رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أما إسلامك فنقبله، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نَخْمُسها، لأن هذا غدر، والغدر لا خير فيه. فأخذني ما قَرُب وما بعد، وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: فإن الإسلام يَجُبُّ(١) ما كان قبله ـ وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً ـ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عَمّي عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية.

(١) يجبُّ: يقطع.

قال المغيرة: وأقمت مع النبيّ ﷺ حتى اعتمر عمرة الحديبية، في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر، وألزم النبيّ ﷺ فيمن يلزم.

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبيّ ﷺ، فأتاه يكلّمه، وجعل يمسّ لحية رسول الله ﷺ وأنا قائم على رأسه، مقنَّع في الحديد. فقلت لعروة، وهو يمسُّ لحيةَ رسول الله ﷺ: اكفُفْ يدك قبل ألاَّ تصلَ إليك. فقال عروة: يا محمد، مَنْ هذا؟ ما أفظَّه وأغلظه! فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا عدوّ الله، ما غَسَلْتُ عني سوءتك إلاّ بالأمس، يا غُدَر.

[دهاؤه]

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدّثني أحمد بن الهيثم الفِراسي، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: قال المغيرة بن شعبة: أوّلُ ما عرفني به العرب من الحزم والدّهاء، أني كنت في ركب من قومي، في طريق لنا إلى الحِيرة. فقالوا لي: قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف. فقلت: هاتوه وهَلُمُّوا زِقَّين. فقالوا: وما يكفيك لدرهم زائف زقّ واحد؟ فقلت: أعطوني ما طلبت وخَلاكم ذم، ففعلوا وهم يهزأُون بي. فصببت في أحد الزِّقّين شيئاً من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له: كِلْ لي مِلء هذا الزقّ. فملأه. فأخرجت الدرهم الزائف، فأعطيته إياه، فقال لي: ما هذا؟ ويحك! أمجنون أنت؟ فقلت: ما لك؟ قال: إن ثمن هذا الزقّ عشرون درهماً جياداً، وهذا درهم زائف. فقلت: أنا رجل بدويّ، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صَلَح، وإلا فخذ شرابك. فاكتال مني ما كاله، وبقي في زِقّي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر، وحملتهما على ظهري، وخرجت، وصببت في الزقّ الأوّل ماء.

ودخلت إلى خمار آخر، فقلت: إني أريد مِلءَ هذا الزقّ خمراً، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني. فنظر إليه، وإنما أردت ألا يستريب بي إذا رددتُ الخمر عليه. فلما رآه قال: عندي أجود منه. قلت: هات. فأخرج لي شراباً، فاكتلته في الزقّ الذي فيه الماء، ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه. فقلت: خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لي، وهو يرى أني خلطته

بالشراب الذي أريته إياه. وخرجت فجعلته مع الخمر الأوّل.

ولم أزل أفعل ذلك بكل خَمَّارٍ في الحِيرة، حتى ملأت زِقّي الأوّل وبعض الآخر. ثم رجعت إلى أصحابي، فوضعت الزقّين بين أيديهم، ورددت دِرهمهم، فقالوا لي: ويحكَ! أيَّ شيء صنعت؟ فحدّثتهم، فجعلوا يعجبون. وشاع لي الذِّكْر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري، قال: حدّثنا داود بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، قال: أوّل من خضبَ بالسَّواد المغيرة بن شعبة، خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر، فعجب الناس منه.

قال محمد: وأخبرني شهاب بن عباد، قال: حدّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي خازم، عن المغيرة بن شعبة، قال: كنت جالساً عند أبي بكر إذ عُرِضَ عليه فرسٌ له، فقال له رجل من الأنصار: احملني عليها. فقال أبو بكر: لأن أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل على غُزْلته[١]، أَحَبّ إليّ من أن أحملك عليها. فقال له الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك. قال المغيرة: فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فقمت إليه، فأخذت برأسه، فركبته، وسقط على أنفه، فكأنما كان عَزَالِي[٢] مزادة. فتوعّدني الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر. فقام فقال: أما بعد. فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مُقِيدُهم من المغيرة. ووالله لأن أُخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم مِن وَزَعَةِ[٣] الله الذين يَزَعون إليه.

[المغيرة يخطب هنداً بنت النعمان]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ وحبيب بن نصر المهلَّبي، قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ، قال: حَدّثنا حسان بن العلاء الرياحيّ، عن أبيه، عن الشعبي، قال: ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت

(١) الغُزْلة: القلقة.
(٢) العَزَالي: جمع عزلاء: فم المزادة الأسفل ينصبّ منه الماء بكثرة.
(٣) الوَزَعة: جمع الوازع: الذي يكفّ الناس عن الإقدام على الشرّ.

النعمان بن المنذر، وهي بدير[١] هند، متنصِّرة عمياء، بنت تسعين سنة. فقالت له: مَنْ أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. قالت: أنت عامل هذه المَدَرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم. قالت: فما حاجتكَ؟ قال: جئتك خاطباً إليك نفسك. قالت: أما والله لو كنتَ جئت تبغي جَمَالاً أو دِيناً أو حَسَباً لَزَوّجناكَ، ولكنك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب، فتقول: تزوّجت بنت النعمان بن المنذر؛ وهذا والصَّلِيبِ أمرٌ لا يكون أبداً، أوَ ما يكفيك فخراً أن تكون في مُلْك النعمان وبلاده، تدبّرهما كما تريد! وبكت.

فقال لها: أيّ العرب كان أحبُّ إلى أبيك. قالت: ربيعة. قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قالت: ما كان يستعتبهم من طاعة. قال: فأين كان يجعل ثقيفاً؟ قالت: رُوَيداً لا تعجلْ. بينا أنا ذات يوم جالسة في خِدْرٍ لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كلٌّ واحد منهما يقول: إنَّ ثقيفاً مِنّا، فأنشأ أبي يقول: [البسيط]

إنَّ ثَـقِـيـفـاً لـم يَـكُـنْ هـوازِنَـا ... ولـم يُـنَـاسِـبْ عَـامِـراً ومَـازِنَـا

* إلاَّ قَـرِيـبـاً فـانْـشـرِ الـمَـحَـاسِـنـا *

فخرج المغيرة وهو يقول: [الكامل]

أَدْرَكْـتِ مـا مَـنَّـيْـتُ نَـفْـسِـيَ خَـالِـيـاً ... لِـلَّـهِ دَرُّكِ يَـابْـنَـةَ الـنُّـعْـمَـانِ!

وذكر الأبيات التي مضت، وذكرتُ الغناء فيها.

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرنا الحارث بن محمد، قال: قال أبو عبيدة: قال العلاء بن جرير العنبري: بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف[٢] من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف، إذ زفر زفرة، ثم أنشأ يقول: [الكامل]

وكَـأَنَّ حَـافِـرَهـا بِـكُـلِّ خـمِـيـلَـةٍ ... صَـاعٌ يَـكِـيـلُ بـه شَـحِـيـحٌ مُـعْـدِمُ

عَـارِي الأَشَـاجِـعِ مِـنْ ثَـقِـيـفٍ أَصْـلُـهُ ... عَـبْـدٌ ويَـزْعُـمُ أَنَّـهُ مِـنْ يَـقْـدُمِ[٣]

---

(١) دير هند: هو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر بالحيرة (معجم البلدان ٢:٥٤١).

(٢) خيف منى: هو خيف بني كنانة (معجم ما استعجم ص ٥٢٦).

(٣) الأشاجع: جمع الأشجع: أصول الأصابع التي تتّصل بعصب ظاهر الكفّ، أو هي عروق ظاهر الكفّ. ويَقدُم: أبو قبيلة: هو ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال: والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم. فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة، سمع ما قلت. فقال: واسوْأتاه! وقَبِلها!

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حَدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكي، قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحيّ، قال: أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، وهي أم أبنه حمزة بن المغيرة، وعائشة بنت جرير بن عبد الله.

وقال أبو اليقظان: صَلّى المغيرة بالناس سنة أربعين، في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فجعل يوم الأضحى يوم عرفة، أظنه خاف أن يُعزل، فسبق ذلك. فقال الراجز:

سِيرِي رُوَيْداً وابْتَغِي المُغِيرَهْ كَلَّفْتُها الإدْلاجَ بِالظَّهِيرَهْ[1]

قال: وكان المغيرة مِطلاقاً، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مِطلاق، فاعْتَدِدْنَ.

وكان يقول: النساء أربع، والرجال أربعة: رجل مذكَّر وامرأة مؤنَّثة، فهو قَوَّام عليها؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مذكَّرة، فهي قَوَّامة عليه؛ ورجل مذكّر وامرأة مذكّرة، فهما كالوَعِلين ينتطحان؛ ورجل مؤنّث وامرأة مؤنّثة، فهما لا يأتيان بخير، ولا يفلحان.

[زواجه تسعاً وثمانين امرأة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حَدَّثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: حَدَّثنا أبو هلال عن مطير الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة: نكحتُ تسعاً وثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حبّ، أُمسِكها لِولدها، ولِحَسَبها، ولكذا ولكذا.

قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهنَّ: تزوجت ثلاثاً وتسعين امرأة، منهن سبعون بكراً، فوجدت اليمانية

(١) الإدلاج: السير ليلاً.

كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ ووجدت الرَّبَعِيَّة أَمَتَكَ: أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المُضرِيَّة قِرْناً سَاوَرْته، فغلبته أو غلبك.

حَدَّثنا ابن عمار قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا أبو عاصم قال: رأى المغيرة امرأة له تَخَلَّلُ بعد صلاة الصّبح، فطلقها. فقالت: عَلامَ طلّقني؟ قيل: رآكِ تَخَلَّلين، فظنَّ أنّكِ أكلتِ. فقالت: أبعده الله! والله ما أتخلّلُ إلاّ من السِّواك.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثني موسى بن إسماعيل قال: حَدَّثنا حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً جاء فنادى يستأذن لأبي عيسى، على أمير المؤمنين. فقال عمر: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا. فقال له عمر: هل لعيسى من أب؟ أَمَا يكفيكم معاشرَ العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله، وأبي عبد الرحمن! فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبيَّ ﷺ كَنَّاهُ بها. فقال له عمر: إن النبي ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّر، وأنا لا أدري ما يُفْعَلُ بي فكنّاه أبا عبد الله.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حَدَّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: حَدَّثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، قال: كان الجَمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة؛ وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحُجْر بن عديّ، وكلّهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقفين بالكوفة بالكُنَاسَة[1]، فطلع عليهم أعرابيٌّ، فقال لهم المغيرة: دعوني أحرّكه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جواباً يُؤْثَرُ. قال: لا بدَّ. قالوا: فأنتَ أعلم. قال له: يا أعرابيّ، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعورَ زانياً. فوجَم. ثم تجلّدَ فقال: هل تعرف الأشعث بن قَيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرَى قومه. قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك. قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله! قال: وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عُرِفَتْ عشيرته. قالوا له: قَبَحَكَ اللهُ، فإنك شَرُّ جليسٍ، فهل تحبُّ أن نُوقِرَ لك بعيرك هذا مالاً وتموتَ أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلي إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حَدّثني أبو سعيد السكريّ، قال: حَدّثنا محمد بن أبي السريّ ـ واسم أبي السّريّ سهل بن سلام الأزدي ـ قال:

---

(١) الكُناسة: محلّة بالكوفة (معجم البلدان ٤ :٤٨١).

حَدّثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عَوانة بن الحكم، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعيّ، بعد غِبِّ مطرٍ، يسير بظهر الكوفة والحوف، فَلقِيَ ابن لسان الحُمَّرة[١]، أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلتَ يا أعرابيّ؟ قال: من السَّماوة[٢]. قال: فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة[٣]. قال: وكيف كان المطر؟ قال: عَفَّى الأَثَرْ، وملأ الحُفَر. قال: مِمَّنْ أنتَ؟ قال: من بكر بن وائل. قال: فكيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم. قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا. قال: فما تقول في بني ذُهْل؟ قال: سادة نَوْكَى[٤]. قال: فقيس بن ثعلبة؟ قال: إن جاورتهم سرقوك، وإن ائتمنتهم خانوك. قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاءُ البقر، وعراقيب الكلاب. قال: فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى. (قال هشام: لأن في ألوانهم حمرة). قال: فعِجْل؟ قال: أحلاس[٥] الخيل. قال: فحنيفة؟ قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام. قال: فعنَزَة! قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً. قال: فضُبيعة أضجم[٦]؟ قال: جَدْعاً وعَقْراً[٧]. قال: فأخبرني عن النساء. قال: النساء أربع: ربيع مُربع، وجميع تَجْمع، وشيطان سَمَعْمع، وغُلّ لا يخلَع. قال: فَسِّر. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سَرَّتْكَ، وإذا أقسمت عليها أَبَرَّتْكَ؛ وأمَّا التي هي جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب[٨]، فتجمع نَشبكَ إلى نَشَبها؛ وأما الشيطان السَّمعمع، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولولة في أثرك إذا خرجت؛ وأما الغلّ الذي لا يخلع، فبنتُ عَمِّكَ السّوداء القصيرة، الفوهاء الدّميمة، التي قد نثرت لك بطنها، إن طلَّقتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك.

---

(١) ابن لسان الحُمَّرة: هو عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر بن كلاب التيمي، وقيل: هو ورقاء بن الأشعر كان خطيباً بليغاً نسّابة، ضرب به المثل فقيل: «أنسب من ابن لسان الحمرة».

(٢) السّماوة: بادية بين الكوفة والشام (معجم البلدان ٣: ٢٤٥).

(٣) الأريضة: المعشبة الخصبة.

(٤) النَّوكى: جمع الأنوك: الجاهل الأحمق.

(٥) الأحلاس: الملازمون لركوب الخيل.

(٦) ضُبيعة أضجم: هو ضبيعة بن أسد بن ربيعة، أو ضبيعة بن ربيعة بن نزار المعروف بالأضجم، جدٌّ جاهليّ قديم.

(٧) جَدْعاً وعقراً: دعاء عليهم بالجدع والعقر أي أن يصيبهم الاستئصال والفناء.

(٨) النَّشَب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

فقال له المغيرة: بل أنفك. ثم قال له: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعورُ زَنَّاء. فقال الهيثم: فَضَّ الله فَاكَ! ويلك! هذا الأمير المغيرة. فقال: إنَّها كلمة والله تقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله، وعنده يومئذ أربع نسوة، وستّون أو سبعون أَمَةً. قال له: ويحك! هل يزني الحُرُّ وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهنَّ المغيرة: ارمينَ إليه بِحُلاكُنَّ. ففعلن، فخرج الأعرابيّ بملء كسائه ذهباً وفضة.

[غشّه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وخداعه لمصقلة الشيباني]

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخرّاز، عن المدائني، عن أبي مخنف، وأخبرني أحمد بن عيسى العِجلي قال: حَدّثنا الحسن بن نصر، قال: حَدَّثني أبي نصر بن مزاحم قال: حَدّثنا عُمر بن سعد، عن أبي مِخْنف عن رجاله: أن المغيرة بن شعبة جاء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أُكتب إلى معاوية فوَلِّهِ الشَّام، ومُرْهُ بأخذِ البيعة لكَ، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال عليّ عليه السلام: ﴿ما كنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُداً﴾[1]. فانصرف المغيرة وتركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: إني فكرت فيما أشرتُ به عليك أمس، فوجدته خطأً، ووجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يَخْفَ عليّ ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، وغششتني في الآخرة، ولكني والله لا آتي أمراً أجد فيه فساداً لديني، طلباً لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين، قال: حَدّثني محمد بن يونس الشيرازي، قال: حَدَّثني محمد بن غسان الضبيّ، قال: حَدَّثني زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجّاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانيّ تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مَصقلة، واستعلى عليه، فشتمه. فقدّمه المغيرة إلى شُرَيح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البيّنة، فضربه الحدّ. فآلى[2] مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حَيّاً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقّاه قومه، وسَلَّموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف. فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥١.

(٢) آلى: حلف.

الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنكَ تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقَوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنتَ نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوّك، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب: [الخفيف]

إنَّ تحتَ الأحجارِ حَزْماً وعَزْماً وخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ[1]
حَيَّةٌ في الوِجَارِ أَرْبَدُ لا يَنْـ ـفَعُ منه السَّلِيمَ نَفْثُ الرَّاقِي[2]

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمريّ، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبيّ: أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبهي في عُرْوة ابنك. فأشهد عليه بذلك. وجلده الحدّ. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

[المغيرة يقنع عمر بعدم الزواج من أم كلثوم بنت أبي بكر]

أخبرني محمد بن عبد الله الرازيّ، قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال: قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: أَلاَ تتزوج أمّ كلثوم بنت أبي بكر، فتَحْفظه بعد وفاته، وتخلفه في أهله. فقال عمر: بلى، إني لأحبّ ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعُدْ إليَّ بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حُبّاً وكرامة. ودخل إليها بعَقِبِ ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة. فقال لها: ما لكِ يا أُمَّ المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إن هذه جارية حَدَثة[3]، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: عليّ أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بِالرِّفاء والبنين، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله، وخِطْبتك أم كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلاّ أنكَ، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخُلُق على أهلك، وهذه صبيّة حديثة السنّ، فلا تزال تنكر عليها الشيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمّك ذلك، وتتألّم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدّد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كلّ يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنهم كرهوني،

---

(١) الأَلَدّ: الخصم الشديد الخصومة. والمِعلاق: اللسان البليغ.
(٢) الوِجار: حجر الضبع وغيرها. والسّليم: اللّديغ.
(٣) حَدَثة: صغيرة السنّ.

فتضمّنت لهم أن تصرفني عما طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر. وأمسك عمر عن معاودتها.

[قضيّة الزنا]

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة، قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ، عن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال: كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرَّقْطاء، فلقيه أبو بكرة، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان. فأخذ بتلابيبه، وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

وحَدَّثنا بخبره لمّا شهد عليه الشّهود عند عمر رضي الله عنه، أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز، قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة:

قال عمر بن شبّة: حَدَّثني أبو بكر العُلَيمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جَوشن، عن أبيه، عن أبي بكرة. قال عمر بن شبة: وحدّثنا عمرو بن عاصم، قال: حَدَّثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة. قال أبو زيد عمر بن شَبَّة: وحدثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبيّ. قال: وحَدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ، قال: حَدَّثنا عوف، عن قسامة بن زهير. قال أبو زيد عمر بن شبّة: قال الواقديّ: حَدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكرة، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان. قال: وحَدَّثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبلة، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك:

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا؟ إنَّ الأمير يزار ولا يزور. قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة. قال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد، ورجل آخر، يقال له شبل بن معبد، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة. فضربت الريح باب المرأة ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتُليتم بها، فانظروا. فنظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت

المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزِلنا. قال: وذهب ليصلّي بالناس الظّهر، فمنعه أبو بكرة، وقال له: لا والله لا تصلّي بنا وقد فعلت ما فعلت. فقال الناس: دعوه فليصلّ، فإنه الأمير، واكتبوا بذلكم إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعاً، المغيرة والشّهود.

وقال المدائنيّ في حديثه عن حباب بن موسى: وبعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة، وعزم عليه ألاّ يضعَ كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة. قال: قال علي بن أبي هاشم في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر، لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: نتركه يتجهز ثلاثاً، ثم يخرج. قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المِربد[1]، ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلّون: الرجال والنساء مختلطين، فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد، عليه بُرْنُس. فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً. فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده، فلمّا رآنا قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلمّا قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثاً.

وقال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته. فقال له المغيرة: لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه، فَألا تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له المغيرة: فإني أُحب أن أُقيم ثلاثاً لأتجهز. فقال: قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك، حتى أُرحِّلَكَ إليه. قال: إن شئتَ شَفَّعتني وأبررْتَ قسم أمير المؤمنين. قال: وكيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر، وتمسك الكتاب في يدك. قالوا: فقد رُئي أبو موسى يمشي مُقبلاً ومدبراً، وإن الكتاب لَفِي يده معلقاً بخيط. فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة جارية عربية من سَبْي اليمامة، من بني حنيفة؛ ويقال إنها مولدة الطائف، ومعها خادم لها. وسار المغيرة حين صلّى الظهر، حتى قدم على عمر. وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاريّ: فلمّا قَدِمَ على عمر، قال له: إنه قد شُهِدَ عليك بأمر إن كان حَقّاً لأَنْ تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدَّثني الحكم بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن

(١) المِرْبَد: موضع بالبصرة كانت تقام به المجالس ويتبارى الشعراء والخطباء (معجم البلدان ٥ :٩٨).

إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ، عن مصعب بن سعد: أن عمر بن الخطّاب رَضِيَ الله عنه جلس، ودعا المغيرة والشهود. فتقدّم أبو بكرة، فقال له: أرأيته بين فخذيها؟ قال: نعم والله، لَكَأني أنظر إلى تشريم جُدَريّ بفخذيها. فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر. فقال له: لم آلُ أن أُثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يَلِجُ فيه كما يلج المِرود[١] في المكْحُلة. فقال: نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مُغيرة، ذهب رُبْعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علامَ تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكرة. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلج فيه وُلوج المِرود في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قُذَذه[٢]. فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نِصفك. ثم دعا الثالث، فقال: علامَ تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبيّ. فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعِكَ. قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. وبكى إلى أُمَّهات المؤمنين، حتى بَكَيْنَ معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقَدِمَ على عمر. فلمّا رآه جلس له في المسجد، واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار. قال المغيرة: ومعي كلمة قد رفعتها لأُكَلِّمَ القوم. قال: فلمّا رآه عمر مقبلاً، قال: إني لأرى رجلاً لن يخزيَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحَدَّثنا عفان، قال: حدّثنا السَّرِيُّ بنُ يحيى، قال: حدّثنا عبدُ الكريم بنِ رشيد، عن أبي عثمان النهديّ، قال: لما شَهِدَ عند عمر الشاهدُ الأوّل على المغيرة، تغيّر لذلك لونُ عمر، ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً، ثم جاء رجل شاب يخطِر بين يديه، فرفع عمر رأسه إليه، وقال له: ما عندك يا سَلْح العُقاب. وصاح أبو عثمان صيحةً تحكي صيحةَ عمر. قال عبد الكريم: لقد كِدتُ أَنْ يُغْشَى عليَّ.

وقال آخرون: قال المغيرة: فقمت إلى زياد، فقلت له: لا مَخبأ لعطر بعد

(١) المِرود: الميل يكتحل به.
(٢) القُذَذ: جمع القُذّة: وقُذّتا الحياء: جانباه اللذان يقال لهما الإسكتان.

عَروس. ثم قلت: يا زياد، اذكرِ اللهَ، واذكر موقف يوم القيامة؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تَرَ ما رأيت، فلا يحملك شرّ منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لَمْ تَرَ، فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سَلَكَ ذَكَرِي منها. قال: فترنَّقَتْ عيناه، واحمرّ وجهُهُ، وقال: يا أمير المؤمنين، أما أن أُحُقَّ ما حقّ القوم فليس ذلك عندي؛ ولكني رأيت مجلساً قبيحاً، وسمعت نفَساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيته متبطِّنَها. فقال له: أرأيته يدخلُه كالمِيلِ في المكحلةِ. فقال: لا.

وقال غير هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته رافعاً برجلَيْها، ورأيْتُ خصيتَيْهِ تتردّدانِ بَيْنَ فَخْذيها، وَرَأيت حَفْزاً شديداً، وسمعت نفَساً عالياً. فقال له: أرأيته يدخله ويخرجه كالمِيل في المكحلة؟فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قُمْ إليهم فاضرِبْهم. فقام إلى أبي بكرة، فضربه ثمانين، وضرب الباقين، وأعجبه قول زياد، ودرأ عن المغيرة الرَّجْم. فقال أبو بكرة بعد أن ضُرِبَ: فَإنّي أشهد أَنَّ المغيرةَ فعل كذا وكذا. فَهَمَّ عمر بضربِهِ، فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربتَهُ رَجَمْتَ صاحِبَكَ، وَنَهَاهُ عن ذلك.

قال: يعني أنه إنْ ضربَهُ جَعَلَ شهادته بشهادتين، فوجبَ بذلك الرَّجْمُ على المغيرة.

قال: واستتابَ عمر أبا بكرة. فقال: إنَّما تستتيبني لتقبل شهادتي. قال: أَجَل. قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيتُ في الدنيا. قال: فَلَمّا ضُرِبوا الحَدَّ قال المغيرة: الله أكبر، الحمدُ للهِ الَّذي أَخْزَاكُمْ. فقال له عمر: اسكتْ أَخْزَى الله مكاناً رأوكَ فيه. قال: وأقامَ أبو بكرة على قوله، وكان يقول: واللهِ ما أَنْسى رَقَط فخذيها. قال: وتاب الاثنان، فقُبلتْ شهادتُهُما. قال: وكان أبو بكرة، بعد ذلك، إذا دُعِيَ إلى شهادة يقول: اطلبْ غيري، فإن زياداً قد أَفْسَدَ عليَّ شهادتي.

قال أبو زيد: وحدّثني سليمان بن داود بن عليّ، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جدِّهِ، قال: لما ضُرِبَ أبو بكرة، أُمرَتْ أُمُّهُ بشاةٍ فذُبحَتْ، وَجَعَلَتْ جلدَها على ظهرِه. قال: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضربٍ شديدٍ.

حدّثنا ابن عَمَّار والجوهري، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: كانت أم جميل بنت عمر، التي رُميَ بها المغيرة بن شعبة بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائِجِها،

فيقضيها لها. قال: ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت عليّ. فقال له عمر: أتتجاهل عليّ؟ واللهِ ما أظُنُّ أبا بكرة كذبَ عليك، وما رأيتُكَ إلا خفْتُ أن أُرمَى بحجارةٍ من السَّماء.

حَدَّثني أحمد بن الجعد، قال: حَدَّثنا محمد بن عباد، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لَئِنْ لَمْ ينتَهِ المغيرةُ لأُتْبِعَنَّهُ أحْجاره، وقال غيره: لئِنْ أخذت المغيرة لأُتبعنهُ أحجارَهُ.

أخبرني ابن عمّار والجوهريّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا المدائنيُّ، قال: قال حسان بن ثابت يهجو المغيرةَ بن شعبة في هذه القصة: [الوافر]

لَـوَ اَنَّ الـلُّـؤْمَ يُـنْـسَـبُ كَـانَ عَـبْـداً قـبـيـحَ الـوَجْـهِ أعـورَ مِـنْ ثَـقِـيـفِ
تَـرَكْـتَ الـدِّيـنَ والإِسـلامَ لَـمَّـا بَـدَتْ لـكَ غُـدْوَةً ذَاتُ الـنَّـصِـيـفِ
وَرَاجَـعْـتَ الـصِّـبَـا وذَكَـرْتَ عَـهْـداً مِـنَ الـقَـيْـنَـاتِ والـغَـمْـزِ الـلَّـطِـيـفِ

أخبرني الجوهريّ وابنُ عمّار، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا المدائني عن عبد الله بن سلم الفِهري، قال: لمَّا شخصَ المغيرةُ إلى عمر، رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: وما عليك؟ إن أُعفَ، فهو الذي تريد؛ وإن أُقتل تَرِثني. فزوّجه.

قال أبو زيد: قال الواقديّ: تزوّجها بالرَّقَم[١]. وهي أمرأة من بني مرة. فلمّا قدم بها على عمر، قال: إنك لَفَارِغُ القلب. طويل الشَّبَق.

وقال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن عبد الله الأسَدِيّ، قال: حدّثنا مِسعر، عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول: استغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية.

قال: وكان المغيرة أصهب[٢] الشعر جداً، أكْشَف[٣]، يفرُق رأسَهُ قروناً أربعة، أَقْلَص الشفتين، مهتوماً، ضخم الهامة، عَبل[٤] الذراعين، بعيد ما بين المنكِبين.

---

(١) الرَّقم: جبال بديار غطفان (معجم البلدان ٣:٥٨).
(٢) الأصهب: في شعره حمرة أو شقرة.
(٣) الأكشف: الذي انحسر أو انكشف مقدّم رأسه.
(٤) عبل الذراعين: ضخم الذراعين.

قال: وقال الواقديّ، حدّثني محمد بن موسى الثقفي، عن أبيه، قال:

مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين، في خلافة معاوية، وهو ابن سبعين سنة. وكان رجلاً طُوالاً أَعْوَر، أُصيبت عَيْنُهُ يومَ اليرموكِ.

صوت

[البسيط]

جِـنـيَّـةٌ ولـهـا جِـنٌّ يُـعَـلِّـمُـهـا رَمْيَ القُـلـوبِ بِقَـوْسٍ مَـا لَـهـا وَتَـرُ
إنْ كَـانَ ذَا قَـدَراً يُـعْـطِـيـكِ نَـافِـلَـةً مِـنَّـا ويَـحْـرِمُـنـا، مـا أَنْـصَـفَ الـقَـدَرُ

الشعر لمحمد بن بشير الخارجيّ، والغناء لإبراهيم: هزج بالبِنصر، عن الهشاميّ.

أخبار محمد بن بشير الخارجيّ ونسبه

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجيّ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نُسبا إلى أُمّهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر. ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حِجازيّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزّى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشيّ؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَرَاثٍ مُختارة، وهي عيونُ شعرِهِ، وكان يبدو في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مُصعَب الزبيريّ. قال أحمد: وحَدّثنا الزبير بن بكار، قال: حَدَّثني سليمان بن عياش السعدي وعمّي مصعب. وحَدّثني بقطعة أُخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش، وقد ذكرت كلّ ذلك في مواضعه.

[شعره لمَّا رفضت عائشة بنت يحيى الزواج به]

قال ابنُ أَبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان بن عياش: كان الخارجيّ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن

حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر، شاعراً فصيحاً، ويُكَنّى أبا سليمان. فَقَدِمَ البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجيّة؛ من خارجة عدوان، فأبت أن تتزوّجَهُ إلاَّ أَنْ يُقيمَ مَعَهَا بالبصرةِ، ويترك الحجاز، ويكون أمرُها في الفرقة إليها. فأبى أن يفعل، وقال في ذلك: [الكامل]

أَرِقَ الحَزِينُ وعَادَهُ سُهُدُهْ ... لِطَوَارِقِ الهَمِّ الَّتِي تَرِدُهْ
وذَكَرْتُ مَنْ لاَنَتْ له كَبِدِي ... فَأَبَى فليسَ تَلِينُ لي كَبِدُهْ
ونَأَى فليسَ بِنَازِلٍ بَلَدِي ... أبداً، وليسَ بِمُصْلِحي بَلَدُهْ
فَصُدِعْتُ حِينَ أَبَى مَوَدَّتَهُ ... صَدْعَ الزُّجَاجَةِ دَائِمٌ أَبَدُهْ
وَعَرَفْتُ أَنَّ الطَّيْرَ قد صَدَقَتْ ... يَوْمَ الكِدَانَةِ شَرَّ ما تَعِدُهْ
فاصْبِرْ فَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ ... يَوْماً يَجِيءُ فَيَنْقَضِي عَدَدُهْ
ماذا تُعَاتِبُ مِنْ زَمَانِكَ إذْ ... ظَعَنَ الحَبِيبُ وحَلَّ بي كَمَدُهْ

قالا: وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك، فقال له: إنها امرأة بَرْزة[1] عاقلة، لا يُفتات[2] على مثلها بأمرها، وما عندها عنك من رغبة، ولكنها امرأة في خلقها شدّة، ولها غيرة، وقد بلغني أنَّ لك زوجتين، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثةً لهما؛ فانظرْ في أمرِكَ، وشاورْ فيه، فَإمّا أن أقمت بالبصرة معها، فعَفَت لك عن صاحبتَيْكَ، إذ لا مجاورةَ بينهما وبينها ولا عِشْرةَ، وَإنْ شئْتَ فارقتهما وأُخْرِجها معك. فصار إلى رَحْلِه مغموماً، وشاور ٱبنَ عمٍّ له يقال له وَرَّاد بن عمرو في ذلك، فقال له: إنَّ في يحيى بن يعمر لَرَغبة، لثروته وكثرة ماله، وما ذكرته من جمال ابنته، وما نحبُّ أن تفارقَ زوجتيك وكانت إحداهما ٱبنةُ عمّهِ، والأُخرى من أشجع - فتقيم معها السنة بالبصرة، ونمضي نحن، فإن رغبْتَ فيها تمسكتَ بها، وأقمتَ بمكانِكَ، وإن رغبْتَ في العَوْدِ إلى بلدك، كتبت إلينا فجئناكَ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك. ففكّر لَيْلَهُ أجمع في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز، وقال: [البسيط]

لَئِنْ أَقَمْتُ بحيثُ الفَيْضُ في رَجَبٍ ... حَتَّى أُهِلَّ بـه من قَابِلٍ رَجَبَا[3]
ورَاحَ في السَّفْرِ وَرَّادٌ فَهَيَّجَنِي ... إنَّ الغَرِيبَ إذا هَيَّجْتَهُ طَرِبَا

---

(١) المرأة البرزة: الموثوق برأيها والتي تظهر للقوم فتجالسهم ويتحدثون إليها.

(٢) افتاتَ بأمره: مضى عليه ولم يستشر أحداً.

(٣) الفيض: اسم لنهر البصرة، وقيل الفيض: ماء لجهينة (معجم ما استعجم ص ١٠٣٦).

إنَّ الغريبَ يَهِيجُ الحُزْنُ صَبْوَتَهُ إذا المُصَاحِبُ حَيَّاهُ وقد رَكِبَا
قد قُلْتُ أمسِ لِوَرَّادٍ وصاحِبِهِ عُوجَا على الخَارِجِيِّ اليومَ واحْتَسِبَا[1]
وأَبْلِغَا أُمَّ سَعْدٍ أنَّ عَانِيَها أَعْيَا على شُفعاءِ النَّاسِ فَاجْتُنِبا[2]
لَمَّا رَأَيْتُ نَجِيَّ القومِ قلتُ لهم هل يَعْدُوَنَّ نَجِيُّ القوم ما كُتِبَا
وقلتُ إنِّي مَتَى أجلبْ شَفَاعَتَكُمْ أندمْ وإنَّ أَشَقَّ الغَيِّ ما اجْتُلِبَا
وإنَّ مِثلي متى يَسْمَعْ مقالتَكُمْ ويعرفِ العينَ يندمْ قبل أن يجبا
إنِّي وما كَبَّرَ الحُجَّاجُ تحملُهم بُزْلُ المَطَايا بِجَنْبَي نَخْلةٍ عُصَبا[3]
وما أَهَلَّ به الدَّاعي وما وَقَفَتْ عُلْيا ربيعة ترمي بِالحَصَى الحَصِبا[4]
جَهْداً لِمَنْ ظنَّ أنِّي سوفَ أُظْعِنُها عن رَبْعِ غانيةٍ أُخْرى لقد كَذَبا
أَأَبْتَغِي الحُسْنَ في أُخْرى وأَتْرُكُها فذاكَ حينَ تركتُ الدِّينَ والحَسَبا
وما انقضى الهَمُّ مِنْ سُعْدَى وما عَلِقَتْ مِنّي الحَبَائِلُ حَتَّى رُمْتُها حِقَبا
وما خلوتُ بها يَوْماً فتُعْجِبُني إلاَّ غَدَا أَكْثَرَ اليَوْمَيْنِ لي عَجَبا
بل أَيُّهَا السَّائِلِي ما ليسَ يُدْرِكُهُ مَهْلاً فإنَّكَ قد كَلَّفْتني تَعَبا
كم من شفيعٍ أَتَاني وهو يَحْسُبُ لي حَسْباً فأُقْصِرُهُ من دونِ ما حَسَبا
فإنْ يكنْ لِهَوَاها أو قَرَابَتِها حُبٌّ قَديمٌ فمَا غَابَ ولا ذَهَبا
هُمَا عَلَيَّ: فَإِنْ أَرْضَيْتُها رضيا عَنّي وإنْ غَضِبَتْ في باطلٍ غَضبا
كَائِنْ ذَهَبْتُ فَرَدَّاني بِكَيْدِهِمَا عَمَّا طلبتُ وجَاءَاها بِمَا طَلَبا
وقد ذهبتُ فلم أصبحْ بِمَنْزِلَةٍ إلاَّ أنازعُ من أسبابِها سَبَبا
وَيْلُمِّها خُلَّةً لو كُنْتِ مُسْجِحَةً أو كُنتَ ترجعُ من عَصْرَيْكَ ما ذهبا
أنتَ الظَّعِينةُ لا تُرْمَى بِرمتها ولا يُفَجِّعُها ابنُ العَمِّ ما اصطحبا

[تعصّبه للعرب]

أخبرني عيسى بنُ الحسين، قال: حَدَّثنا الزبير بن بكار، قال: حَدَّثني سليمان بن عياش السعدي، قال: قَدِمَ أعرابٌ من بني سُليم أَقْحَمَتْهُمُ السَّنةُ إلى

(١) احتسبَ: عمل المعروف وعَدَّ أجره عند الله.
(٢) العاني: الأسير.
(٣) نخلة: وادٍ من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين (معجم البلدان ٥:٢٧٧). والعُصَب: الجماعات.
(٤) الحصب: يريد المحصّب بمنى، وهو موضع رمي الجمار.

الرَّوْحاء[1]، فخطبَ إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء، فزوّجه. فركب محمد بن بشير الخارجيّ إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجيّ على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين، وفرق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير في ذلك: [الوافر]

شَهِدْتُ غَدَاةَ خَصْمِ بَنِي سُلَيْمٍ ... وُجُوهاً من قضائِكَ غيرِ سُودِ
قَضَيْتَ بِسُنَّةٍ وحكمتَ عَدْلاً ... ولم تَرِثِ الحكومةَ مِنْ بَعِيدِ
إذا غُمِزَ القَنَا وُجِدَتْ لَعَمْرِي ... قَنَاتُكَ حينَ تُغْمَزُ خَيْرَ عُودِ
إذا عَضَّ الثِّقَافُ بها اشْمَأَزَّتْ ... أَبِيَّ النَّفْسِ بَائِنَةَ الصُّعودِ
حَمَى حَدَباً لحومَ بناتِ قومٍ ... وهم تحتَ التُّرابِ أبو الوليدِ
وفي المِئَتَيْنِ لِلمَوْلَى نَكَالٌ ... وفي سَلْبِ الحواجبِ والخدودِ
إذا كَافَأْتَهُمْ بِبَنَاتِ كِسْرَى ... فهل يَجِدِ المَوَالي مِنْ مَزِيدِ
فأيّ الحَقِّ أنصفُ لِلمَوَالي ... مِنَ اصْهارِ العبيدِ إلى العبيدِ

حَدَّثني عَمّي، قال: حَدّثنا الزبير بن بكار، قال: حَدّثني سليمان بن عياش، قال: كان للخارجيّ عبد، وكان يتلطّف له ويخدمه، حتى أعتقَهُ وأعطاه مالاً، فعملَ به، وربحَ فيه. ثم احتاج الخارجيُّ بَعْدَ ذلكَ إلى معونةٍ أو قرضٍ في نائبة لحقته، فبعثَ إلى مولاهُ في ذلك، وقد كان المولى أثرى واتّسعَتْ حالُهُ، فحلفَ له أنه لا يملك شيئاً، فقال الخارجي في ذلك: [الطويل]

يَسْعَى لكَ المَوْلَى ذَلِيلاً مُدْقِعاً ... ويَخْذلكَ المَوْلى إذا اشْتَدَّ كَاهِلُهْ
فَأَمْسِكْ عليكَ العَبْدَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... ولا تَنْفَلِتْ من رَاحَتَيْكَ حَبَائِلُهْ

وقال أيضاً: [الطويل]

إذا افتقرَ المَوْلَى سَعَى لكَ جَاهِداً ... لِتَرْضَى وإنْ نَالَ الغِنَى عَنْكَ أَدْبَرَا

[زوجتاه تتأخران عليه فيتزوج ثالثة]

حَدّثني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال: كان محمد بن بشير الخارجيّ بين زوجتين لَهُ، وكانَ يسكن

(١) الرَّوحاء: هي من عمل الفُرْع (معجم البلدان ٣:٧٦).

الرَّوحاءَ، فأجدبَ عليه منزلُهُ، فوجَّهَ غنماً إلى سحابة وقعَتْ بِرُجْفان، وهو جبلٌ يطلّ على مضيق يَلْيل(١)، فشقَّتْ غيبتُهَا عَلَيْهِ. فقال لزوجتَيْهِ: لو تحوّلتما إلى غنمنا. فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيكَ فيه. فمضى وزوّدتَاهُ وَطْبين(٢)، وقالتا له: اجمع لنا اللّبن، ووعدتاه موضعاً من رُجفان يقال له ذو القِشع. فانطلق، فصرف غنمَهُ إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما، فأبطأتا عَلَيْهِ. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا. فجعل يصعد في الجبل وينزل، يتبصرهما فلا يراهما. فبينما هو كذلك إذْ أبصر امرأتين قد نزلَتا، فقالَ: أنزلُ فأتحدّث إليهما، فإذا هو بامرأة مُسِنَّة، ومعها بنت لها شابّة، فأعجبَتْهُ، فقال لها: أَتُزَوِّجينني ابنتكِ هذه؟ قالت: إنْ كنتَ كفوءاً. فانتسبَ لها، فقالت: أعرف النسب ولا أعرف الوجْهَ، ولكنْ يأتي أبوها. فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلبَ. فقال: نعم، وزوّجه إياها. فساق إليها قطعة من غنمِهِ، ثم بنى بها، وانتظر، فلم يَرَ زوجتيه تَقْدَمان عليه، فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه. فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

كَأَنِّيَ مُوفٍ لِلهِلالِ عَشِيَّةً ... بِأسفلِ ذاتِ القِشْعِ مُنْتَظِرَ القَطْرِ
وأنتنَّ تَلْبِسْنَ الجديدةَ بَعْدَما ... طُرِدْتُ بِطَيِّ الوَطْبِ في البُلْقِ والعُفْرِ
فكانَ الَّذي قُلْتُنَّ أَعْدِدْ بِضَاعَةً ... لِنَاهِدَ بيضاءِ التَّرَائِبِ والنَّحْرِ(٣)
كَأَنَّ سُمُوطَ الدُّرِّ منها مُعَلَّقٌ ... بِجَيْداءَ في ضَالٍ بِوَجْرَةَ أو سِدْرِ(٤)
تكونُ بلاغاً ثمَّ لستَ بِمخبرِ ... إذا وُدِيَتْ لي ما وددتنّ من أمري

[شعره في امرأة من مزينة]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب، قال: حدّثني أحمد بن زهير؛ وحدّثني الزبير بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قالا: كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مُزَينة، وكان قومها قد

---

(١) يَليل: قرية قريبة من وادي الصفراء من أعمال المدينة، ووادي يليل يصبّ في البحر (معجم البلدان ٥: ٤٤١).

(٢) الوَطْب: وعاء اللبن.

(٣) النّاهد: التي كعب ثديها. والترائب: جمع التربية: موضع القلادة من الصدر.

(٤) السمط: الخيط الذي انتظم فيه الخرز أو اللؤلؤ. والجيداء: الطويلة العنق. والوَجْرَة: حفرة تجعل للوحوش كمصيدة: والسِّدْر: شجر النَّبِق.

جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبَتْ بلادُ مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن[الكامل]

لـو بَـيَّـنَـتْ لَـكَ يَـوْمَ فِـراقِـهَـا أَنَّ الـتَّـفَـرُّقَ مِـنْ عَـشِـيَّـةَ أَوْ غَـدِ
لَشَكَوْتَ إِذْ عَلِقَ الفُؤَادُ بِهَائِمٍ عَلِقٍ حَبَائِلَ هَائِمٍ لَمْ يُعْهَدِ
وَتَبَرَّجَتْ لَكَ فَاسْتَبَتْكَ بِوَاضِحٍ صَلْتٍ وَأَسْوَدَ في النَّصِيفِ مُعَقَّدِ[١]
بَيْضَاءُ خَالِصَةُ البَيَاضِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ لَيْلَ صَيْفٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِالحُسْنِ ذَات حَوَاسِدٍ إِنَّ الجَمَالَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
لَمْ يُطْغِها سَرَفُ الشَّبابِ وَلَمْ تُضِعْ عَنْهَا مُعَاهَدَةُ النَّصِيحِ المُرْشِدِ
خَودٌ إذا كَثُرَ الكَلامُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى الحَيَاءِ وَإِنْ تُكَلَّمْ تُقْصِدِ
وَكَأَنَّ طَعْمَ سُلافَةٍ مَشْمُولَةٍ تَنْصَبُّ في إِثْرِ السِّواكِ الأَغْيَدِ[٢]
وَتَرى مَدامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً حَوْراءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإِثْمِدِ
ماذا إذا بَرَزَتْ غَدَاةَ رَحِيلِهَا م الحُسْنِ تَحْتَ رِقاقِ تِلْكَ الأَبرِدِ
وُلِدَتْ بِأَسْعَدِ أَنْجُمٍ فَمَحَلُّهَا وَمَسِيرُهَا أَبَداً بِطَلْقِ الأَسْعُدِ
اللهُ يُسْعِدُهَا وَيُسْقِي دَارَهَا خَضِلَ الرَّبَابِ سَرَى وَلَمَّا يُرْعِدِ[٣]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكة، وكانت فيهم أمرأة جميلة، فكان يسايرُها ويحادِثُها. ثُمَّ خطبها إلى نفسِها، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لستَ لي بعشيرٍ، ولا جاري في بلدي، ولا أنا ممن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه. فلم يزل يحادثها ويسايرها حتّى انقضى الحَجُّ، فَفَرَّقَ بينهما نزوعهما إلى أوطانهما، فقال الخارجيُّ في ذلك: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبِّي مِنْ مُخَدَّرَةٍ يَوْماً بدا لي مِنْهَا الكَشْحُ وَالكَتِدُ[٤]
مِنْ رُفقَةٍ صَاحَبُونا فِي نِدَائِهِمُ كُلٌّ حَرَام فَمَا ذُمُّوا وَلاَ حُمِدُوا
حَتَّى إذا البُدْنُ كَانَتْ في مَنَاحِرِها يَعْلُو المَنَاسِمَ مِنْها مُزبِدٌ جَسِدُ[٥]

---

(١) الواضح من الجمال: الأبيض وليس بالشديد البياض. والصَّلْت: الجبين الواسع الواضح. والنصيف: كل ما غطّى الرأس من عمامة أو خِمار أو غيرها.
(٢) السُّلافة: أفضل الخمر. والسّواك الأغيد: الناعم المتثني.
(٣) الخَضِل: النديّ المبتلّ. والرّباب: السحاب الأبيض.
(٤) الكشح: ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظّهر من الجسم. والكَتِد: مجتمع الكتفين من الإنسان.
(٥) البُدْن: جمع البَدَنة: الناقة أو البقرة المقدّمة للذبح في مكّة. والجَسِدُ: الدم اليابس.

وَحلَّقَ القَوْمُ وَاعْتَمُّوا عَمَائِمَهُمْ ... وَاحْتَلَّ كُلُّ حَرَامٍ رَأْسُهُ لَبِدُ
أَقْبَلْتُ أَسْأَلُهَا مَا بَالُ رُفْقَتِهَا ... وَمَا أُبَالِي أَغَابَ القَوْمُ أَمْ شَهِدُوا
فَقَرَّبَتْ لِيَ واحْلَوْلَتْ مَقَالَتُهَا ... وَعَوَّقَتْني وَقَالَتْ بَعْضَ مَا تَجِدُ
أَنَّى يَنَالُ حِجَازِيٌّ بِحَاجَتِهِ ... إِحْدَى بني القَيْنِ أَدْنَى دَارِهَا بَرِدُ[1]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حَدَّثنا الزبير، قال: حَدَّثنا سليمان بن عياش، قال: خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طَلِّق امرأتَكَ حتَّى أتزوّجك. فأبى وانصرف عنها، وقال في ذلك: [البسيط]

أَأَطْلُبُ الحُسْنَ في أُخرى وَأَتْرُكُهَا ... فَذَاكَ حينَ تَرَكْتُ الدِّينَ والحَسَبَا
هيَ الظَّعينَةُ لا يُرْمى بِرُمَّتِهَا ... وَلاَ يُفَجِّعُهَا ابْنُ العَمِّ ما اصْطَحَبَا
فَمَا خَلَوْتُ بِهَا يَوْماً فَتُعْجِبُني ... إلاَّ غَدا أَكْثَرَ اليَوْمَيْنِ لي عَجَبَا

حدّثني عيسى قال: حدّثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجُمَحِيّ، يروي شيئاً مِنْ أخبار الخارجيّ وأشعاره، فأرسلتُ إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال: زعم الخارجيّ، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدوان، وكان يسكن الرَّوْحاءَ، قال: بَيْنَا نحن بالرَّوْحَاءِ في عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته، وإذا بقطارٍ[2] ضخم كثير الثَّقَلِ يهوِي، قادم من المدينة؛ حتى نزلوا بجانب الرَّوْحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي، وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فلبثنا أياماً، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسَل إليَّ النساء يقلنَ: أَمَا لَكُمْ في الحديثِ حاجة؟ فقلت لهنَّ: فكيف برجالِكُنَّ؟ قلنَ: بلغَنَا أَنَّ لكم صاحباً يُعرف بالخارجيِّ، صاحب صيدٍ، فَإِنْ أتاهُمْ فحدَّثَهُمْ عنِ الصَّيْدِ انطلقوا معه، وخلوتم فتحدّثتم، قال: فقلت لسليمان: بئسَ، لَعَمْرُ الله، ما أردتَ مني، أَأَذهبُ إلى القوم فَأَغُرُّهم، وآثَم وأتعب وتنالون أنتم حاجتكم دوني، ما هذا لي برأي. قال لي سليمان: فأنظرْني إذنْ، أُرْسِل إلى النساء وأُخبرهن بقولك. فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت. فقلنَ: قل له احْتَلْ لَنَا عليهم هذه المرة

(١) برد: جبل قريب من تيماء (معجم البلدان ١: ٣٧٧).
(٢) القطار: عدد من الجمال يلي بعضها بعضاً على نسقٍ واحد.

بما قلنا لك، وعلينا أن نحتالَ لَكَ المرةَ الأُخرَى.

قال الخارجيّ: فخرجْتُ حتَّى أتيتُ القَوْمَ فَحَدَّثْتُهُم، وذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم. فخرجت بهم، وأخذت لهم كلاباً وشباكاً، وتزوّدنا لثلاث. وانطلقتُ أُحدثهم وأُلهيهم، فحدّثتهم بالصِّدْق حَتَّى نفِدَ. ثُمَّ حدثتهم بما يشبه الصِّدق حتى نَفِدَ. ثم صرَّحْتُ لهم بمحضِ الكِذْبِ حتّى مَضَتْ ثلاثٌ، وجعلتُ لا أُحدّثهم حديثاً إلا قالوا: صَدَقْتَ. وغبتُ بهم ثلاثاً مَا أعْلَمُ أنَّا عايَنَّا صَيْداً، فقلتُ في ذلك: [البسيط]

إنِّي لأَعْجَبُ مِنِّي كَيْفَ أُفكِهُهُمْ ... أَمْ كَيْفَ أَخْدَعُ قَوْماً ما بِهِمْ حُمُقُ!(١)
أَظَلُّ في البِيدِ أُلهِيهِمْ وَأُخبِرُهُمْ ... أَخْبَارَ قَوْمٍ وَمَا كَانوا وَمَا خُلِقُوا
وَلَوْ صَدَقْتُ لَقُلْتُ القَوْمُ قَدْ قَدِمُوا ... حينَ انْطَلَقْنَا وَآتي سَاعَةَ انْطَلَقُوا
أَمْ كَيْفَ تُحْرَمُ أَيْدٍ لَمْ تَخُنْ أَحَداً ... شَيْئاً وَتَظْفَرُ أَيْديهم وَقَدْ سَرَقُوا
وَنَرْتَمِي الْيَوْمَ حَتَّى لا يكونَ لَهُ ... شَمْسٌ وَيَرْمونَ حَتَّى يَبْرُقَ الأُفُقُ
يَرْمونَ أَحْوَرَ مَخْضُوباً بِغَيْرِ دَمٍ ... دَفْعاً وَأَنْتَ وِشَاحا صَيْدِكَ العَلَقُ
تَسْعَى بِكَلْبَيْنِ تَبْغِيهِ وَصَيْدُهُمُ ... صَيْدٌ يُرَجَّى قَليلاً ثُمَّ يُعْتَنَقُ
مَا زِلْتُ أَحْدُوهُمْ حَتَّى جَعَلْتُهُمُ ... فِي أَصْلِ مَحْنِيَةٍ مَا إنْ بِهَا طَرَقُ(٢)
وَلَوْ تَرَكْتُهُمْ فِيهَا لَمَزَّقَهُمْ ... شَيْخا مُزَيْنَةَ إنْ قَالا انْعِقُوا نَعَقُوا
إنْ كُنْتُمْ أَبَداً جَارَيْ صَديقِكُمُ ... والدَّهْرُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ طُرُقُ
فَمَتِّعُونِي فَإنِّي لا أَرَى أَحَداً ... إلاَّ لَهُ أَجَلٌ في المَوْتِ مُسْتَبَقُ

[رثاؤه لصديقه سليمان بن الحصين]

قال سليمان بن عياش: ومات سليمان بن الحصين هذا، وكان خليلاً للخارجيّ، مصافياً له، وصديقاً مخلصاً، فجزع عليه، وحزن حزناً شديداً، فقال يرثيه: [البسيط]

يَا أَيُّهَا المُتَمَنِّي أَنْ يَكُونَ فَتَى ... مثلَ ابْنِ ليلى لَقَدْ خَلَّى لَكَ السُّبُلاَ
إنْ تَرْحَلِ العِيسَ كَيْ تَسْعَى مَسَاعِيَهُ ... يُشْفَقْ عَلَيْكَ وَتَعْمَلْ دونَ مَا عَمَلا
لَوْ سِرْتَ فِي النَّاسِ أَقْصَاهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ ... في شُقَّةِ الأَرْضِ حَتَّى تُحْسِرِ الإبلا

(١) فاكهه: مازحه.
(٢) الطَّرَق: مناقع الماء.

تَبْغِي فَتًى فَوْقَ ظَهْرِ الأرْضِ مَا وَجَدُوا مِثْلَ الَّذي غَيَّبُوا في بَطْنِهَا رَجُلا
اعْدُدْ ثَلاثَ خِصَالٍ قَدْ عُرِفْنَ لَهُ هَلْ سُبَّ مِنْ أحَدٍ أَوْ سَبَّ أَوْ بَخِلا

قال سليمان بن عياش: لمّا مات عبد العزيز بن مروان، ونُعِيَ إلى أخيه عبدِ الملكِ، تمثَّلَ بأبياتِ الخارجيِّ هذه، وَجَعَلَ يردِّدُهَا ويبكي.

[شعره في امرأة خَفِرَة]

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني عَمّي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً لجلسائه: أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خَفِرَةٍ كريمةٍ، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكتٌ، فقال لي: إيه يابنَ مصعب، أمَا إنَّكَ لو شئت لَكفيتنا سائر اليوم؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أَحْسَنَ محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

[الكامل]

بَيْضَاءُ خَالِصَةُ البَيَاضِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بِالحُسْنِ ذَات حَوَاسِدٍ إنَّ الحِسَانَ مَظَنَّةٌ لِلْحُسَّدِ
وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً حَوْراءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإثْمِدِ
خَوْدٌ إذا كَثُرَ الكَلامُ تَعَوَّذَتْ بِحِمَى الحَيَاءِ وَإنْ تُكَلَّم تُقْصِدِ
لَمْ يُطْغِهَا شَرَفُ الشَّبَابِ وَلَمْ تَضِعْ مِنْهَا مُعَاهَدَةُ النَّصِيحِ المُرْشِدِ
وَتَبَرَّجَتْ لَكَ فَاسْتَبَتْكَ بِوَاضِحٍ صَلْتٍ وَأَسْوَد في النَّصِيفِ معقدِ
وَكَأَنَّ طَعْمَ سُلافَةٍ مَشْمُولَةٍ بِالرِّيقِ فِي أَثَرِ السِّوَاكِ الأَغْيَدِ

فقال الرشيد: هذا واللهِ الشعر، لا ما أنشدتمونيهِ سائِرَ اليومِ! ثمَّ أمر مؤدبَ ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فروّاهما الأبيات.

[شعره في عبدة بنت حسّان المزنيّة لمّا منعته من المبيت عندها]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش قال: كان محمد بن بشير الخارجيّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسان المُزَنية، ويَقِيل عندها أحياناً، وربما باتَ عندها ضيفاً، لإعجابه بحديثها، فَنَهَاها قومُها عنه، وقالوا: ما مبيتُ رجلٍ بامرأةٍ أَيِّم[1]؟ فجاءَها

(١) الأيّم: التي مات عنها زوجها.

ذاتَ يوم، فَلَمْ تدْخِلْهُ خباءَها، وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمسى، فمنعته الْمَبيت، وقالت: لا تَبِتْ عندنا، فيُظنّ بي وبك شَرٌّ، فانصرَفَ وقالَ فيها:

[الطويل]

ظَلَلْتُ لَدَى أَطْنَابِهَا وَكَأَنَّنِي أَسِيرٌ مُعَنًّى فِي مُخَلْخَلِهِ كَبْلُ[1]
أُخَيَّرُ إِمَّا جَلْسَةٌ عِنْدَ دَارِهَا وَإِمَّا مَرَاحٌ لا قَرِيبٌ ولا سَهْلُ
فَإِنَّكِ لَوْ أَكْرَمْتِ ضَيْفَكِ لَمْ يَعِبْ عَلَيْكِ الَّذي تَأْتِينَ حَمْوٌ وَلاَ بَعْلُ
وَقَدْ كانَ يَنْمِيهَا إِلى ذُرْوَةِ العُلاَ أَبٌ لا تَخَطَّاهُ المَطِيَّةُ والرَّحْلُ
فَهَلْ أَنْتِ إِلاَّ جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ يُخَالِطُ مَنْ خَالَطْتِ مِنْ حُبِّكُمْ خَبْلُ
وَهَلْ أَنْتِ إِلاَّ نَبْعَةٌ كَانَ أَصْلُهَا نَضَاراً فَلَمْ يَفْضَحْكِ فَرْعٌ وَلاَ أَصْلُ[2]
صَدَدْتِ امْرأً عَنْ ظِلِّ بَيْتِكِ مَا لَهُ بِوَادِيكِ لَوْلاَكُمْ صَدِيقٌ وَلاَ أَهْلُ

[غزله في امرأة من الأنصار تمتنع عن استقباله]

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان، حتى أتيا امرأةً من الأنصار، من بني ساعدة، فبرزت لهما، وتحدَّثا عندها، وقالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: مَنْ هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي. قالت: لا حاجة بي إلى لقائه، ولا تجيئاني به معكما، فإنكما إنْ أتيتما به لَمْ آذن لكما. فجاءا به معهما، وأخبراه بما قالت لهما، وأجلساه في بعض الطريق، وتقدَّما إليها، فخرجت إليهما، وجاءهما الخارجيّ بعد خروجها إليهما، فرحّبا به، وسلّما عليه، فقالت لهما: مَنْ هذا؟ قالا: هذا الخارجيّ الذي كنا نخبرك عنه. فقالت: والله ما أرى فيه مِنْ خيرٍ، وما أُشبهه إلا بعبدنا أبي الجَون. فاستحيا الخارجيُّ، وجَلَسَ هُنيهةً، ثُمَّ قام من عندها، وعَلِقها قلبه، فقال فيها:

[الوافر]

أَلاَ قَدْ رَابَنِي وَيُرِيبُ غَيْرِي عَشِيَّةَ حُكْمِهَا حَيْفٌ مُرِيبُ[3]
وَأَصْبَحَتِ المَوَدَّةُ عِنْدَ لَيْلَى مَنَازِلَ لَيْسَ لي فِيهَا نَصِيبُ

---

(١) الأطناب: جمع الطُّنُب: حبل تُشَدّ به الخيمة إلى الوتد.
(٢) النبعة: شجرة تُتَّخَذ منها القِسِيّ ومن أغصانها تصنع السهام.
(٣) الحيف: الظلم.

ذَهَبْتُ وَقَدْ بَدا لِيَ ذاكَ مِنْهَا لأهْجُوَهَا فَيَغْلِبني النَّسِيبُ
وَأَنْسَى غَيْظَ نَفْسِي إنَّ قَلْبِي لِمَنْ وَادَدْتُ فَيْئَتُهُ قَرِيبُ
فَلاَ قَلْبٌ مُصِرٌّ كُلَّ ذَنْبٍ وَلاَ رَاضٍ بِغَيْرِ رِضَا، غَضُوبُ
فَدَعْهَا لَسْتَ صَاحِبَهَا وَرَاجِعْ حَدِيثَكَ إنَّ شَأْنَكُمَا عَجِيبُ

قال: وبلغ الأشجعيَّة زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيَّرَتْهُ بذلك، وكانت، إذا أرادت غيظه، كَنَّته أبا الجَون، فقال في ذلك: [الطويل]

وأيدي الهَدَايا مَا رَأَيْتُ مُعَاتِباً مِنَ النَّاسِ إلاَّ السَّاعِدِيَّةُ أَجْمَلُ
وَقَدْ أَخْطَأَتْنِي يَوْمَ بَطْحَاءَ منعم لَهَا كِفَفٌ يُصْطَادُ فيها وَأَحْبُلُ
وَقَدْ قَالَ أَهْلِي خَيْرَ كَسْبٍ كَسِبْتَهُ أبو الجَوْنِ فَاكْسَبْ مِثْلَهَا حِينَ تَرْحَلُ
فَإنْ بَاتَ إيضَاعِي بِأَمْرٍ مَسَرَّةٌ لكن فَمَا تَسْخِطَنَّ فِي العَيْشِ أَطْوَلُ

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثَيِّر، بمكة، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقْنَ، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ، وتستنشده شعرَهُ حتَّى أصبحوا؛ فقال لهم رجل مرَّ بهم: أمَا تبرحونَ عن هذا الشِّعْرِ وَأَنْتُم حُرُمٌ، ولا تَدَعون إنشاده وقول الزوّر في المسجد! فقالت المرأة: كذبتَ لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السَّلامُ والحديثُ حَرَامٌ عَلَى مُحْرِمٍ ولا مُحِلٍّ. فانصرفَ الرَّجُلُ. وقال فيها الخارجيُّ: [الوافر]

أَمَا لَكَ أَنْ تَزورَ وَأَنْتَ خِلْوٌ صَحِيحُ القَلْبِ أُخْتَ بَنِي غِفَارِ؟
فَمَا بَرِحَتْ تُعِيرُكَ مُقْلَتَيْهَا فَتُعْطِيكَ المَنِيَّةَ في اسْتِتَارِ
وَتَسْهُو في حَدِيثِ القَوْمِ حَتَّى يُبِينَ بَعْضُ ذلكَ مَا تُوَارِي
فَمُتْ يا قَلْبُ مَا بِكَ مِنْ دِفَاعٍ فَيُنْجِيَكَ الدِّفَاعُ ولا فَرَارِ
فَلَمْ أَرَ طَالِباً بِدَمٍ كَمِثْلِي أَوَدَّ وَحُسْن مَطْلُوبٍ بِثَارِ
إذا ذكروا بِثَأْرِي قُلْتُ سَقْياً لِثَأْرِي ذِي الخَوَاتِم والسِّوَارِ
وَمَا عَرَفَتْ دَمِي فَتَبُوءَ مِنْهُ بِرَهْنٍ فِي حِبَالِي أَوْ ضِمَارِ[1]
وَقَدْ زَعَمَ العَوَاذِلُ أَنَّ يَوْمِي وَيَوْمِكِ بالمُحَصَّبِ ذِي الجِمَارِ

(١) الضِّمار: المال لا يُرجى عودته.

مِـنَ الإِغْـبَـاءِ ثُـمَّ زَعَـمْـتِ أَنْ لاَ وَقـلـتِ لَـدَى الـتَّـنَـازُعِ والـتَّـمَـارِ(١)
كَـذَبْـتُـمْ مَـا الـسَّـلاَمُ بِـقَـوْلِ زُوْرٍ وَمَـا الـيَـوْمُ الـحَـرَامُ بِـيَـوْمِ ثَـارِ
وَلاَ تَـسْـلِـيـمُـنَـا حُـرُمـاً بِـإِثْـمٍ وَلاَ الـحُـبُّ الـكَـرِيـمُ لَـنَـا بِـعَـارِ
فَـإِنْ لَـمْ نَـلْـقَـكُـمْ فَـسَـقَـى الـغَـوَادِيَ بِـلادَكِ والـرَّوِيَّـاتُ الـسَّـوَارِي(٢)

قال سليمان: وفي هذه المرأة يقول الخارجيُّ وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا: [البسيط]

يَـا أَحْـسَـنَ الـنَّـاسِ لَـوْلاَ أَنَّ نَـائِـلَـهَـا قِدْماً لِمَنْ يَبْتَغِي مَيْسُورَهَا عَسِرُ
وَإِنَّـمَـا دَلُّـهَـا سِـحْـرٌ تَـصِـيـدُ بِـهِ وَإِنَّـمَـا قَـلْـبُـهَـا لِـلْـمُـشْـتَـكِـي حَـجَـرُ
هَلْ تَـذْكُـرِيـنَ كَـمَـا لَـمْ أَنْـسَ عَـهْـدَكُـمُ وَقَـدْ يَـدُومُ لِـعَـهْـدِ الـخُـلَّـةِ الـذِّكَـرُ
قَـوْلِـي وَرَكْـبُـكِ قَـدْ مَـالَـتْ عَـمَـائِـمُـهُـمْ وَقَـدْ سَـقَـاهُـمْ بِـكَـأْسِ الـشّـقْـوَةِ الـسَّـفَـرُ
يَـا لَـيْـتَ أَنِّـي بِـأَثْـوَابِـي وَرَاحِـلَـتِـي عَـبْـدٌ لأَهْـلِـكِ هَـذا الـعَـامَ مُـؤْتَـجَـرُ
فَـقَـدْ أَطَـلْـتِ اعْـتِـلالاً دُونَ حَـاجَـتِـنَـا بِـالـحَـجِّ أَمْـسِ فَـهَـذا الـحِـلُّ والـسَّـفَـرُ
مـا بَـالُ رَأْيِـكِ إِذْ عَـهْـدِي وَعَـهْـدُكُـمُ إِلْـفَـانِ لَـيْـسَ لَـنَـا فِـي الـوُدِّ مُـزْدَجَـرُ(٣)
فَـكَـانَ حَـظُّـك مِـنْـهَـا نَـظْـرةً طَـرَفَـتْ إِنْـسَـانَ عَـيْـنِـك حَـتَّـى مَـا بِـهَـا نَـظَـرُ
أَكُـنْـتِ أَبْـخَـلَ مَـنْ كَـانَـتْ مَـوَاعِـدُهُ دَيْـنـاً إِلَـى أَجَـلٍ يُـرْجَـى وَيُـنْـتَـظَـرُ
وَقَـدْ نَـظَـرْتُ وَمَـا أَلْـفَـيْـتُ مِـنْ أَحَـدٍ يَـعْـتَـادُهُ الـشَّـوْقُ إِلاَّ بَـدْؤُهُ الـنَّـظَـرُ
أَبْـقَـتْ شَـجِـيَ لَـكِ لا يُـنْـسَـى وَقَـادِحَـةً فِي أَسْوَدِ القَلْبِ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا أَخِرُ(٤)
جِـنِّـيَّـةٌ أَوْ لَـهَـا جِـنٌّ يُـعَـلِّـمُـهَـا رَمْـيَ الـقُـلُـوبِ بِـقَـوْسٍ مَـا لَـهَـا وَتَـرُ
تَـجْـلُـو بِـقَـادِمَـتَـيْ وَرْقَـاءَ عَـنْ بَـرَدٍ حُـمْـرِ الـمَـفَـاغِـرِ فِـي أَطْـرَافِـهَـا أَشَـرُ(٥)
خَـوْدٌ مُـبَـتَّـلَـةٌ رَيَّـا مَـعَـاصِـمُـهَـا قَـدْرَ الـثِّـيَـابِ فَـلاَ طُـولٌ وَلاَ قِـصَـرُ
إِذَا مَـجَـاسِـدُهَـا اغْـتَـالَـتْ فَـوَاصِـلَـهَـا مِـنْـهَـا رَوَادِفُ فَـعْـمَـاتٌ وَمُـؤْتَـزَرُ(٦)

---

(١) الإغباء: الإخفاء.
(٢) الرَّوِيُّ من الماء: الكثير المُرْوي، والسواري: جمع السارية: المطرة التي تسقط ليلاً أو السحابة.
(٣) المزدجر: المانع والناهي.
(٤) القادحة: السّوسة التي تنخر الشجر والأسنان. وأسود القلب: سويداؤه. والأخِرُ: الأبعد.
(٥) الورقاء: الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة. والمفاغر: جمع المفغر: مشقّ الفم وهنا يريد الشفتين. والأشر: حدّة ورقّة في أطراف الأسنان.
(٦) المجاسد: جمع المجسد: الثوب الذي يلي الجسد. والفعمات: الممتلئات.

إنْ هَبَّتِ الرِّيحُ حَنَّتْ في وَشَائِحِهَا كَمَا يُجَاذِبُ عُوْدَ القَيْنَةِ الوَتَرُ[١]
بَيْضَاء تَعْشو بِهَا الأَبْصَارُ إِنْ بَرَزَتْ فِي الحَجِّ لَيْلَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ القَمَرُ
أَلاَ رَسُولٌ إِذَا بَانَتْ يُبَلِّغُهَا عَنَّا وَإِنْ لَمْ تُؤَلِّفْ بَيْنَنَا المِرَرُ[٢]
أَنِّي - بِآيَةِ وَجْدٍ قَدْ ظَفِرْتِ بِهِ مِنِّي وَلَمْ يَكُ فِي وَجْدِي بِكُمْ ظَفَرُ
- قَتِيلُ يَوْمَ تَلاَقَيْنَا وَأَنَّ دَمِي عَنْهَا وَعَمَّنْ أَجَارَتْ مِنْ دَمِي هَدَرُ
تَقْضينَ فِيَّ وَلاَ أَقْضِي عَلَيْكِ كَمَا يَقْضِي المَليكُ عَلَى المَمْلُوكِ يَقْتَسِرُ
إنْ كَانَ ذَا قَدَراً يُعْطِيكِ نَافِلَةً مِنَّا وَيَحْرِمُنَا، مَا أَنْصَفَ القَدَرُ

[زواجه بامرأة من عدوان ثم طلاقه لها وندمه]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: كان الخارجيّ قدم البصرة، فتزوَّج بها امرأةً من عَدْوان، كانت موسرةً، فأقام عندها بالبصرة مدَّة، ثم توخَّمَ[٣] البصرة، فطالَبَها بِأَنْ ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركةٍ مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع، وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق، فإما أن أقمتَ ها هنا أو طلقتني. فطلقها وخرج إلى الحجاز، ثم ندمَ وتَذَكَّرَهَا، فقال: [الكامل]

دامَتْ لِعَيْنِكَ عَبْرَةٌ وَسُجُومُ وَثَوَتْ بِقَلْبِكَ زَفرَةٌ وهُمُومُ
طَيْفٌ لِزَيْنَبَ مَا يَزَالُ مُؤَرِّقِي بَعْدَ الهُدُوِّ فَمَا يَكَادُ يَرِيمُ[٤]
وَإذا تَعَرَّضَ في المَنَام خَيَالُهَا نَكَأَ الفُؤَادَ خَيَالُهَا المَحْلُومُ
أَجَعَلْتِ ذَنْبَكِ ذَنْبَهُ وَظَلَمْتِهِ عِنْدَ التَّحَاكُم وَالمُدِلُّ ظَلُومُ
وَلَئِنْ تَجَنَّيْتِ الذُّنُوبَ فَإِنَّهُ ذو الدَّاءِ يَعْذِرُ والصَّحِيحُ يَلُومُ
وَلَقَدْ أَرَاكِ غَدَاة بِنْتِ وَعَهْدُكُمْ فِي الوَصْلِ لا حَرِجٌ ولا مَذْمُومُ
أَضْحَتْ تُحَكِّمُكِ التَّجارِبُ والنُّهَى عَنْهُ، ويُكْلِفُهُ بِكِ التَّحْكِيمُ

(١) حَنَّت: صوّتت. والوشائح: جمع الوشاح: وهو حليٌ ينسج من الجلد العريض ويرصّع بالجواهر وتشدّه المرأة على خصرها.
(٢) المِرَرُ: جمع المرّة: طاقة الحبل وقوّته.
(٣) توخّم البصرة: لم يوافقه هواها.
(٤) الهُدوّ: الهدوء: أي حين هدأ الليل. ويريم: يقيم ويثبت.

صوت

بَرَأَ الأُلى عَلِقوا الحَبَائِلَ قَبْلَهُ فَنَجَوا وَأَصْبَحَ في الوَثَاقِ يَهِيمُ
وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكِ فَعَاقَنِي عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَدِيمُ
ضَعُفَتْ مَعَاهِدُ حُبِّهِنَّ مَعَ الصِّبَا وَمَعَ الشَّبَابِ فَبِنَّ وَهُوَ مُقِيمُ[1]
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ وَعَلَى جَفَائِكِ إِنَّهُ لَكَرِيمُ
وَجَنَيْتِ حِينَ صَحَحْتِ وَهُوَ بِدَائِهِ شَتَّانَ ذاكَ مُصَحَّحٌ وَسَقِيمُ
وأَدَيْتِهِ زَمَناً فَعَاذَ بِحِلْمِهِ إِنَّ المُحِبَّ عَنِ الحَبِيبِ حَلِيمُ[2]
وَزَعَمْتِ أَنَّكِ تَبْخَلِينَ وَشَفَّهُ شَوْقٌ إِلَيْكِ، وَإِنْ بَخُلْتِ، أَلِيمُ[3]

غَنَّى في هذه الأبيات الدارِمِيّ خفيفَ رمل بالوسطى عن الهشامي؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق، وهو الذي يغنى الآن، ويتعارفه الناس.

[رثاؤه لأبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال: كان الخارجيّ منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وكان يكفيه مؤونته، ويُفضِلُ عليه، ويعطيه في كلِّ سنةٍ ما يكفيه ويُغنيه، ويغني قومَهُ وعياله، من البُرِّ والتَّمْرِ والكسوة في الشتاء والصيف. ويُقطِعُهُ القطعةَ بَعْدَ القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعاً إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به برّ، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل[4]، وكان الخارجي ينزل الرَّوْحَاء، فقال يرثيه: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا النَّاعِي ابْنَ زَيْنَبَ غَدْوَةً نَعَيْتَ النَّدَى دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَمْسَى قِرَى الضَّيْفِ عَاتِماً بِذِي الفَرْشِ لَمَّا غَيَّبَتْكَ المَقَابِرُ[5]

---

(١) المعاهد: جمع المعهد: المنزل المعهود به الشيء، أو المكان الذي لا يزال القوم يرجعون إليه بعد ابتعادهم عنه.
(٢) أديته: خادعته.
(٣) شَفّه الشوق: أضعفه.
(٤) الفَرْش: وادٍ بين غميس الحمام وملل (معجم البلدان ٤: ٢٥٠). ومَلل: وادٍ ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصبّ في الفرش (معجم البلدان ٥: ١٩٤).
(٥) العاتم: البطيء.

إذا سَــوَّفُــوا نَــادَوا صَــدَاكَ وَدُونَــهُ صَفِيحٌ وَخوَّارٌ مِنَ التُّرْبِ مَائِرُ(١)
يُنَادُونَ مَنْ أَمْسَى تَقَطَّعُ دُونَهُ مِنَ البُعْدِ أَنْفَاسُ الصُّدورِ الزَّوَافِرُ
فَقُومِي اضْرِبِي عَيْنَيْكِ يا هِنْدُ لَنْ تَرَيْ أَباً مثله تَسْمُو إِلَيْهِ المَفَاخِرُ

قال الزبير: فحدّثني سليمان بن عياش، قال: كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعَتْ عليه جزعاً شديداً، ووجِدَتْ وَجْداً عظيماً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أنْ يدخل إليها، فيعزّيَهَا ويسلّيها عن أبيها، فدخل إليها معه، فلمَّا نظر إليها صاح بأعلى صوته:

[الطويل]

قُومِي اضْرِبِي عَيْنَيْكِ يا هِنْدُ لَنْ تَرَيْ أَباً مِثْلَهُ تَسْمُو إِلَيْهِ المَفَاخِرُ
وَكُنْتِ إذا فَاخَرْتِ أَسْمَيْتِ وَالِداً يَزِينُ كَمَا زَانَ اليَدَيْنِ الأَسَاوِرُ
فَإِنْ تُعْوِلِيهِ يَشْفِ يَوْماً عَوِيلُهُ غَلِيلَكِ أَوْ يَعْذُرْكِ بِالنَّوْحِ عَاذِرُ
وَتُحْزِنكِ لَيلاتٌ طِوالٌ وَقَدْ مَضَتْ بِذِي الفَرْشِ لَيْلاتٍ تُسِرُّ قَصَائِرُ
فَلَقَاهُ رَبٌّ يَغْفِرُ الذَّنْبَ رَحْمَةً إذا بُلِيَتْ يَوْمَ الحِسَابِ السَّرَائِرُ
إذا ما ابْنُ زَادِ الرَّكْبِ لَمْ يُمْسِ لَيْلَةً قَفَا صفِرٍ لَمْ يَقْرَبِ الفَرْشَ زَائِرُ(٢)
لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَواصِرُ

قال: فقامت هند، فصَكَّتْ وجهها وعينيها، وصاحت بِوَيْلها وحَرَبها(٣)، والخارجيّ يبكي معها، حتى لقيا جهداً، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دعوتك ويحك؟ فقال له: أفظننت أني أُعزّيها عن أبي عبيدة؟ والله ما يسلّيني عنه أحد؛ ولا لي عنه ولا عن فقده صبر، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده!

[مدحه لزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام]

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

---

(١) الصفيح: الشيء العريض الذي يغطّي الأشياء وهنا يريد ما يغطّي القبر. والتراب الخوّار: الذي ارتخى من كثرة المطر وساح.

(٢) زاد الرَّكْب: هنا زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جدّ أبي عبيدة. وأزواد الركب ثلاثة من قريش: مسافر بن أبي عمرو، وأبو أميّة بن المغيرة، وزمعة هذا. ولقّبوا بذلك لأن أحداً لم يكن يتزوّد إذا كان مسافراً معهم فكانوا يكفونه الزاد. والفرش: اسم وادٍ بين المدينة وملل.

(٣) الحَرَب: الهلاك والويل.

وعد رجلٌ محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص، فَمَطَله[١]، فقال فيه يذمّه، ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: [الطويل]

لَـعَـلَّـكَ والْـمَـوْعُـودُ حُـقَّ وَفَـاؤُهُ بَـدَا لَـكَ فِـي تِـلْـكَ الـقَـلـوصِ بَـدَاءُ
فَـإِنَّ الَّـذي أَلْـقَـى إذا قَـالَ قَـائِـلٌ مِنَ النَّاسِ: هَلْ أَحْسَسْتَهَا لَعَنَاءُ
يَقُولُ الَّذي يُبْدِي الشَّمَاتَ وَقَوْلُهُ عَـلَـيَّ وإِشْـمَـاتُ الـعَـدُوِّ سَـواءُ
دَعَوْتُ ـ وَقَدْ أَخْلَفْتَنِي الوَعْدَ ـ دَعْوةً بِـزَيْـدٍ فَـلَـمْ يَـضْـلِـلْ هُـنَـاكَ دُعَـاءُ
بِـأَبْـيَـضَ مِـثْـلَ الـبَـدْرِ عَـظَّـمَ حَـقَّـهُ رِجَـالٌ مِـن آلِ الـمُـصْـطَـفَـى وَنِـسَـاءُ

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعثَ إليه بقَلوص من خِيار إبله، فقال يمدحه: [الطويل]

إذا نَـزَلَ ابْـنُ الـمُـصْـطَفَـى بَـطْـنَ تَـلْـعَـةٍ نَفَى جَدْبَهَا واخْضَرَّ بالنَّبْتِ عُودَهَا[٢]
وَزِيـدَ رَبِـيـعُ الـنَّـاسِ فِـي كُـلِّ شَـتْـوَةٍ إذا أَخْـلَـفَـتْ أَنْـواؤُهَـا وَرُعُـودُهَـا
حَـمُـولٌ لأَشْـنَـاقِ الـدِّيَـاتِ كَـأَنَّـهُ سِـرَاجُ الـدُّجَـى إِذْ قَـارَنَـتْـهُ سُـعُـودُهَـا

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: نظر الخارجيُّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرِجَ، فهتف بهم، فقال: [السريع]

أَلَـمْ تَـرَوْا أَنَّ فَـتًـى سَـيِّـداً رَاحَ عَـلَـى نَـعْـشِ بَـنِـي مَـالِـكِ
لا أَنْـفَـسُ الـعَـيْـشَ لِـمَـنْ بَـعْـدَهُ وَأَنـفَـسُ الـهُـلْـكَ عَـلَـى الـهَـالِـكِ[٣]

وقال فيه أيضاً: [الطويل]

أَلاَ أَيُّـهَـا الـبَـاكِـي أَخَـاهُ وَإِنَّـمَـا تَـفَـرَّقَ يَـومَ الـفَـدْفَـدِ الأَخَـوَانِ
أَخِـي يَـوْمَ أَحْـجَـارِ الـثُّـمَـام بَـكَـيْـتُـهُ وَلَـوْ حُـمَّ يَـوْمِـي قَـبْـلَـهُ لَـبَـكَـانِـي[٤]
تَـدَاعَـتْ بِـهِ أَيَّـامُـهُ فَـاخْـتَـرَمْـنَـهُ وَأَبْـقَـيْـنَ لـي شَـجْـواً بِـكُـلِّ زَمَـانِ
فَلَيْتَ الَّذِي يَنْعَى سُلَيْمَانَ غُدوةً بَـكَـى عِـنْـدَ قَـبْـرِي مِـثْـلَـهَـا وَنَـعَـانِـي
فَلَوْ قُسِّمَتْ فِي الجنِّ والإِنْسِ لَوْعَتِي عَـلَـيْـهِ بَـكَـى مِـنْ حَـرِّهَـا الـثَّـقَـلانِ[٥]

---

(١) مَطَله: سَوَّفه ووعده مرّة بعد أُخرى.
(٢) التّلعة: ما انهبط من الأرض وانحدر.
(٣) نَفِسَ يَنْفَسُ بالشيء: ضَنَّ به.
(٤) الثمامة: صخيرات الثمام: موضع على طريق مكة من المدينة (معجم البلدان ٢: ٨٤).
(٥) الثَّقَلان: الإنس والجنّ.

وَلَوْ كَانَتِ الأَيَّامُ تَطْلُبُ فِدْيَةً إِلَيْهِ وَصَرْفُ الدَّهْرِ مَا أَلْوَانِي

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمي الأَرْوَى[١] ومعه جماعة، فيهم رجل من الموالِي من أهل السَّيَالة[٢]، فصعد المولى على صفاة[٣] بيضاء يرمي من فوقها، فَزَلّتْ قدمُهُ عَنْهَا، فصاحَ حَتَّى سقط على الأرض، وأحْدَثَ في ثيابِهِ، فقال الخارجيّ في ذلك:

[الرجز]

حُرِّقَ يَا صَفَاةُ فِي ذُرَاكِ بِالنَّارِ إِنْ لَمْ تَمْنَعِي أَرْوَاكِ
تَعَلَّمِي أَنْ بِذِي الأَرَاكِ أَيَّتُهَا الأَرْوَى ـ ذَوِي عِرَاكِ[٤]
قَوْماً أَعَدُّوا شَبَكَ الشُّبَاكِ يَبْغُونَ ضَبْعاً قَتَلَتْ أَبَاكِ
نِعْمَ مُلَوِّي الحِيَدِ المَدَاكِ إِذْ صَوْتُ الجَالِبِ فِي أُخْرَاكِ[٥]
وَلَمْ يَقُلْ مُنْتَصِحاً: إِيَّاكِ بَيْنَ مَقَاطِيهَا رَكِبْتِ فَاكِ[٦]
فَعُدْتِ والطَّعْنُ عَلَى كُلاكِ مِثْلَ الأَضَاحِي بِيَدِ النُّسَّاكِ
يُرمَى بِالأَكْتَافِ عَلَى الأَوْرَاكِ كَمَا أَطَحْتِ العَبْدَ عَنْ صَفَاكِ
أَمَّا السَّيَالِيُّ فَلَنْ يَنْسَاكِ لَوْ يَرْتَمِيكِ النَّاسُ مَا رَمَاكِ

أخبرني عيسى، قال: حَدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: كانت عند الخارجيّ بنت عَمٍّ له، فهجاه بعضُ قرابتها، فأجابه الخارجيُّ، فغضبت زوجته وقالت: هجوتَ قرابتي. فقال الخارجي في ذلك: [الوافر]

أَمَّا مَا أَقُولُ لَهُمْ فَعَابَتْ عَلَيَّ وَقَدْ هُجِيتُ فَمَا تَعِيبُ
فَرُمْتُ وَقَدْ بَدَا لِيَ ذَاكَ مِنْهَا لأَهْجُوَهَا فَيَمْنَعُنِي النَّسِيبُ
فَلاَ قَلْبٌ يُبَصَّرُ كُلَّ ذَنْبٍ ولا رَاضٍ بِغَيْرِ رِضَا، غَضُوبُ

(١) الأروى: جمع الأُرويّة والإرويّة: ضأن الجبل وتستعمل للأنثى والذكر.
(٢) السيّالة: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة (معجم البلدان ٣: ٢٩٢).
(٣) الصفاة: الحجر الضخم الصَّلد.
(٤) الأراك: هو وادي قرب مكة (معجم البلدان ١: ١٣٥). وذوي عراك: يكني به عن نفسه وأصحابه من أهل الصيد.
(٥) الحيد: جمع حيدة: هي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل. والمداك: الحجر يسحق عليه الطِّيب، شبّه قرن الأروية به.
(٦) المقاطي: جمع مقطى: موضع القطاة: العجز.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني مصعب قال: وحدّثني الزبير عن سليمان بن عياش، قالا: تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة، وقد أَسَنَّ وأسنّت زوجته العَدوانيّة. فضربت دونه حِجاباً، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسنَ عندها، يلهونَ ويتغنَّين ويضربنَ بالدفوف، وعرف ذلك محمد فقال: [الطويل]

لَئِنْ عَانِسٌ قَدْ شَابَ مَا بَيْنَ قَرْنِهَا إِلَى كَعْبِهَا وابيضَّ عَنْهَا شَبَابُهَا[1]
صَبَتْ في طِلابِ اللَّهْوِ يَوْماً وعَلَّقَتْ حِجَاباً لَقَدْ كَانَتْ يَسِيراً حِجَابُهَا
لَقَدْ مُتِّعَتْ بِالْعَيْشِ حَتَّى تَشَعَّبَتْ مِنَ اللَّهْوِ إِذْ لا يُنْكِرُ اللَّهْوَ بابُهَا[2]
فَبِينِي بِرُغْمٍ ثُمَّ ظَلِّي فَرُبَّمَا ثَوى الرُّغْمُ مِنْهَا حَيْثُ يَثوِي نِقَابُها
لِبَيْضَاءَ لَمْ تُنْسَبْ لِجِدٍّ يَعيبُهَا هِجَانٍ وَلَمْ تَنبَحْ لَئيماً كِلاَبُهَا
تَأَوَّدُ في المَمْشَى كَأَنّ قِنَاعَهَا عَلَى ظَبْيَةٍ أَدْمَاءَ طَابَ شَبَابُهَا[3]
مُهَفْهَفَةُ الأَعْطَافِ خَفَّاقَةُ الحَشَى جَمِيلٌ مُحَيَّاهَا قَلِيلٌ عِتَابُهَا
إذا مَا دَعَتْ بابْنَيْ نِزارٍ وَقَارَعَتْ ذَوِي المَجْدِ لَمْ يُرْدِدْ عَلَيْهَا انْتِسَابُهَا

[إبراهيم بن هشام يصله بعد استعطاف]

حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي عن الضحّاك بن عثمان، قال: لمَّا وَلِيَ إبراهيم بن هِشام الحَرَمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ، وكان له قبل ذلك صديقاً. فأَعرضَ عنه، ولم يظهر له بشاشةً ولا أُنساً. ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تَيَّاهاً، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذَاهُ صاح به: [البسيط]

يابْنَ الهِشَامَيْنِ طُرًّا حُزْتَ مَجْدَهُمَا وَمَا تَخَوَّنَهُ نَقْضٌ وَإِمْرارُ[4]
لا تُشْمِتَنَّ بِيَ الأَعْدَاءَ إِنَّهُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سُمَّاعٌ ونُظَّارُ
وَإِنَّ شُكْرِيَ إِنْ رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ فِي ذِمَّةِ اللهِ إِعْلاَنٌ وَإِسْرَارُ

(١) ابيضّ شبابها: ابيضّ شعرها.
(٢) تشعّبت: تغيّرت أخلاقها.
(٣) الأدماء: التي لونها مشرب بالبياض.
(٤) طُرًّا: جميعاً.

فَاكْرزْ بِنَائِلِكَ الـمَحْمُود مِنْ سعةٍ عَـلَـيَّ إنَّـكَ بِـالْـمَـعْـرُوفِ كَـرَّارُ

فقال لحاجبه: قُلْ له يرجعْ إليّ إذا عُدْت. فرجع، فأدخله إليه، وقضى دينه، وكساه ووصله، وعاد إلى ما عهده منه.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب عن أبيه قال: عَثَر بعروة بن أُذَينة حمارُهُ عند ثنية العُوَيقِل(١)، فقال عروة: [البسيط]

لَيْتَ العُوَيقلَ مَسْدُودٌ وأَصْبَحَ مِنْ فَوْقِ الثَّنِيَّةِ فِيهِ رَدْمُ يَأْجُوج
فَتَسْتَريحَ ذَوو الحَاجَاتِ مِنْ غِلَظٍ وَيَسْلُكَ السَّهْلَ يَمْشِي كُلُّ مَنْتُوجِ(٢)

فقال محمد بن بشير الخارجيّ يردّ عليه: [البسيط]

سُبْحَانَ رَبِّكَ تُبْ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ مَا يَسْدُدِ اللهُ يُصْبِحْ وَهْوَ مَرْتوجُ(٣)
وَهَلْ يُسَدُّ وَلِلْحُجَّاجِ فِيهِ إذا مَا أَصْعَدوا فِيهِ تَكْبِيرٌ وَتَلْجِيجُ(٤)
مَا زَالَ مُنْذُ أَذَلَّ اللهُ مَوْطِئَهُ وَمُنْذُ آذَنَ أَنَّ البَيْتَ مَحْجُوجُ
يَهْدِي لَهُ الوَفْدَ وَفْدَ اللهِ مَطْرِبَةٌ كَأَنَّهُ شُطَبٌ بِالقِدِّ مَنْسُوجُ(٥)
خَلِّ الطَّرِيقَ إلَيْهَا إنَّ زَائِرَهَا والسَّاكِنِينَ بِهَا الشُّمُّ الأَبَالِيجُ(٦)
لا يَسْدُدِ اللهُ نَقْباً كَانَ يَسْلُكُهُ الـ بِيضُ البَهَالِيلُ والعُوجُ العَنَاجِيجُ(٧)
لَوْ سَدَّهُ اللهُ يَوْماً ثُمَّ عَجَّ لَهُ مَنْ يَسْلكُ النَّقْبَ أَمْسَى وَهوَ مَفْرُوجُ

[شعره في أخيه]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب، قال: كان

(١) العُوَيْقل: نقب في موضع يقال له الجياء بين شويلة والحورة، ومن أودية الحورة هذه وادٍ يسكنه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون والخارجيون رهط الشاعر.
(٢) المنتوج: المولود.
(٣) المرتوج: المغلَق.
(٤) التلجيج: اختلاط الأصوات وارتفاعها.
(٥) المَطربة: الطريق الضيّق في الجبل. والشُّطَب: جمع الشُّطبَة: الخط في متن السيف أو نحوه.
(٦) الأباليج: جمع أبلج: الأبيض النقيّ الوجه.
(٧) النَّقب: الطريق. والبهاليل: جمع البهلول: السيّد. والعوج: جمع العوجاء: الناقة الضامرة والعناجيج: جمع العنجوج من النوق: النجيبة الطويلة العنق.

للخارجيّ أَخٌ يقال له بَشّار بن بشير، وكان يجالس أعداءه، ويعاشر مَنْ يعلم أنه مُباينٌ له. وفيه يقول: [الوافر]

وَإِنّي قَدْ نَصَحْتُ فَلَمْ تُصَدِّقْ بِنُصْحِي وَاعْتَدَدْتُ فَمَا تُبَالِي
وَإِنّي قَدْ بَدَا لِيَ أَنَّ نُصْحِي لِغَيْبِكَ واعْتِدَادي فِي ضَلالِ
فَكَمْ هٰذا أَذُودُكَ عَنْ قِطَاعِي كَتَذْوِيدِ المُحَلَّأَةِ النِّهَالِ(١)
فَلاَ تَبْغِ الذُّنُوبَ عَلَيَّ واقْصِدْ لأَمْرِكَ مِنْ قِطَاعٍ أَوْ وِصَالِ
فَسَوْفَ أَرَى خِلاَلَكَ مَنْ تُصَافِي إِذا فَارَقْتَنِي وَتَرى خِلاَلِي(٢)
وَإِنَّ جَزَاءَ عَهْدِكَ إِذْ تَوَلَّى بِأَنْ أُغْضِي وَأَسْكُتَ لا أُبَالِي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: كان الخارجيّ معجباً بزوجته سُعدَى، وكانت من أسوأ الناس خُلقاً، وأشدّه على عَشِير، فكان يلقَى منها عَنَتاً. فغاضَبها يوماً لقولٍ آذَتْهُ به، واعتزلها، وانتقل إلى زوجته الأُخرى، فأقام عندها ثلاثاً. ثم اشتاق إلى سُعدى، وتذكّرها، وبدا له في الرجوع إلى بيتها، فتحوّل إليها، وقال: [الطويل]

أَرَانِي إِذَا غَالَبْتُ بِالصَّبْرِ حُبَّهَا أَبَى الصَّبْرُ مَا أَلْقَى بِسُعْدى فَأُغلَبُ
وَقَدْ عَلِمَتْ عِنْدَ التَّعَاتُبِ أَنّنا إِذا ظَلَمَتْنَا أَوْ ظَلَمْنَا سَنُعْتِبُ
وَإِنّي وَإِنْ لَمْ أَجْنِ ذَنْباً سَأَبْتَغِي رِضَاهَا وَأَعْفُو ذَنْبَها حِينَ تُذْنِبُ
وَإِنّي وَإِنْ أُنْبِتُ فِيهَا يَزِيدُنِي بِهَا عَجَباً مَنْ كَانَ فيها يُؤَنِّبُ

أخبرني عيسى قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا سليمان بن عياش قال: كان بشار بن بشِير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه. فقال الخارجيّ فيه:

[الطويل]

كَفَانِي الَّذي ضَيَّعْتَ مِنّي وَإِنَّمَا يُضِيعُ الحُقُوقَ ظَالماً مَنْ أَضَاعَهَا
صَنِيعةَ مَنْ وَلاَّكَ سُوءَ صَنِيعِهَا وَوَلَّى سِوَاكَ أَجْرَهَا واصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الخَيْرِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا

(١) المحلأة من الإبل: التي تُمنع من ورود الماء. والنَّهَل: أول الشرب.
(٢) الخِلال: جمع الخِلَّة: المصادقة.

إذا هِيَ حثَّتْهُ عَلَى الخَيْرِ مَرَّةً عَصَاها وَإنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
فَلَوْلاَ رِجَالٌ كَاشِحُونَ يَسُرُّهُمْ أَذَاكَ، وَقُرْبَى لاَ أُحِبُّ انْقِطَاعَهَا
إذاً بَانَ إنْ زلَّتْ بِكَ النَّعْلُ زَلَّةً فِراقُ خِلالٍ لا تُطِيقُ ارْتِجَاعَهَا
وَإنِّي مَتَى أُحْمَلْ عَلَى ذاكَ أَطَّلِعْ عَلَيْكَ عُيُوباً لاَ أُحِبُّ اطِّلاَعَهَا
فَإنْ تَكُ أَحْلامٌ تَرُدُّ إخَاءَنَا عَلَيْنَا فَمَنْ هَذا يَرُدُّ سَمَاعَهَا
سَأَنْهَاكَ نَهْياً مُجْمِلاً وَقَصَائِداً نَوَاصِحَ تَشْفِي مِنْ شُؤونٍ صُدَاعَهَا(١)
وَمَنْ يَجْتَلِبْ نَحْوِي القَصَائِدَ يَجْتَلِبْ قِرَاهُ وَيَتْبَعْ مَنْ يُحِبُّ اتِّباعَهَا
إذا ما الفَتَى ذُو اللُّبِّ حَلَّتْ قَصَائِدٌ إلَيْهِ فَيُخْلِي لِلْقَوافي رِبَاعَهَا

[رثاؤه لزيد بن حسن]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا سليمان بن عياش قال: لما دُفِنَ زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعِضَادَتي الباب، وقال: [الطويل]

أَعَيْنَيَّ جُودا بالدُّمُوعِ وَأَسعِدا بَنِي رَحِم مَا كَانَ زَيْدٌ يُهِينُها
وَلا زَيْدَ إلاَّ أَنْ يَجُودَ بِعَبْرةٍ عَلَى القَبْرِ شَاكي نَكْبَةٍ يَسْتَكِينُهَا(٢)
وَمَا كُنْتَ تَلْقَى وَجْهَ زَيْدٍ بِبَلْدَةٍ مِنَ الأَرْضِ إلاَّ وَجْهُ زَيْدٍ يَزِينُهَا
لَعَمْرُ أَبِي النَّاعِي لَعمَّتْ مُصِيبَةٌ عَلَى النَّاسِ واخْتَصَّتْ قُصَيًّا رَصِينُها(٣)
وَأَنَّى لَنَا أَمْثَالُ زَيْدٍ وَجَدُّهُ مُبَلِّغُ آيَاتِ الهُدَى وَأَمِينُهَا
وَكَانَ خليفَيْهِ السَّمَاحَةُ والنَّدى فَقَدْ فَارَقع الدُّنْيَا نَدَاهَا وَلِينُها
غَدَتْ غُدْوةً تَرْمِي لُؤيَّ بْنَ غَالِبٍ بِجَعْدِ الثَّرى فَوْقَ امْرِىءٍ مَا يَشِينُها
أَغَرُّ بِطَاحِيٌّ بَكَتْ مِنْ فِرَاقِهِ عُكاظُ فَبَطْحَاءُ الصَّفَا فَحَجُونُها(٤)

(١) الشؤون: جمع شأن: هي مَوَاصل عظام الرأس وملتقاها.
(٢) الرِّباع: جمع الرَّبْع: الدار والمحلّة.
(٣) يستكينها: يخضع لها ويذلّ.
(٤) الرّصين: المصيبة.
(٥) البِطاحيّ: نسبة إلى البِطاح. والبطاح: هي بطاح مكة (معجم البلدان ١: ٤٤٤). والحجون: الجبل المشرف الذي بأعلى مكة (معجم البلدان ٢: ٢٢٥).

فَقُلْ لِلَّتي يَعْلُو عَلَى النَّاسِ صَوْتُهَا ... أَلاَ لاَ أَعَانَ اللهُ مَنْ لا يُعِينُهَا
وَأَرْمَلةٍ تَبْكِي وَقَدْ شُقَّ جَيْبُها ... عَلَيْه فَآبَتْ وَهيَ شُعْثٌ قُرونُهَا
وَلَوْ فَقِهَتْ ما يَفْقَهُ النَّاسُ أَصْبَحَتْ ... خَوَاشِعَ أَعْلامُ الفَلاةِ وَعِينُها(١)
نَعَاهُ لَنَا النَّاعِي فَظَلْنَا كَأَنَّنَا ... نَرَى الأَرْضَ فيها آيَةٌ حَانَ حِينُها
وَزَالَتْ بِنَا أَقْدَامُنَا وَتَقَلَّبَتْ ... ظُهُورُ رَوَابِيها بِنَا وَبُطونُهَا
وَآبَ ذَوو الأَلْبَابِ مِنَّا كَأَنَّمَا ... يَرَوْنَ شِمَالاً فَارَقَتْهَا يَمينُهَا
سَقَى اللهُ سُقْيَا رَحْمَةٍ تُرْبَ حُفْرَةٍ ... مقيمٍ عَلَى زَيْدٍ ثَرَاهَا وَطِينُها

قال: فما رُئِيَ يومٌ كان أكثر باكياً من يومئذ.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حدَّثني العُمَري عن لقيط، قال: كان محمد بن بشير الخارجيّ من أهل المدينة، وكانت له بنت عَمّ سَرِيّة جميلة، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش، فلم تَرْضَهُ. فقال لأبيه: زوِّجنيها. فقال له: كيف أزوّجكها وقد ردّ عمك عنها أشرافَ قريش. فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرَّب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوّجه إياها. فغضبت الجارية، وقالت له: خطبني إليك أشرافُ قريش فردَدْتَهُم، وزوّجتني هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلمَّا بنى بها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه في غنمها مرة، وإلى نخلها أُخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعراً، ثم خلا في بيت يترنم به ويُسْمِعها. وهو: [الطويل]

تَثَاقَلْتِ أَنْ كُنتُ ابْنَ عَمٍّ نَكَحْتِهِ ... فَمِلْتِ وَقَدْ يُشْفَى ذَوو الرَّأْيِ بِالعَذْلِ
فَإِنَّكِ إِلاَّ تَتْرُكي بَعْضَ مَا أَرَى ... تُنازِعْكِ أُخْرى كالقَرينةِ في الحَبْلِ
تَلُزُّكِ ما اسْطَاعَتْ إذا كَانَ قَسْمُهَا ... كَقَسْمِكِ حَقّاً في التِّلادِ وَفِي البَعْلِ(٢)
مَتَى تَحْمِلِيها مِنْكِ يَوْماً لِحَالَةٍ ... فَتَتْبَعَها تَحْمِلْكِ مِنْهَا عَلَى مِثْلِ

قال: فَصَلُحَتْ، ولم يُرَ منها بعد ما سمعت شيئاً يكرهه.

---

(١) أعلام الفلاة: جبالها، والعِينُ: جمع العِينَة: من الشيء: خياره وأفضله.
(٢) سروات قريش: ساداتها وأشرافها.
(٣) تلزّك: تلتصق بك وتضايقك.

صوت

[المتقارب]

عَـلامَ هَـجَـرْتِ وَلَـمْ تُـهْـجَـرِي وَمِـثْـلُـكِ فـي الـهَـجْـرِ لَـمْ يُـعـذَرِ
قَـطَـعْـتِ حِـبَـالَـكِ مِـنْ شَـادِنٍ أَغَـنَّ قَـطُـوفِ الـخُـطَـا أَحْـوَرِ(١)

الشعر لسُدَيف مولى بني هاشم: والغناء لأبي العُبَيس بن حمدون. خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى.

(١) الشادن: ولد الظبية. والأغنّ: ذو الغُنّة: وهي صوت يخرج من اللّهاة والأنف. وقطوف الخطا: متقارب الخطوات بطيئها.

ذكر سُدَيف وأخباره

[اسمه ونسبه وولاؤه لبني هاشم وتعقبه لهم]

هو سُدَيْف بن ميمون مولى خزاعة، وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنه تزوّج مَوْلاة لآل أبي لَهَب، فادّعى ولاءهم، ودخل في جملة مواليهم على الأيام. وقيل: بل أبوه هو كان المتزوج مولاة اللَّهَبيين، فولدت منه سُدَيفاً. فلما يَفَع، وقال الشعر، وعُرف بالبيان وحسن العارضة، ادّعى الولاء في موالي أبيه، فغلبوا عليه.

وسُدَيف شاعر مُقِلٌّ، من شعراء الحِجاز، ومن مخضرمي الدولتين، وكان شديد التعصّب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية. فكان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكة، يقال لها صُفِيّ السِّباب[١]، ويخرج مولى لبني أميّة معه يقال له سَبّاب، فيتسابّان ويتشاتمان، ويذكران المثالب والمعايب. ويخرج معهما من سفهاء الفريقين مَنْ يتعصب لهذا ولهذا. فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجِراح والشِّجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم، ويعاقب الجُناة. فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسَّفِلة. فكانوا صنفين، يقال لهما السُّدَيفية والسَّبابية، طول أيام بني أمية. ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، وصارت العصبية بمكة في الحنّاطين والحرّارين[٢].

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حدّثني فُلَيح بن إسماعيل قال: قال

---

(١) صفيّ السّباب: ماء بين دار سعيد الحرشي التي بناها إلى بيوت أبي القاسم بن عبد الواحد، وكان به نخل وحائط لمعاوية ويعرف بحائط خُرمان (معجم البلدان ٣: ١٨٢).

(٢) الحَرَّارون: صُنَّاع الحرير.

سُدَيف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن. فَلَمَّا أَتَى على هذا البيت: [الكامل]

يَـا سَـوْءَتَـا لِـلْـقَـوْمِ لاَ كَـفُّـوا وَلاَ إِذْ حَـارَبُـوا كَـانُـوا مِـنَ الأَحْـرَارِ

فقال له المنصور: أَتَحُضُّهم عليَّ يا سُديف؟ فقال: لا، ولكني أُؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن المعتز أن العَوْفيّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحيّ قال: سَلَّم سُديف بن ميمون يوماً عَلَى رَجُلٍ من بني عبد الدار. فقال له العبدريُّ: مَنْ أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سُدَيف بن ميمون. فقال له: واللهِ ما في قومي سُدَيف ولا ميمون. قال: صدقت، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك.

صوت

[الوافر]

لَـعَـمْـرُكَ إِنَّـنِـي لأُحِـبُّ دَاراً تَـكُـونُ بِـهَـا سُـكَـيْـنَـةُ وَالـرَّبَـابُ
أُحِـبُّـهُـمَـا وَأَبْـذُلُ جُـلَّ مَـالِـي وَلَـيْـسَ لِـعَـاتِـبٍ عِـنْـدِي عِـتَـابُ

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. والغناء لابن سريج: رمَل بالبنصر، وفيه للهذليّ ثقيل أول بالسبابة، في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

أخبار الحسين بن علي ونسبه

[اسمه ونسبه]

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مُناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وقد تكرر هذا النسب في عدّه مواضعَ من هذا الكتاب. واسم أبي طالب: عبد مناف، واسم عبد المطلب: شَيْبة، واسم هاشم: عمرو. وأم عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. وكانت أول هاشمية تزوّجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب. وأم الحسين بن عليّ بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وأمها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ. وكانت خديجة تُكْنى أمّ هند، وكانت فاطمة تُكَنَّى أُمّ أَبيها، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرز، قال: حدّثنا أبو نعَيم، عن حسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وكان عليّ بن أبي طالب سمى الحسن حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسن. ثم ولد له الحسين فسماه حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسين.

حدّثني بذلك أحمد بن الجعد، قال: حَدّثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدّثنا يحيى بن عيسى قال: حدّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عليّ بن أبي طالب: كنت رجلاً أُحبُّ الحرب، فلما وُلِدَ الحسن هممتُ أن أسميه حرباً، فسمّاه رسول الله ﷺ الحسن، فلما وُلِدَ الحسين هممت أن أُسميه حرباً، فسماه رسول الله ﷺ الحسين. ثم قال: سَمّيتهما باسميْ ابنيْ هارون: شَبَّر وشُبير.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدّثنا محمد بن يحيى الأحول قال: حدّثنا خلاد المقرىء قال: حدّثنا قيس بن الربيع بن أبي حُصَين، عن يحيى بن وَثّاب، عن ابنِ عمر، قال: كان على الحسن والحسين

تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام.

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمّها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب؛ وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين. واسم سُكينة: أُمَيْمَة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسُكينة لقب لقبت به.

قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسي عن زُبير عنه: اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أَعْين، قال:

سمعت سُكَيْنة بنت الحسين تقول: عاتب عمّي الحسنُ أبي في أمي، فقال:

[الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّنِي لأُحِبُّ دَاراً ... تَكُونُ بِهَا سُكَينَةُ والرَّبَابُ
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ جُلَّ مَالِي ... وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابُ

حَدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثنا العُمَريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال: قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما اسم سكينة بنت الحسين؟ فقلت: سكينة. فقال: لا. اسمها آمنة.

وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة. فقال: أمينة، فقال له: إنَّ ابن الكلبي يقول أميمة. فقال: سل ابن الكلبي عن أُمّه، وسلني عن أمّي. وقال المدائني: حدّثني أبو إسحاق المالكي قال: سكينة لقب، واسمها آمنة. وهذا هو الصحيح.

حَدّثني أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدّثنا شيخ من قريش، قال: حدّثنا أبو حُذافة أو غيره، قال: أَسْلَمَ امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلّى لله صلاة حتى ولاّه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه السلام ابنته الرّباب على ابنه الحسين، فزوّجه إياها. فولدت له عبد الله وسكينة ولَدَي الحسين عليه السلام. وفي سكينة وأمّها يقول:

[الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّنِي لأُحِبُّ دَاراً ... تَحِلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبَابُ

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين:

فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ غابوا مُضِيعاً حَيَاتِي أَوْ يُغَيِّبَنِي التُّرَابُ

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغَلاّبيّ، وهو أتمّ. قال:

حدّثنا عليّ بن صالح، عن عليّ بن مجاهد، عن أبي المثنّى محمد بن السائب الكلبيّ، قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدّثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبّان بن سَيّار الفزاريّ؛ قال: حدّثني عوف بن خارجة المُرِّي، قال: والله إنّي لعند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج أجلَى أمعَر[1]، يتخطّى رقاب الناس، حتى قام بين يديْ عمر فحيّاه بتحية الخلافة، فقال له عمر: فَمَنْ أنت؟ قال: امرؤ نصرانيّ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ. قال: فلم يعرفه عمر. فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فَلْج[2]. قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه عمر رضيَ الله عنه، فقبله. ثم دعا له بِرُمْح، فعقد له على مَنْ أسلم بالشّام من قضاعة. فأدبر الشيخُ واللِّواء يهتزُّ على رأسه. قال عوف: فواللهِ ما رأيْتُ رَجُلاً لَمْ يُصَلِّ لله ركعةً قَطّ أُمِّرَ على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، من المجلس، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عمّ، أنا عليّ بن أبي طالب ابن عَمّ رسول الله ﷺ وصهره، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته، وقد رغبنا في صِهْرِكَ فأنْكِحْنَا. فقال: قد أنكحتكَ يا عليّ المُحياة بنت امرىء القيس، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرىء القيس، وأنكحتك يا حسين الرَّباب بنت امرىء القيس.

وقال هشام بن الكَلْبي: كانت الرَّباب من خيار النّساء وأفضلهنّ. فخُطبت بعد قتل الحسين عليه السلام، فقالت: ما كنت لأَتَّخِذَ حَماً بعد رسول الله ﷺ.

قال المدائنيّ: حدّثني أبو إسحاق المالكي، قال: قيل لسكينة ـ واسمها آمنة، وسكينة لقب ـ: أُختُكِ فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً؟ فقالَتْ: لأنّكم سميتموها

(١) الأفحج: الذي في رجليه اعوجاج وفي ساقيه تباعد. والأجلى: الذي انحسر مقدّم شعره. والأمعر: الذي سقط شعره.

(٢) فَلْج: مدينة بأرض اليمامة (معجم البلدان ٤: ٢٧١).

باسم جدّتها المؤمنة ـ تعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ وسميتموني باسم جدّتي التي لم تدرك الإسلام. تعني آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ.

[رثاءُ الرّباب لزوجها الحسين]

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن محمد بن الحكم، عن عَوانة، قال: رثت الرَّبابُ بنتُ امرىءِ القيس أُمُّ سكينة بنت الحسين، زوجَها الحسينَ حين قُتِلَ، فقالت: [البسيط]

إنَّ الَّـذِي كَـانَ نُـوراً يُـسْـتَـضَـاءُ بِـهِ ... بِـكَـربَـلاءَ قَـتِـيـلٌ غَـيْـرُ مَـدْفُـونِ
سِبْـطَ الـنَّـبِـيِّ جَـزَاكَ اللهُ صَـالِـحَـةً ... عَـنَّـا، وجُـنِّـبْـتَ خُـسْـرانَ الـمَـوازِيـنِ
قَـدْ كُـنْـتَ لِـي جَـبَـلاً صَـعْـباً أَلُـوذُ بِـهِ ... وَكُـنْـتَ تَـصْـحَـبُـنَـا بِـالـرُّحْـمِ والـدِّيـنِ
مَـنْ لِـلْـيَـتَـامَـى وَمَـنْ لِـلسَّـائِـلـيـنَ وَمَـنْ ... يُـغْـنِـي وَيَـأْوِي إِلَـيْـهِ كُـلُّ مِـسْـكِـيـنِ
واللهِ لا أَبْـتَـغِـي صِـهْـراً بِـصِـهْـرِكُـمُ ... حَـتَّـى أُغَـيَّـبَ بَـيْـنَ الـرَّمْـلِ والـطِّـيـنِ

أخبرني الطوسيّ قال: حدّثني الزبير عن عَمّه قال: أخبرني إسماعيل بن بكار قال: حَدّثني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي، عن الزبير عن عمّه، قال: وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى، قالا: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمّه الحسين، فقال له الحسين: يابن أخي، قد كنتُ أَنْتَظِرُ هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله، فخيّره في ابنتيه فاطمة وسُكينة. فاختار فاطمة، فزوّجه إياها. وكان يقال: إن امرأة تُختار على سُكينة لمنقطعة القرين في الحسن. وقال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيَّرَهُ، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

[بعض أخبار سكينة بنت الحسين]

حَدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثني يحيى بن الحسن العلويّ قال: كتب إليّ عَبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي يحيى بن سُليمان بن الحسين العلوي قال: كانت سُكَينة في مَأتَم فيه بنتٌ لعثمان، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد. فسكتت سكينة، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله. قالت سكينة: هذا أبي أو أبوكِ؟ فقالت العثمانيّة: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

أخبرني أحمد بن محمد قال: حدّثنا يحيى قال: حدّثنا مروان بن موسى القروي قال: حدّثنا بعض أصحابنا قال: كانت سُكينة تجيءُ في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة، وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم علياً، شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريَها.

أخبرني الطوسيّ عن الزُّبير عن عمّه مصعب، قال: كانت سكينة عفيفة سَلِمَة بَرْزَة[١] من النساء، تجالس الأجِلَّة من قريش، وتجتمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزَّاحَة.

أخبرني الطوسيّ قال: حدّثنا الزبير عن عمّه قال: حدّثني معاوية بن بكر، قال: قالت سكينة: أُدْخِلْتُ على مصعب وأنا أحسنُ من النار الموقَدة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن موسى، عن أبي أيوب المديني عن مصعب، قال: كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً؛ فكانت تُصَفِّفُ جُمَّتها[٢] تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه، حتى عُرِفَ ذلك. فكانت تلك الجُمّة تسمى السُّكَينية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صَفَّف جُمته السُّكَينية جلدَهُ وحَلَقَهُ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحميريّ، قال: بعثت سكينة بنت الحسين عليه السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية[٣]، لأنه كان من أخوالها. فلما وصلت إليه قال: فأين كانت ـ حبيشَ بن دلجة ـ عن الصَّياح[٤]؟ يقدِّر أن الصَّيَّاح أرفع من الغالية.

قال محمد بن سلام: كانت سكينة مَزَّاحة، فلسعتها دَبْرة[٥] فولولت. فقالت لها أَمَتُها: ما لك يا سيّدتي. وجزعت؟ فقالت: لَسَعتني دُبَيرة، مثل الأبيرة، فأوجعتني قُطَيْرة[٦].

(١) السَّلِمَة: المسالمة. والبرزة: التي تبرز للقوم فيثقون برأيها وعفافها.
(٢) الجُمَّة: ما سقط من الشعر على المنكبين.
(٣) الغالية: ضربٌ من الطِّيب.
(٤) الصَّيّاح: ضرب من الطيب أيضاً.
(٥) الدَّبرة: النحلة.
(٦) قطيرة: إيجاعاً يسيراً.

وقال هارون بن أبي عبيد الله، حدّثني ضمرة بن ضمرة، قال: أجلسَتْ سكينة شيخاً فارسياً على سَلّة بيض، وبعثت إلى سليمان بن يسار، كأنها تريد أن تسأله عن شيء. فجاءها إكراماً لها، فأمرت مَنْ أَخْرَجَ إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلَّة فيها البيض، فولّى يُسَبِّحُ.

قال: وبعثت سُكينة إلى صاحب الشُّرطة بالمدينة: أنه دخل علينا شاميّ، فابعث إلينا بالشُّرَط، فركب ومعه الشُّرَط. فلما أتى إلى الباب، أمرت ففُتِحَ له، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه بُرغوثاً. فقال: ما هذا؟ قالت: هذا الشاميّ الذي شكوناه. فانصرفوا يضحكون.

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حَدَّثنا أحمد بن القاسم قال: حدّثنا أبو هَفّان قال: حدّثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صُحبة دُبَية والغاضريّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادي. فوهبهم له، فأشخصهم معه.

قال: فكان فيما حدّثني به عبيدة قال: قال إبراهيم: ركبت حمارة وهو عَديلي، ونمت على ظهرها. فلما بلغنا ثنية العُقاب[1]، اشتدّ عليّ البرد، فاحتجتُ إلى الزيادة من الدِّثار. فدعوت بِدُوَّاجِ سَمُّور[2]، فألقيتُهُ على ظهري، ودعوتُ بمن كان معي في سَمَري في تلك الليلة، وكانوا حولي. فقلت لابن أشعب: حدّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك. فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه. فقلت: وما بلغَ من طمَعِكَ؟ فقال: دعوت آنفاً لما اشتدَّ عليك البرد بِدُوَّاج سَمُّور، لتستدفىء به، فلم أشكَّ أنك دعوتَ به لتجعله عليّ. فغلبني الضحك، وخلعت عليه الدُّوَّاج. ثم قلت له: ما أحسب لك قَرابة بالمدينة. فقال: اللَّهُمَّ غَفراً، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات. قلت: أيكونون عشرة؟ قال: وما عشرة قلت: فعشرين؟ قال: اللَّهم غفراً، لا تذكر العشراتِ ولا المئين، وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحكَ! ليس بينك وبين أشعب أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال: إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوَّجَ سُكينة بنت الحسين، فخفَّ أبي على قلبها، فأحسنت إليه، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه. فمال إليها بكلّيته.

---

(١) ثنيّة عقاب: فرجة في الجبل الذي يطلّ على غوطة دمشق من ناحية حمص (معجم البلدان ٤: ١٣٣).

(٢) الدُّوّاج: نوع من الثياب. والسَّمّور: حيوان بَرّي يشبه الهرّ يُتَّخَذ من جلده فرو ثمين.

قال: وحجَّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فاستأذن زيد بن عمرو سُكينَة، وأعلَمَها أنها أول سنة حجَّ فيها الخليفة. وأنه لا يمكنه التخلّف عن الحجِّ معه. وكانت لزيد ضيعة يقال لها العَرْج[١]، وكان له فيها جَوارٍ. فأعلمته أنها لا تأذن له إلاَّ أن يخرجَ أشعبُ معه، فيكون عيناً لها عليه، ومانعاً له من العدول إلى العَرْج، ومن اتّخاذِ جارية لنفسه في بَدْأَتِهِ ورجعته. فقنع بذلك، وأخرَجَ أشعب معه. وكان له فرس كثير الأوضاح حسن المنظر، يصونه عن الركوب إلاَّ في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة؛ وله سرج يصونه، ولا يركب به غير ذلك الفرس. وكان معه طِيبٌ لا يتطيب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه؛ وحُلّة مَوْشية يَصُونُها عن اللُّبس إلا في يوم يريد التجمّل فيه بها. فحج مع سليمان، وكانت له عنده حوائج كثيرة، فقضاها ووَصَلَهُ، وأجزل صِلَتَهُ. وانصرف سليمان من حَجّه، ولم يسلك طريق المدينة. وانصرف ابن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة. ودعا أشعب، فأحضره وصَرَّ صُرّة فيها أربعمائة دينار، وأَعْلَمَهُ أَنَّهُ ليس بينه وبين العرج إلاَّ أميال؛ وأنه إنْ أَذِنَ له في المسير إليها، والمبيت بها عند جواريه، غَلَّس[٢] إليه، فوافى وقتَ ارتحالِ الناسِ، ووهب له أربعمائة دينار. فقبَّلَ يده ورجله، وأذن له في السير إلى حيث أحبَّ، وحلف له أنه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجة، أنه ما سار إلى العَرْج، ولا اتخذ جارية منذ فارق سُكينة إلى أن رجع إليها. فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى.

قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حَدَّثني أبي أنه لا يتوهّمُ أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قِربتان. فألْقَتا القربتين، وألقتا ثيابهما عنهما، ورمتا بأنفسهما في الغدير، وعامتا فيه، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه. فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما. فأعلمتاه أنهما من إماءِ نسوة خُلُوف، لبني عامر بن صعصعة، هن بالقرب من ذلك الغدير. فسألهما: هل سبيل إلى مولياتهما، لمحادثة شيخ حسن الخلق، طيب العشرة، كثير النوادر؟ فقالتا: وأَنَّى لهنَّ بمَنْ هذه صفته؟ فقال لهما: أنا ذاك. فقالتا: انطلقْ معنا. فوثب إلى فرس زيد، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به

(١) العَرْج: قرية في وادٍ من نواحي الطائف (معجم البلدان ٤ :٩٨).

(٢) غَلَّسَ: ذهب في الغَلَس، والغَلَس: ظلمة آخر الليل.

ويركبه، ودعا بحلَّتِهِ التي كان يضن بها فلبسها، وأحضر السَّفَط[١] الذي كان فيه طِيبه، فتطيَّبَ منه، وركب الفرسَ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر. فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ، وقد انصرفوا غانمين مِنْ غزاتهم، وأقبلت تمرُّ به الرِّعلة[٢] بعد الرِّعلة، فيقفون به فيقولون: مِمَّنِ الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كل مَنِ اجتاز به: ما نرى به بأساً. وينصرفون عنه. إلى قرب غروب الشمس، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز، فسأله مثلما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم.

قال ابن أشعب: قال أبي: ثم رأيتُ الشيخ قد وقف بعد قوله، فأوجسْتُ منه خيفةً، لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه، فرفعهما، ثم استدار ليرى وجهي. فركبت الفرس، فما استويتُ عليه حتَّى سمعتُهُ يقول: أُقسِم بالله ما هذا قرشيّ، وما هذا إلا وَجْهُ عَبْدٍ، فركضتُ وركضَ خَلْفِي، فَرَأى حِجْره مقصرة. فلمَّا يَئِسَ مِنَ اللَّحاق بي، انتزع سهماً فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج، فكسرها، ودخلتني من صوته روعةٌ أحدثتُ لها في الحلة. ووافيتُ رحل مولاي، فغسلت الحُلَّة ونشرتها، فلم تجفّ ليلاً. وغَلَّسَ مولايَ من العَرْج، فوافاني في وقت الرَّحيل، فرأى الحُلَّة منشورة، ومؤخّرة السّرج مكسورة، والفرس قد أضرَّ بها الركض، وسَفَط الطيب مكسور الختم. فسألني عن السبب، فصَدَقْتُه. فقال لي: ويحكَ! أما كفاكَ ما صنعت بي حتى انتسبتَ في نسبي، فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جَمّاشاً[٣]، وسكتَ عني، فلم يقلْ لي: أحسنتَ ولا أسأت حتى وافينا المدينة، فلما وافاها سألتْه سُكينة عن خبره. فقال لها: يا بنت رسول الله، وما سؤالك إياي ولم يزل ثقتك معي، وهو أمين عليّ، فسليه عن خبري يصدقك عنه. فسألتني، فأخبرتها أني لم أنكر عليه شيئاً، ولم أُمكِّنْه من ابتياع جارية، ولم أُطلق له الاجتياز بالعَرْج. فاستحلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المحرِجة فيها طلاق أُمِّك، وثب فوقف بين يديها، وقال: أي ابنة عَمّ، ويا بنت رسول الله، كذبك والله العِلج، ولقد أخذ مني أربعمائة دينار، على أن أذنَ لي في المصير إلى

(١) السَّفَط: وعاء للطِّيب وأدوات النساء.
(٢) الرِّعلة: الجماعة من الخيل أو الفرسان قدر العشرين.
(٣) الجمّاش: الذي يغازل النساء ويلاعبهن.

العرج؛ فأقمتُ بها يوماً وليلة، وغسلت بها عدّة مِنْ جواريَّ، وها أنا ذا تائب إلى اللهِ مِمَّا كان مِنّي، وقد جعلتُ توبتي هبتهنَّ لك، وتقدَّمت في حملهنّ إليك، وهنَّ موافياتِ المدينة في عشيّة اليوم، فبيعهن أو عِتقهن إليك الأمر فيه، وأنت أعلم بما تَرين في العبد السَّوء. فأمرتني بإحضار أربعمائة الدينار، فأحضرتها. فأمرتْ بِابتياع خَشَب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره، وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة عِلم بما تريده فيه. ثُمَّ أمرتْ بأن يتّخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه في أجرة النجّارين من المائة الدينار الباقية، ثم أمرت بابتياع بيض وتبن وسرجين[1] بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجّارين. ثم أدخلتني البيت، وفيه البيض والتبن والسِّرْجِين، وحلفت بحق جدّها ألاَّ أخرُجَ من ذلك البيت حتى أحضُنَ ذلك البيض كلّه إلى أن يُفْقَسَ، ففعلت ذلك، ولم أزل أحضُنه حتى فَقِسَ كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، وربيت في دار سكينة، فكانت تنسبهنّ إليّ، وتقول: بنات أشعب.

قال أبو إسحاق: قال لي: وبَقِيَ ذلك النّسلُ في أيدي الناس إلى الآن، فكلّهم إخواني وأهلي. قال: فضحكتُ والله حتى غُلِبْتُ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحُمِلَتْ بحضرتي إليه.

[أزواجها]

أخبرني الطوسيّ والحَرَميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب قال: تزوّجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام عدّة أزواج، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ، وهو ابنُ عَمِّها وأبو عُذْرتها[2]، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحِزاميّ، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ولم يدخلْ بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يدخل بها.

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوي: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يُكنى أبا جعفر، وأمّه بنت السَّلِيل بن عبد الله البَجَلي، أخي جرير بن عبد الله، قال: ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوّجه إيّاها أخوها علي بن الحسين، ومهرها مصعب ألَف ألفِ درهم.

---

(١) السِّرْجين: الزّبل.

(٢) أبو عُذْرَتها: أي الذي افتضّ عذرتها أي بَكارتها.

قال مصعب: وحَدّثني مصعب بن عثمان: أنَّ علي بن الحسين أخاها حملَها إليه فأعطاه أربعين ألف دينار.

قال مصعب: وحَدَّثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينة: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدَة في اللّيلة القَرَّة(١).

قال: فولدت من مصعب بنتاً، فقال لها: سَمّيها زهراء. قالت: بل أُسمّيها باسم إحدى أمّهاتي وسَمَّتها الرّباب. فلمّا قُتِلَ مصعب وَلِيَ أخوه عُروة تركته، فزوّجها يعني الرَّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة، فماتت وهي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدّثني محمد بن سلاَّم عن شعيب بن صخر، عن أُمِّهِ سعدة بنت عبد الله بن سالم، قالت: لَقِيتُ سكينة بين مكّة ومِنَى، فقالت: قفي لي يابنة عبد الله، فوقفت. فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللّؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إيّاه إلاَّ لتفضحه.

قال الزبير: وحَدّثني عَمّي عن الماجشون، قال: قالت سكينة لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك. وقالت عائشة: بل أنا. فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال: لأقضين بينكما، أما أنت يا سُكينة فأملَح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينة: قضيتَ لي والله. وكانت سكينة تُسَمّي عائشة ذات الأذنين، وكانت عظيمة الأذنين.

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدّثني أحمد بن زهير قال: حدّثنا المدائني، قال: خطب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبدُ الملك بن مروان. فقالت أمّها: لا والله لا يتزوّجها أبداً وقد قتل ابن أخي، تعني مصعباً.

وأما محمّد بن سلام الجمحيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه، أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ. ثم خلف عليها العثمانيّ، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. فقال فيه بعض المدنيين: [الكامل]

نَكَحَتْ سُكَيْنَةُ بالحِسَابِ ثَلاثَةً فَإذا دَخَلْتَ بِهَا فَأَنْتَ الرَّابِعُ

(١) القَرَّة: الباردة.

قال: وكان يتولّى مصر، فكتبت إليه: إن أرض مصر وخمة. فبنى لها مدينة تسمّى مدينة الأصبغ. وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إياها، فنفِس[١] بها عليه. فكتب إليه، اختر مصر أو سُكَينة، فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها، ومتَّعها بعشرين ألفَ دينار. ومَرّوا بها في طريقها على منزل، فقالت: ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: جوف الحِمار[٢]. قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً.

وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرّياشيّ عن شعيب بن صخر أن الحزاميّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها، وولدت منه بنتاً. وذكر عن أمّه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتْها بنتها من الحزاميّ، وقد أثقلتها باللّؤلؤ، وهي في قُبَّة، فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحليّ بحسنها، لأنها أحسن منه.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن صالح بن حَسّان وغيره: أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حِزام، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوّجها مصعَب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبَلَغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول اللهﷺ تخطبها؟ فأمسك عن ذلك.

قال: ثم تنفَّسَتْ يوماً بُنانة جارية سكينة وتنهّدَتْ، حتى كادت أضلاعها تتحطّم. فقالت لها سكينة: مَا لَكِ ويْلَكِ! قالت: أُحبّ أن أرى في الدّار جَلَبة. تعني العُرْس. فدعت مولًى لها تثقُ به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول اللهﷺ، فأحضِرْ بيتك. قال: فجمع عِدّة من بني زُهرة، وأفناء قريش من بني جُمَحَ وغيرهم، نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين. ثم أرسل إلى علي بن الحسين، والحسن بن الحسن، وغيرهم من بني هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، وقالوا: هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتنادَى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا: لا يخرجَنَّ أحد منكم إلا ومعه عصا. فجاءوا وما بقي إلا

---

(١) نَفِسَ: ضَنَّ.

(٢) الجوف: اسم وادٍ في أرض عاد. (معجم البلدان ٢:١٨٨).

الكلام. فقال: اضربوا بالعصيّ. فاضطربوا هم وبنو زُهْرة، حتى تَشَاجُّوا، فَشُجَّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان. ثم قالت بنو هاشم: أين هذه؟ قالوا: في هذا البيت. فدخلوا إليها، فقالوا: أَبَلَغَ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه ـ أو قال: بزواياه الأربع ـ فالتفتت إلى بُنانة فقالت: يا بُنانة، أرأيت في الدار جَلَبَة؟ قالت: إي والله إلا أنها شديدة.

وقال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال: كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ، قُتِلَ عنها ولم تلد له.

وخلف عليها مصعَب، فولدت له جارية. ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فنشزَتْ عليه، فطلّقها. ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً. فقال الشاعر: [الكامل]

نَكَحَتْ سُكَيْنَةُ بِالحِسَابِ ثَلاَثَةً ... فَإِذا دَخَلْتَ بِهَا فَأَنْتَ الرَّابِعُ
إِنَّ البَقِيعَ إذا تَتَابَعَ زَرْعُهُ ... خَابَ البَقِيعُ وَخَابَ فِيهِ الزَّارِعُ[1]

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال: أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا! فطلِّقها. فطلَّقَها. فخلف عليها العثمانيّ، وشرطت عليه ألاّ يطلقها، ولا يمنعها شيئاً تريده، وأن يقيمها حيث خُلَّتها أم منظور، ولا يخالفها في أمر تريده. فكانت تقول له: يابن عثمان اخرج بنا إلى مكة. فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين، قالت: ارجع بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذاك، قالت: اخرج بنا إلى مكة. فقال له سليمان بن عبد الملك: أعلَمُ أنك قد شرطت لها شروطاً لم تَفِ بها، فطلقها. فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها يخيِّرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها: جُعِلْتُ فداءَكِ، قد خيَّرتُكِ فاخْتَاريني. فقالت: قُلْتَ ماذا بأبي، تهزأ به. فعرف ذلك، فانصرف. وخيّروها، فقالت: لا أُريده.

قال: وماتت فصلى عليها شَيبة بن نِصاح.

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهريّ، عن عمَر بن شبة، عن عبد

(١) البقيع: الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتّى.

الله بن محمد بن حكيم، عنه: أن أوّل أزواجها الأصبغ، ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثماني، قال: وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين، ثم الحِزامي، ثم خلف عليها مصعب، فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها.

قال عمر بن شبّة: وحدّثني محمد بن يحيى قال: تزوّجَ مصعب سكينةَ وهو يومئذ بالبصرة، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السَّلاَّس، وهو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه: [الخفيف]

قَدْ أَتَانَا بِمَا كَرِهْنَا أَبُو السَّلاَّ س كَانَتْ بِنَفْسِهِ الأَوْجَاعُ

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه. وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، وإنما هي مع ابن جعفر.

قال محمد بن يحيى: ولمّا تزوج مصعب سكينة على ألف ألف، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاّس إلى عبد الله بن الزبير: [الكامل]

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لا يُرِيدُ خِدَاعَا
بُضْعُ الفَتَاةِ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبِيتُ سَادَاتُ الجُنُودِ جِيَاعَا
لَوْ لأَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مَقَالَتِي وَأَبُثُّ مَا أَبْثَثْتُكُمْ لارْتَاعَا

قال: وكان ابن الزُّبير قد أوصاه ألاّ يعطيه أحد كتاباً إلاّ جاء به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: صدقَ والله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألفِ ألفِ درهم. ثم قال: إن مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه، وسَلَّ أيره. وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيءَ على ذات الجيش، وقال: إني لأَرجو أن يخسفَ اللهُ بك فيها. فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب، فقال: لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيرَه.

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهريّ قال: ذُكِرَ أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مالٍ له مغاضباً لسكينة، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاسْتَعْدَتْهُ سكينة على زيد، وذكرت غَيْبته مع ولائده سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله، أو منعها مخرجاً تريده، فهي خَلِيَّة، فبعث إليه عمر فأحضره، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما.

قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثني عمر، وبعث معي محمد بن معقِل بن يسار الأشجعي، إلى ابن حزم، وقال: اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم في الحَجَلة[1] جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها. فقالت: والله لا أدخل إلاَّ ومعي ولائدي، فأُدْخِلْنَ معها، فلمّا دخلت قالت: يا جارية اثني لي هذه الوسادة. ففعلت، وجلست عليها، ولصقَ زيدٌ بالسرير، حتى كاد يدخل في جوفهِ خوفاً منها. فقال لها ابن حزم: يابنةَ الحسين، إن الله عَزَّ وجَلَّ يحبُّ القصد في كل شيء. فقالت له: وما أنكرتَ مني، إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، ولا يرى الخشبة في عينه. فقال لها: أما والله لو كنتِ رجلاً لسَطوتُ بكِ. فقالت له: يابن فَرْتَنَى[2] ألا تزال تتوعّدني؟ وشتمته وشتمها. فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العَدَويّ: ما بهذا أُمِرنا، فأَمضِ الحكم ولا تُشاتم. فقالت لمولاة لها: مَنْ هذا؟ قالت: أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم. فقالت: لا أراك ههنا وأنا أُشْتَمُ بحضرتك. ثم هتفتْ برجال قريش، وحضَّت ابن أبي الجهم، وقالت: أما والله لو كان أصحاب الحَرَّة[3] أحياءً لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إيّاي، أي عدوّ الله، تشتمني وأبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول اللهﷺ إلى أريحاء، يابن فَرْتنى. قال: وشتمها وشتمته.

قال: ثم أحضرنا زيداً، فكلّمها وخضع لها، فقالت: ما أغرفَني بكَ يا زيد، والله لا تراني أبداً، أتراكَ تمكثُ مع جواريك سبعة أشهر لا تقربُهن؟ املأ عينك الآن مني، فإنَّكَ لا تراني بعد اللَّيلة أبداً، وجعلت تردّد هذا القول ومثله، فكلّما تكلّمتْ تَرْفُثُ[4] لابن حزم وامرأته في الحَجَلة، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه. ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت بِبَيِّنَة على ما ادّعته، وإلا فاليمين على زيد. فقامت وقالت لزيد، يابن عثمان: تزوّدْ مني بنظرة، فإنك والله لا تراني بعد اللَّيلة أبداً، وابن حزم صامت. ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدَّار في ليلة شاتية، فسألَنا عن الخبر، فأخبرناه، فجعل يضحكُ حتى أمسك

---

(١) الحَجَلة: مقصورة تجعل للعروس تزيّن بالثياب والستور.

(٢) الفرتنا: الأمَة.

(٣) الحَرَّة: هي حَرَّة واقم، ووقعة الحرّة كانت بعد مقتل الحسينعليه السلام عنه (معجم البلدان ٢ : ٢٤٩).

(٤) ترفث: تفحش في القول.

بطنه، ثم دعا زيداً من غَدٍ، فَأَحْلَفَهُ وردّ سكينة عليه.

وأخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكار عن عمه قال: قالت سكينة لأم أشعب: سمعت للناس خبراً؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته، وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه، وحملوا العصيّ، وجاءوا فقاتلوا بني زُهرة حتى كثرت الشِّجَاج، ثم فُرِّق بينهم، وخُيرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي والله ـ بأبي أنت ـ وأي خبر.

[زيد بن عمرو بن عثمان وبخله]

قال هارون بن الزيات: وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدّثني الهيثم بن عديّ، عن أشعب، قال: تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة، وكان أبخل قرشيّ رأيته، فخرج حاجّاً وخرجت سكينة معه، فلم تَدَعْ إِوَزَّةً ولا دجاجة ولا خَبيصاً[1] ولا فاكهة إلاّ حملته معها، وأعطتني مائة دينار، وقالت: يابن أم حميدة، اخرج معنا. فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال، فلما أتينا السَّيَالة نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلمّا جِيءَ بالأطباق، أقبل أُغيلمة من الأنصار يسلّمون على زيد، فلما رآهم قال: أَوَّهْ. خاصرتي. باسم الله، ارفعوا الطعام، وهاتوا الترياق[2] والماء الحار، فأُتِيَ به فجعل يتوجَّرهما[3] حتى انصرفوا، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعاً، فلم آكلْ إلا مما اشتريته من السَّويق[4]. فلما كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به، ودعا بالطعام وأُتِيَ به. قال: فأمر بإسخانه، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلمون عليه، فلما رآهم اعتلَّ بالخاصرة، ودعا بالتِّرياق والماء الحار، فتوجَّره ورفع الطعام، فلمّا ذهبوا أمر بإعادته، فأُتِيَ به وقد برد، فقال لي: يا أشعب، هل إلى إسخانِ هذا الدجاج سبيل؟ فقلت له: أخبرني عن دَجاجك هذا، أمن آل فرعون، فهو يُعْرَضُ على النار غُدُوًّا وعَشِيّاً؟

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، عن

---

(١) الخبيص: نوع من الحلوى المخبوصة.
(٢) الترياق: دواء السموم.
(٣) توجّر الدواء: صَبّه في حلقه شيئاً فشيئاً.
(٤) السّويق: الناعم من طحين القمح والشعير.

محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: جاء قوم من أهل الكوفة يسلّمون على سُكَينة فقالت لهم: الله يعلم أني أبغضكم: قتلتم جَدّي عليّاً، وأبي الحسين، وأخي عَليّاً، وزوجي مصعباً، فبأيّ وجه تَلْقونَني، أَيتَمْتُموني صغيرة، وأَرْمَلْتُموني كبيرة.

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حادياً يحدو في اللَّيل يقول:

* لَـوْلاَ ثَـلاَثٌ هُـنَّ عَـيْـشُ الـدَّهْـرِ *

فقالت لقائد قِطَارها: أَلْحِقْ بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث. فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت لغلام لها: سِرْ أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول: [الرجز]

* الـمَـاءُ والـنَّـوْمُ وَأُمُّ عَـمْـرِو *

فقالت: قَبَحَه الله! أتعبني منذ اللَّيلة.

قال: وحدّثني المدائني أن أشعب حَجَّ مع سكينة، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله، فأعطاه القَيِّمُ جملاً ضعيفاً، فلمَّا جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عِرسُهُ الطَّلاق، لو أنه حمل قَتَباً[1] على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شبّة، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ، عن سفيان بن حرب، قال: رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجِمَارَ، فسقطت من يدها الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

وقال هارون بن الزيات: حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة: أن سكينة ناقلت بمالها بِالزَّوراء[2]، إلى قصر يقال له البَريديّ بلزق الجماء، فلما سال العقيق، خرجت ومعها جواريها تمشي، حتى جاءت السيل، فجلست على جِرْفه، ومالت برجليها في السيل، ثم قالت: هذا في أَست المغبون. واللهِ لَهذِهِ الساعة من هذا القصر خير من الزَّوراء. قال: وكان البريديُّ قصراً لا غلّة له، وإنّما يُتَنزَّهُ فيه، وكانت غلّة الزوراء غلّة وافرة عظيمة.

---

(١) القَتَبُ: الرَّحْل الصغير.

(٢) الزوراء: مدينة ببغداد في الجانب الشرقي (معجم البلدان ٣:١٥٦).

[بدراقس يجري لها عملية لعينها]

وقال هارون: وحدّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه، وعَمّه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين: أن سكينة بنت الحسين، خرجت بها سَلَعة[١] في أسفل عينها، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها، وعظُم شأنها. وكان بدراقس منقطعاً إليها في خدمتها، فقالت له: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال لها: أتصبرين على ما يمسُّكِ من الألم حتى أُعالجك؟ قالت: نعم. فأضجعها، وشَقَّ جلد وجهها حتى ظهرت السَّلعة، ثم كشط الجلد عنها أجمع، وسلخ اللّحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة، وكان منها شيء تحت الحدقة، فرفع الحَدَقة عنه، حتى جعلها ناحية، ثم سل عروق السلَعَة من تحتها. فأخرجها أجمع، ورد العين إلى موضعها وعالجها، وسكينة مضطجعة لا تتحرَّك ولا تئنّ، حتى فرغ مما أراد، فزال عنها، وبرئت منها، وبقي أثر تلك الجراحة في مُؤَخَّرِ عينها، فكان أحسن شيء في وجهها، وكان أحسن على وجهها من كلّ حَلْيٍ وزينة، ولم يؤثر ذلك في نظرها، ولا في عينها.

[سكينة بنت الحسين تحكم بين الشعراء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المدينيّ، عن المدائنيّ. وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه عن محمد بن سلام، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عُمر بن شبة موقوفاً عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين، جرير والفرزدق وكُثَيِّر وجميل ونُصَيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيّكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

[الطويل]

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ... كَمَا انْحَطَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهْ[٢]

---

(١) السَّلَعَة: خراج في الجسم أو العين.

(٢) الأقتم: الذي في لونه حمرة وغبرة.

فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلاَيَ بِالأَرْضِ قَالَتَا   أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهْ
فَقُلْتُ ارْفَعُوا الأَمْرَاسَ لا يَشْعُروا بِنَا   وَأَقْبَلْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أُبَادِرُهْ
أُبَادِرُ بَوَّابَيْنِ قَدْ وُكِّلا بِنَا   وَأَحْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَبِصُّ مَسَامِرُهْ

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سِرِّها وسِرّك؟ هلاّ سترتها وسترت نفسك؟ خذ هذه الألف، والحقّ بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيّكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل: [الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ وَلَيْسَ ذا   حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلامِ
تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّهُ   بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ[(١)]
لَوْ كَانَ عَهْدُكِ كَالَّذِي حَدَّثْتِنَا   لَوَصَلْتِ ذاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامِ[(٢)]
إِنِّي أُوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وِصَالَهُ   بِحِبَالِ لا صَلِفٍ وَلاَ لَوَّامِ[(٣)]

قال: نعم. قالت: أفَلا أخذت بيدها، ورَحَّبتَ بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيّكم كُثَيِّر؟ فقال: هأنذا. فقالت: أنت القائل: [الطويل]

وَأَعْجَبَنِي يَا عَزُّ مِنْكِ خَلاَئِقٌ   كِرَامٌ إذا عُدَّ الخَلاَئِقُ أَرْبَعُ
دُنُوُّكِ حَتَّى يَطْمَعَ الطَّالِبُ الصِّبَا   وَدَفْعُكِ أَسْبَابَ الهَوَى حِينَ يَطْمَعُ
وَقَطْعُكِ أَسْبَابَ الكَرِيمِ وَوَصْلُكِ الْـ   ـلئيمِ وَخَلاَّتُ المَكَارِمِ تَرْفَعُ
فَوَاللهِ مَا يَدْرِي كَرِيمٌ مُمَاطَلٌ   أَيَنْسَاكِ إِذْ بَاعَدْتِ أَمْ يَتَضَرَّعُ

قال: نعم. قالت: مَلَّحْتَ وشَكَّلْتَ. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك.

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيّكم نُصَيْب؟ قال: هأنذا. قالت: أأنت القائل: [الوافر]

وَلَوْلاَ أَنْ يُقَالَ صَبَا نُصَيْبٌ   لَقُلْتُ بِنَفْسِيَ النَّشَأُ الصِّغَارُ
بِنَفْسِي كُلُّ مَهْضُومٍ حَشَاهَا   إذا ظُلِمَتْ فَلَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ

(١) الأغرّ: صفة للأسنان والأغر: الأبيض الحسن.
(٢) الرِّمام: المتقطّع.
(٣) الصَّلِف: المتكبّر.

قال: نعم قالت: رَبّيتنا صغاراً، ومدحتنا كباراً. خذ هذه الأربعة الآلاف، والحقْ بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تُقْرِئك السلام، وتقول لك: والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادِي القُرَى إِنِّي إِذاً لَسَعِيدُ[١]
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ ... وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

جعلتَ حديثنا بشاشةً، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار، والحق بأهلك.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيريّ، قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر. فحكّموا سكينة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقادَون[٢]، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول: [الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلوبِ وَلَيْسَ ذا ... حِينَ الزِّيَارةِ فَارجِعِي بِسَلامِ

وأيُّ ساعة أحلى للزيارة من الطُّروق، قَبَحَ اللهُ صاحبك، وقَبَح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام!

ثم قالت لراوية كُثَيِّر: أليس صاحبُك الذي يقول: [الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا ... وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ العَيْنُ قَرَّتِ

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحبُّ صاحبك أن يُنكَح؟ قَبَح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

[الطويل]

فَلَوْ تَركَتْ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا ... وَلكن طِلابيها لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلي

---

(١) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى (معجم البلدان ٥: ٣٤٥).

(٢) يتقادون: يتبارون في التفاخر بأصحابهم.

فما أرى بصاحبك من هَوًى، إنَّما يطلب عقله، قَبَح الله صاحبَك وقَبَح شعره! ثم قالت لراوية نُصَيب: أليس صاحبك الذي يقول: [الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَيَا حَرَبا مَنْ ذا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي[1]

فما أرى له همّة إلاَّ مَنْ يتعشقها بعده! قَبَحه الله وقبح شعره! ألا قال:

[الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَلاَ صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبُك الذي يقول: [الكامل]

مِنْ عَاشِقَيْنِ تَوَاعَدا وَتَراسَلا لَيْلاً إذا نَجْمُ الثُّرَيَّا حَلَّقا
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّهَا حَتَّى إذا وَضَحَ الصَّبَاحُ تَفَرَّقا

قال: نعم، قالت: قَبَحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تُثْنِ على أحد منهم في ذلك اليوم، ولم تُقَدِّمْه.

قال: وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلاَّ جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت: لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول: [الطويل]

فَيَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصَمُّ تَقُودُنِي بُثَيْنَةُ لا يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُها

قال: نعم، قالت: رحم الله صاحبَك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له.

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغانٍ تذكر هاهنا نسبتها.

فمنها:

صوت

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَّ بازٌ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهْ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلاَيَ بالأَرْضِ قَالتا أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهْ

عروضه الطويل، الشعر للفرزدق، والغناء للحَجَبيّ، ورمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحبش.

وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس،

(١) واحَرَباه: واأسفاه، واحزناه.

وحدّثنا به اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال: كان للفرزدق غلامان، يقال لأحدهما وَقَّاع، وللآخر زُنْقَطة. قال: ولوقّاع يقول الفرزدق: [الطويل]

تَغَلْغَلَ وقّاعٌ إِلَيْهَا فَأَقْبَلَتْ ... تَخُوضُ خُدَارِيًّا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرا(١)
لَطِيفٌ إذا مَا انْغَلَّ أَدْرَكَ ما ابْتَغَى ... إذا هُوَ لِلظَّبْيِ المَرُوعِ تَقَتَّرَا(٢)

وله يقول أيضاً: [الوافر]

فَأَبْلَغَهُنَّ وَحْيَ القَوْلِ عَنِّي ... وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ تَحْتَ القِرَامِ(٣)
أُسَيِّد ذو خُرَيِّطَةٍ نَهَارا ... مِنَ المُتَلَقِّطِي قَرَدِ القُمامِ
فَقُلْنَ لَهُ نُواعِدكَ الثُّرَيا ... وذَاكَ إِلَيْهِ مُجْتَمَعُ الرِّجَامِ(٤)

صوت

ثلاثٌ واثنتانِ فَهُنَّ خَمْسٌ ... وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ مَعَ السَّنَامِ
خَرَجْنَ إِليَّ لَمْ يَطْمَثْنَ قَبْلي ... فَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ
فَبِتْنَ بِجَانِبَيَّ مُصَرَّعَاتٍ ... وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الخِتَامِ

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشاميّ، وفيها هَزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر حبش أن الهزج لفُليح، وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة قال: حدَّثنا محمد بن سلام، قال: قال الفرزدق وهو بالمدينة: [الطويل]

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ... كَمَا انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهْ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلاَيَ بالأَرْضِ قَالَتا ... أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهْ
فَقُلْتُ ارفعوا الأَسْبَابَ لا يفطُنوا بِنَا ... وَوُلِّيتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أُبَادِرُهْ

---

(١) الليل الخُدَاريّ: المظلم.
(٢) انغلّ: دخل. وتقتّر: تهيّأ وتلطّف.
(٣) القِرام: ثوب غليظ من صوف ملوّن يُتّخذ سِتراً.
(٤) الرِّجام: ما يبني على البئر فتجعل عليه الخشبة للدلو.

أُبَادِرُ بَوَابَيْنِ قَدْ وُكِّلا بِنَا وَأَحْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَبِصُّ مَسَامِرُهْ
وَأَصْبَحْتُ في القَوْمِ الجُلوسِ وَأَصْبَحَتْ مُغَلَّقَةً دوني عَلَيْهَا دَسَاكِرُهْ[١]

قال: فأنكرتْ ذلك قريش عليه، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية، وأجَّله ثلاثة أيام، فقال: [الكامل]

يا مَرْوَ إنَّ مَطِيَّتِي مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الحِبَاءَ وَرَبُّهَا لَمْ يَيْأَسِ[٢]
وَأَتَيْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ أَخْشَى عَلَيَّ بِهَا حِباءَ النِّقْرِسِ[٣]
أَلْقِ الصَّحيفَةَ يا فَرَزْدَقُ لا تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صَحيفَةِ المُتَلَمِّسِ[٤]

وقال في ذلك: [الوافر]

وَأَخْرَجَنِي وَأَجَّلَنِي ثَلاَثاً كَمَا وُعِدَتْ لِمَهْلِكِها ثَمُودُ

وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه، فقال: [المتقارب]

وَشَبَّهْتَ نَفْسَكَ أَشْقَى ثَمودِ فَقَالُوا ضَلَلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً. وقال فيه أيضاً جرير: [الطويل]

تَدَلَّيْتَ تَزْني مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ العُلاَ والمَكَارِمِ

وهما قصيدتان:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عُمر بن شَبّة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله: [الطويل]

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

فقال له: زِدني. فأنشده قوله: [الوافر]

ثَلاثٌ واثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ وَسَادِسَةٌ تَميلُ إلى الشَّمَامِ

فقال له سليمان: ما أظنّكَ إلاّ قد أحللتَ بنفسك العقوبة، أقررتَ بالزنا

(١) الدَّساكر: جمع الدَّسكرة: بناء ضخم حوله بيوت يكون فيها الشراب والملاهي.
(٢) الحِباء: العطاء.
(٣) النقرس: الداهية من الأدلاّء.
(٤) المتلمس: الشاعر خال طرفة بن العبد، وصحيفته هي الكتاب الذي حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله.

عندي وأنا إمام، ولا بدَّ لي من إقامة الحدّ عليك. قال: إن أخذت فيّ بقول الله عزَّ وجلَّ لم تفعل. قال: وما قال الله عزَّ وجلَّ؟ قال: قال: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الغاوون أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يهيمون وَأَنَّهُمْ يَقُولونَ مَا لاَ يَفْعَلُونْ﴾[1]. فضحك سليمان، وقال: تلافيتها ودرأتَ عن نفسك، وأمر له بجائزة سنِيَّة، وخَلَع عليه.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال: نزل الفرزدق هو ومَنْ معه بقوم من العرب، فأنزلوه وأكرموه، وأحسنوا قِرَاهُ، فلمّا كان في اللّيل دَبَّ إلى جارية منهم، فراوَدَها عن نفسها، فصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده وأَنَّبوه، فجعل يفكّر واهتمَّ، فقال له الرجل الذي نزل به: مَا لَكَ؟ أَتُحِبُّ أن أزوّجك من هذه الجارية. فقال: لا، والله. ما ذلك بي، ولكني كأني بابن المراغة[2] قد بلغه هذا الخبر، فقال فيّ: [الوافر]

وَكُـنْـتَ إِذَا حَـلَـلْـتَ بِـدَارِ قَـوْمٍ رَحَـلْـتَ بِـخَـزْيَـةٍ وَتَـرَكْـتَ عَـارَا

فقال له الرجل: لعلّه لا يفطُن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فوالله ما لبثوا أن مَرَّ بهم راكب ينشد هذا البيت، فسألوه عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل، وفيها هذا البيت بعينه.

ومنها:

صوت

[الكامل]

طَـرَقَـتْـكَ صَـائِـدَةُ الـقُـلـوبِ وَلَـيْـسَ ذَا حِـيـنَ الـزِّيَـارةِ فَـارْجِـعِـي بِـسَـلاَمِ
تُـجْـرِي الـسِّـواكَ عَـلَـى أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ بَـرَدٌ تَـحَـدَّر مِـنْ مُـتُـونِ غَـمَـامِ
هَـيْـهَـاتَ مَـنْـزِلُـنـا بِـجَـوِّ سُـوَيْـقَـةٍ مِـمَّـنْ يَـحِـلُّ بَـوَاطِـنَ الآجَـامِ[3]
إِقْـرَ الـسَّـلامَ عَـلَـى سُـعَـادَ وَقُـلْ لَـهَـا لَـوْمَـا تَـردّ رَسُـولَـنَـا بِـسَـلامِ

الشعر لجرير، والغناء لابن سريج: ثاني ثقيل بالسبابة في مَجرى البِنصر عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضاً ولم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى، وذكره عمرو بن بانة أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه

(١) سورة الشعراء: الآيات من ٢٢٤ ـ ٢٢٦.
(٢) ابن المراغة: لقب جرير وقد هجاه به الأخطل ونسب أمه إلى أن الرجال يتمرّغون بها.
(٣) جو سويقة: من أجوية الصمّان. (معجم البلدان ٣:٢٨٧).

الطريقة، وذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش، وقال: هو بالوسطى، قال عليّ بن يحيى: ومن الناس من ينسبه إلى سِياط. وذكر حبش أن فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى ومنها:

صوت

[الكامل]

مِنْ عَاشِقَيْنِ تَرَاسَلاَ وتَوَاعَدَا ... بِلِقاً إذا نَجْمُ الثُّرَيَا حَلَّقَا
بَعَثَا أَمَامَهُمَا مَخَافَةَ رِقْبَةٍ ... رَصَداً فَمَزَّقَ عَنْهُمَا مَا مَزَّقا
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وَأَلَذِّهَا ... حَتَّى إذا وَضَحَ الصَّبَاحُ تَفَرَّقَا

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

وروى أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي يعقوب الثقفيّ، عن عامرٍ الشعبيّ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق خرج حاجّاً، فلمّا قضى حَجَّه خرج إلى المدينة، فدخل على سُكينة بنت الحسين مسلماً، فقالت له: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ. أشعر منك الذي يقول:

[الوافر]

بِنَفْسِيَ مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ
وَمَنْ أُمْسِي وَأُصْبِحُ لا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إذا هَجَعَ النِّيَامُ

قال: والله لئن أذنتِ لي لأُسْمِعَنَّكِ أحسنَ منه. قالت: أقيموه، فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول: [الكامل]

لَوْلاَ الحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ والحَبِيبُ يُزَارُ
كَانَتْ إذا هَجَرَ الضَّجِيعُ فِرَاشَهَا كُتِمَ الحَدِيثُ وَعَفَّتِ الأَسْرَارُ
لا يُلْبِثُ القُرَنَاءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهَارُ

فقال: والله لئن أذنتِ لي لأُسمعنّكِ أحسن منه. فأمرت به فأُخرج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحولها مولَّدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأُعجِبَ بها. فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ فقال: أنا. فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول: [البسيط]

إِنَّ العُيُونَ الَّتي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حَتَّى لا حَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا

فقالَ: يا بنتَ رسول اللهﷺ إنَّ لي عليكِ حَقّاً عظيماً. ضربتُ إليك من مكّة أُريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إيَّايَ أن أسمعك، وبي ما قد عِيلَ معه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولَعَلّي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإنْ أنَا متُّ فمري أن أُدْرَجَ في كفني، وأُدفن في حِرِ تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبته، فضحكت سُكينة، وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً بِرَيْطَتها[1]، وأمرت الجواري أن يدفَعْن في أقفائهما، ثم قالت: يا فرزدق، أَحْسِنْ صحبتها، فإني آثرتك بها على نفسي.

[وفاتها]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حَدّثنا علي بن محمد النوفليّ، قال: حدّثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم: أنه لم يصلَّ على أحد بعد رسول اللهﷺ بغير إمام إلاّ سكينة بنت الحسين، فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه، فآذنوه بِالجنازة، وذلك في أول النهار في حَرّ شديد، فأرسل إليهم، لا تُحدِثوا حَدَثاً حتى أجيءَ فأُصَلّي عليها، فوُضِعَ النعشُ في موضع المُصَلّى على الجنائز، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تُحْدثوا فيها شيئاً حتى أجيء، فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه، فلا يأذن لهم حتى صليت العَتَمة ولم يجيء، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون، فقال عليّ بن الحسين: مَنْ أعان بِطِيبٍ رحمه الله! قال: وإنَّما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظنَّ قوم أن تُنْتن. قال: فَأُتِيَ بالمجامر، فوُضِعَتْ حول النَّعش، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العُثمانيّ، فأتى عطّاراً كان يعرف عنده عُوداً، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ثم أتى به، فسُجِرَ[2]. حول السرير، حتى أصبح وقد فُرِغَ منه، فلمّا صُلِّيَتِ الصبح أرسل إليهم، صَلُّوا عليها وادفِنوها. فصلّى عليها شَيبةُ بن نِصاح.

---

(١) الرّيطة: الثوب من نسج واحد وقطعة واحدة.

(٢) سُجِرَ: أوقِدَ.

وذكر يحيى بن الحسين في خبرهُ أن عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

صوت

[الرمل]

وَأنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخضَرُ الجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ العَرَبْ
مَنْ يُسَاجِلْني يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[1]
إنَّمَا عَبْدَ مَنَافٍ جَوْهَرٌ زَيَّنَ الجَوْهَرَ عَبْدُ المُطَّلِبْ
كُلُّ قَوْمٍ صِيغَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ ذَهَبْ
نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ بَنَى اللهُ لَنَا شَرَفاً فَوْقَ بُيوتَاتِ العَرَبْ
بِنَبِيِّ اللهِ وابْنَيْ عَمِّهِ وَبِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبْ

الشعر للفضل بن العباس اللَّهَبِيّ، والغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالبنصر، في الأوّل والثاني والثالث، ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل مطلق في مَجْرى البنصر، وذكر يونُس أن فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مِسْجَح وابن سريج خمسة ألحان، وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رَمَل، ولحن مالك خفيف رَمَل، ولحن معبد خفيفُ ثَقيل، ولحن ابن محرز ثقيل أوّل. وذكر ابن المكيّ أن الثقيل الأول لمالك، وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل، وذكر الهشاميّ أن فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ولأبي الحسن مولى سكينة، في الثالث والرابع، خفيف ثقيل. وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء[2] في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه: أن لابن عائشة فيهما لحناً، ووافقه ابن المكيّ، وذكر أنه خفيف رَمَل. قال: وقيل إنه لِدُحْمان. وذكر ابن خرداذبه أن لِخُليدة المكية في الرابع والثالث خفيفَ رمل، وفي الخامس والسادس والأول رَمَل، يقال إنه لإبراهيم، ويقال إنه لإسحاق، والخامس والسادس من هذه الأبيات، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللَّهَبيّ، فليس من القصيدة التي فيها:

* وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُني *

(١) الكَرَب: حبل صغير يصل حبل الدلو بالخشبة المعترضة عليها.
(٢) صاحب الوضوء: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله.

لكن من قصيدة له أوّلها : [الرمل]

شَابَ رَأْسِي وَلِدَاتِي لَمْ تَشِبْ بَعْدَ لَهْوٍ وَشَبَابٍ وَلَعِبْ[1]
شِيبَ الْمَفْرِقُ مِنِّي وَبَدا فِي حَفَافَيْ لِحْيَتِي مِثْلُ الْعَطَبْ

في هذين البيتين لهاشم ونُفَيلة خفيفُ رَمَل بالوسطى، والقصيدة التي فيها :

[الرمل]

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدَةِ مِنْ نَسْلِ العَرَبْ

أوّلها قوله : [الرمل]

طَرِبَ الشَّيْخُ وَلاَ حِينَ طَرَبْ وَتَصَابى وَصِبَا الشَّيْخِ عَجَبْ

(١) اللِّدَة: الذي وُلِدَ معك أو تربّى معك.

أخبار الفضل بن العباس اللّهبيّ ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وٱسمه عبد العزّى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. وكان شديد الأُدمة. ولذلك قال:

* وَأَنَـا الأَخْـضَـرُ مَـنْ يَـعْـرِفُـنِـي *

وهو هاشميّ الأبوين؛ أمّه بنت العباس بن عبد المطلب.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيديّ، عن عَمّه عبيد الله، عن ابن حبيب. وإنّما أتاه السَّوَاد من قِبل أمه: جدّته، وكانت حبشيّة.

وكان النبيّ ﷺ زَوَّجَ عُتبةَ إحدى بناتِه، فلمّا بعثه الله تعالى نبياً، أقسمت عليه أم جميل أن يطلّقها. فجاء إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد، أُشْهِدُ مَنْ حضر أنّي قد كفرتُ بربِّكَ، وطلَّقْتُ ابنتكَ. فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله. فبعث الله عزَّ وجلَّ عليه أسداً فافترسه.

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال: حَدَّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلَّى قال: حَدَّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة الثماليّ، عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿والنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[١]، قال عتبة للنبيّ ﷺ: أنا أكفر بربِّ النجم إذا هوى. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمَّ أرسلْ عليه كلباً من كلابِك». قال: فقال ٱبن عباس: فخرج إلى الشّأم في ركب فيهم هَبَّار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة[٢]،

(١) الأُدمة: السُّمرة.

(٢) سورة النجم: الآية ١.

(٣) الغاضرة: قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء (معجم البلدان ٤: ١٨٣).

وهي مَسْبَعة، نزلوا ليلاً، فافترشوا صَفّاً واحداً، فقال عتبة: أتريدون أن تجعلوني حَجْرَةً[١]؟ لا والله، لا أبيت إلاّ وسطكم. فبات وَسْطَهم. قال هبّار: فما أنبهني إلاّ السّبعُ يشمُّ رؤوسَهم رجلاً رجلاً، حتى انتهى إليه، فأنشبَ أنيابه في صدغيه، فصاح: أيْ قوم، قتلني دعوة محمد، فأمسكوه، فلم يلبثْ أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: حَدّثنا علي بن إبراهيم قال: حدّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله. إلا أنه قال: قال عتبة: أنا بريءٌ من الذي ﴿دَنَا فتدَلَّى﴾. قال: وقال هَبّار: فضغمه الأسد ضَغْمة، فٱلتقت أنيابه عليه.

[الفضل يحسد الأحوص والثاني يعيّره بحمالة الحطب]

نسخت من كتاب ٱبن النطّاح عن الهيثم بن عديّ، وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، إلاّ أن رواية ٱبن النطاح أتمُّ، واللّفظ له، قال: مَرَّ الفضلُ اللَّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد ٱجتمع الناس عليه، فحسده فقال له: يا أحوص إنَّك لَشاعر، ولكنك لا تعرف بالغريب، ولا تُعْرِب. قال: بلى والله، إنّي لأبصرُ الناسِ بالغريب والإعراب، فأسألك؟ قال: نعم. قال: [البسيط]

مـا ذاتُ حَبْـلٍ يَـرَاهَـا الـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمُ ... وَسْطَ الـجَحيـمِ فَلاَ تَخْفَى عَلَى أَحَدِ
كُـلُّ الـحِبَـالِ حِبَـالِ النَّـاسِ مِـنْ شَـعَـرٍ ... وَحَبْلُهَا وَسْطَ أَهْلِ النَّارِ مِنْ مَسَدِ[٢]

فقال له الفضل بن العباس: [البسيط]

مَـاذا أَرَدْتَ إلـى شَـتْـمِـي وَمَـنْـقَـصتِـي ... مـاذا أَرَدْتَ إِلَـى حَـمَّـالَـةِ الـحَـطَـبِ؟
أَذْكَـرْتَ بِـنْـتَ قُـرُومٍ سَـادَةٍ نُـجُـبٍ ... كَـانَـتْ حَـليلَـةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ النَّسَبِ[٣]

فانصرف عنه.

(١) الحَجْرَة: الناحية.
(٢) المَسَد: الحبل المُحْكَم الفَتْل.
(٣) القروم: جمع القرم: السيّد.

[بينه وبين الحزين الديلي والفرزدق]

قال ابن النطاح: وحُدِّثْتُ أن الحزين الدِّيلي مَرَّ بالفضل يوم جمعة، وعنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتنشد الشِّعرَ والناس يروحون إلى الصّلاة؟ فقال الفضل: ويْلَكَ يا حزين أتتعرّضُ لي، كأنك لا تعرفني. قال: بلى والله، إني لأعَرفك، ويعرفك معي كلُّ من قرأ سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾. وقال يهجوه:

[الوافر]

إذا مَا كُنْتَ مُفْتَخِراً بِجَدٍّ ... فَعَرِّجْ عَنْ أَبِي لَهَبٍ قَلِيلا

فَقَدْ أَخْزَى الإِلَهُ أَبَاكَ دَهْراً ... وَقَلَّدَ عِرْسَهُ حَبْلاً طَوِيلا[1]

فأعرض عنه الفضل، وتكرَّم عن جوابه. وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه.

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال: دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عُتبة ينشد:

[الرمل]

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِداً ... يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق: مَن المنشِدُ؟ فأُخبر به، فقال: ما يساجلُك إلاّ من عَضَّ بَظْرَ أمّه.

حَدّثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثنا محمد بن الحكم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجّاً إلى مكّة وهو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة فشكا إليه كثرة العيال، وسأله فأعطاه مالاً وإبلاً ورقيقاً. فلما مات الوليد وَلِيَ سليمان فحجَّ، فأتاه فسأله، فلم يعطِه شيئاً، فقال:

[الكامل]

يا صَاحِبَ العِيسِ الَّتي رُحِلَتْ ... مَحْبُوسَةً لِعَشِيَّةِ النَّفْرِ[2]

امْرُرْ عَلَى قَبْرِ الوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ ... صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ مِنْ قَبْرِ

يا وَاصِلَ الرَّحِمِ الَّتي قُطِعَتْ ... وَأَصَابَهَا الجَفَوَاتُ في الدَّهْرِ

إِنّي وَجَدْتُ الخِلَّ بَعْدَكَ كَاذِباً ... فَبَرِئْتَ مِنْ كَذِبٍ وَمِنْ غَدْرِ

(١) العِرس: الزوجة.

(٢) عشيّة النَّفر: هي العشية التي ينفر فيها الناس من مِنًى، وهي بعد يوم القرّ.

وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِنِسْوَةٍ يَنْدُبْنَهُ ... بِيضِ السَّوَاعِدِ مِنْ بَنِي فِهْرِ
تَبْكِي لِسَيِّدِهَا الأَجَلّ وَمَا ... يَبْكِينَ مِنْ نَابٍ وَلا بَكْرِ
يَبْكِينَهُ وَيَقُلْنَ: سَيِّدَنَا ... ضَاعَ الخِلافَةُ آخِرَ الدَّهْرِ
ماذا لَقِيتُ، جُزِيتَ صَالِحَةً ... مِنْ جَفْوَةِ الإِخْوَانِ لَوْ تَدرِي

أخبرني وكيع بهذا الخبر، قال: حدّثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدّثنا أبو غسان قال: أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت، قال: كان الفضل بن العباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه، فقال:

يَا رَاكِبَ العِيسِ الَّتِي وُقِفَتْ ... لِلنَّفْرِ يَوْمَ صَبِيحَةِ النَّحْرِ

وذكر الأبيات. قال: وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كلَّ سنة، فقال: يا أمير المؤمنين، بقِي شارب الرّيح. قال: وما شارب الريح؟ قال: حماري، افرِضْ له شيئاً. ففرض له خمسة دنانير، فأخذها ولم يكن يطعمه، فعمَد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، وعلّقها في عنقه، وجاء بها إلى القاضي، فأضحك منه الناس.

[بخله]

حدّثنا اليزيديّ، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبو الشكر مولى بني هاشم، كوفيّ ظريف، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، فقدم عليّ بن عبد الله بن العباس حاجّاً، فأتاه في منزله مسلّماً عليه، فقال: كيف أنت، وكيف حالك؟ قال: بخير، نحن في عافية، قال: فهل من حاجة؟ قال: لا والله، وإني لأشتهي هذا العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج. فغمز غلاماً له، فذهب فأتاه بِسَلّةٍ عظيمة من عنب، فجعل يغسل له عنقوداً عنقوداً ويناوله، فكلما فعل ذلك قال: بَرَّتْكَ رَحِمٌ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال: كان الفضل بن العباس بخيلاً، وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضي في حاجة ٱستعار مركوباً، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله، فقال له بعض بني هاشم: أنا أشتري لك حماراً تركبه، وتستغني عن العَارِيَّة.

ففعل، وبعث به إليه، فكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجاً. فلمّا طال عليه ذلك، آشترى سرجاً بخمسة دراهم، وقال:

[الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ المَالَ مَأْلفَ أَهْلِهِ ... وَصَانَ ذوِي الأَخْطَارِ أَنْ يَتَبَذَّلُوا
رَجِعْتُ إِلَى مَالِي فَأَعْتَبْتُ بَعْضَهُ ... فَأَعْتَبَنِي إِنِّي كذلكَ أَفْعَلُ(١)

ثم قال للذي آشترى له الحمار: إني لا أُطيق عَلَفه، فإما أن تبعث إليّ علفه وإلاّ رددتُهُ. فكان يبعث إليه بعلَفٍ كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كلّ أحد يأنس به علفاً لحماره، فيبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هَزَل وعطِب. فرفع الحزينُ الكِنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب في رأسها قصة حمار الفضل اللهبي، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضِيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، ويأخذ ثمنه، ويسأل أن يُنصَف منه. فضحك لما قرأ الرقعة، وقال: لئن كنت مازحاً إني لأراك صادقاً. وأمر بتحويل حمار اللّهبيّ إلى إصطبله، لِيعلِفه ويُقضِمه، فإذا أراد ركوبه دُفِعَ إليه.

أخبرني وكيع قال: حدّثني محمد بن سعد الشاميّ، عن ابن عائشة، قال: كان الفضل اللهبي بغير سرج، فاستعار سرجاً، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته، وأنشأ يقول:

* وَلَمَّا رَأَيْتُ المَالَ مَأْلِفَ أَهْلِهِ *

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال: كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدّهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيّهﷺ، فمن منشد شعراً، ومتحدّث حديثاً، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العباس اللَّهَبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

[البسيط]

مَا بَاتَ قَوْمٌ كِرَامٌ يَدَّعُونَ يَداً ... إلاَّ لِقَوْمِي عَلَيْهِمْ مِنَّةٌ وَيَدُ

(١) أعتبت: طلبت العُتبى أي الرضا.

نَحْنُ السَّنَامُ الَّذي طَالَتْ شَظِيَّتُهُ فَمَا يُخَالِطُهُ الأَدْوَاءُ وَالعَمَدُ[١]

فمن صلَّى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول اللهﷺ يداً عليه، بما هداه الله عزَّ وجلَّ إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك مِنّة لنا على الناس.

وفي هذين البيتين غناء لابن محرز، هَزَج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة. وقوله: «طالت شظيّته»، الشَّظِيَّة: الشَّظَى[٢]، قال دريد بن الصمّة: [الطويل]

سَليمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا أَمينُ القُوى نَهْدٌ طَويلُ المُقَلَّدِ[٣]

والعَمَد: داء يصيب البعير من مُؤخر سنامه إلى عجزه، فلا يُلْبِثه أو يقتلَه.

[قدومه على عبد الملك ومدحه إيّاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حَدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياديّ: والله ما أسمع شعراً. فلما كان العشيّ راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين: [الطويل]

أَتَيْتُكَ خَالاً وابْنَ عَمٍّ وَعَمَّةٍ وَلَمْ أَكُ شَعْباً لاَطَهُ بِكَ مِشْعَبُ[٤]
فَصِلْ واشِجَاتِ بَيْنَنَا مِنْ قَرَابَةٍ أَلاَ صِلَةُ الأَرْحَامِ أَبْقَى وَأَقْرَبُ[٥]
ولا تَجْعَلَنِّي كَامْرِىءٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَينَكُمْ قُربَى وَلاَ مُتَنَسَّبُ
أَتَحْدِبُ مِنْ دُونِ العَشِيرةِ كُلِّهَا فَأَنْتَ عَلَى مَوْلاَكَ أَحْنَى وَأَحْدَبُ

فقال الزياديّ: هذا، والله يا أمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك:

---

(١) الشَّظيّة: كل فلقة من شيء.
(٢) الشَّظى: عظم صغير دقيق لازق بالركبة.
(٣) عبل الشوى: ضخم الأطراف. والشَّنِج: المتقبّض، والنَّسَا: عرق من الورك إلى الكعب.
(٤) لاطه: ألصقه.
(٥) الواشجات: جمع الواشجة: القرابة المشتبكة المتّصلة.

النَّخس يكفيك البطيء[1]. وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده، وأحسن صلته.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ قال: حدّثني عَمّي قال: لما قدم الفضل اللَّهبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها. فلما قدم الأُحيحي على المهديّ فمدحه، قال المهدي لمن حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللَّهَبيّ لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه. فأمر للأُحيحيّ بثلاثين ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تُجْنَب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

[الرجز]

يَـا أَيُّـهَـا الـبـكـرُ الَّـذي أَرَاكَـا عَـلَـيْـكَ سَـهْـلَ الأَرْضِ فِـي مَـمْـشَـاكَـا
وَيْـلَـكَ هَـلْ تَـعْـلَـمُ مَـنْ عَـلاَكَـا إنَّ ابْـنَ مـروانَ عَـلَـى ذُراكَـا
خَـلـيـفَـةُ اللهِ الَّـذي امْـتَـطَـاكَـا لَـمْ يَـعْـلُ بـكـراً مِـثْـلُ مَـنْ عَـلاَكَـا

فعارضه الفضل اللَّهبي، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس، فقال: [الرجز]

يَـا أَيُّـهَـا الـسَّـائِـلُ عَـنْ عَـلِـيِّ سَـأَلْـتَ عَـنْ بَـدْرٍ لَـنَـا بَـدرِيِّ
أَغْـلَـبَ فـي الـعَـلْـيَـاءِ غَـالِـبِـيِّ وَلَـيِّـنِ الـشِّـيـمَـةِ هَـاشِـمِـيِّ

* جـاء عـلـى بـكـرٍ لـه مَـهْـرِيِّ *

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلمّا أعطى قريشاً مر به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه عليّ، هكذا رواية عُمر بن شبّة.

وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفليّ عن عمه: أن

---

(١) المثل في مجمع الأمثال للميداني، ومعناه أن الحثّ يحرّك البطيء الضعيف ويحمله على السرعة.

سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللّهبيّ يستقي، فجعل يرتجز ويقول: [الرجز]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ عَلِيٍّ سَأَلْتَ عَنْ بَدْرٍ لَنَا بَدْرِيٍّ
مُقَدَّمٍ في الخَيْرِ أَبْطَحِيٍّ وَلَيِّنِ الشِّيمَةِ هاشميٍّ
زَمْزَمَنَا بُورِكْتِ مِنْ رَكِيٍّ بُورِكْتِ لِلسَّاقِي وَلِلْمَسْقِيِّ

فغضب سليمان، وهَمَّ بالفضل. فكفَّه عنه عليّ بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحبّ ووضعه في يده ولم يشربه. فلما ولي الخلافة وحجَّ لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً.

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال: ذكر أبو الحسن المدائنيّ أن الحارث بن خالد المخزوميّ، كان يحسد الفضل اللّهبيّ على شعره ويعاديه، لأنَّ أبا لهب كان قامر جَدَّهُ العَاصي بن هشام على ماله فقَمَره، ثم قامره على رقِّه فقَمَره[1]، فأسلمه قَيْناً، ثم بعث به بديلاً يوم بدر، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول: هذا شعر ابن «حمّالة الحطب». فقال الفضل في ذلك:

[البسيط]

مَاذَا تُحَاوِلُ مِنْ شَتْمِي وَمَنقَصَتي مَاذا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الحَطَبِ
غَرّاءُ سائِلَةٌ في المَجْدِ غُرَّتُهَا كَانَتْ حَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ النَّسَبِ
إنَّا وإنّ رسولَ اللهِ جَاءَ بِنَا شيخٌ عظيمُ شؤونِ الرَّأسِ والنَّشَبِ
يَا لَعَنَ اللهُ قَوْماً أَنْتَ سَيِّدُهُمْ في جِلْدَةٍ بَيْنَ أَصْلِ الثِّيلِ والذَّنَبِ[2]
أَبِالقُيونِ تُوَافيني تُفَاخِرُني وَتَدَّعي المَجْدَ قَدْ أَفْرَطْتَ في الكَذِبِ
وَفِي ثَلاثَةِ رَهْطٍ أَنْتَ رابعُهُمْ توعدني واسِطاً جُرْثُومَةَ العَرَبِ
في أُسْرَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ دَعَائِمُهَا تَشْفِي دِمَاؤهُمْ لِلخَبْلِ والكَلَبِ
أَمّا أَبُوكَ فَعَبْدٌ لَسْتَ تُنْكِرُهُ وَكَانَ مَالِكَهُ جَدِّي أَبُو لَهَبِ
النَّبْعُ عِيدانُنَا والمَجْدُ شِيمَتُنَا لَسْنَا كَقَوْمِكَ مِنْ مَرْخٍ ولا غَرَبِ[3]

---

(١) قمره: غلبه.
(٢) الجِلدة: القوم والجماعة. والثِّيل: وعاء القضيب.
(٣) النَّبع: شجر تُصنع منه القِسيّ. والمرخ: شجر رقيق. والغَرَب: نبات هشّ ضعيف.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عَمّي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال: كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْربُ حَنّاط قد داين الفضل اللّهَبيّ فمطله، ثم مَرَّ به الفضلُ وهو يبيع حِنطَة له، ويقول:

[الرجز]

جَاءَتْ بِهَا ضَابِطَةُ التِّجَارِ صَافِيَةً كَقِطَعِ الأَوْتَارِ

فقال الفضل: [السريع]

قَدْ تَجَرَتْ عَقْربُ في سوقِنَا يَا عَجَبا لِلْعَقْرَبِ التَّاجِرَهْ
قَدْ صَافَتِ العَقْربُ واسْتَيْقَنتْ أَنْ مَا لَها دُنْيَا ولا آخِرَهْ[1]
فَإنْ تَعُدْ عَادَتْ لِمَا سَاءَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَهْ
إِنَّ عدُوًّا كَيْدُهُ فِي اسْتِهِ لَغَيْرُ ذي كَيْدٍ ولا نَائِرَهْ[2]
كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً وَعَقْرَبٌ تُخْشَى مِنَ الدَّابِرَهْ
كَأَنَّهَا إِذْ خَرَجَتْ هَوْدَجٌ شَدَّتْ قُواهُ رُفقَةٌ بَاكِرَهْ

[المناظرة بينه وبين عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حَدّثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأُدخِلَ عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له: [الرجز]

لا أَنْعَمَ اللهُ بِقَيْنٍ عَيْنَا تَحِيّةَ السُّخْطِ إذا الْتَقَيْنَا

أأنت لا أُمَّ لك القائل:

صوت [الطويل]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالمُحَصَّبِ مِن مِنًى وَلِي نَظَرٌ لَوْلاَ التَّحَرُّجُ عَارِمُ[3]

---

(١) صافت: عدلت عن الإيذاء.
(٢) النائرة: العداوة.
(٣) المحصّب: هو موضع رمي الجمار بمنى (معجم البلدان ٥:٦٢).

فَقُلْتُ: أَشَمْسٌ أَمْ مَصَابِيحُ بِيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السِّجْفِ أَمْ أَنْتَ حالِمُ[١]
بَعِيدَةُ مَهْوى القرطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوها وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ

الغناء لابن سريج: رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه، ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق: ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، أوّله:

* بَعِيدَةُ مهْوَى القِرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ *

وفي لحن معبد خاصة قوله:

وَمَدَّ عَلَيْهَا السِّجْفَ يَوْمَ لَقِيتُها عَلَى عَجَلٍ تُبَّاعُهَا والخَوَادِمُ

وتمام الشعر:

فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةَ راحَتْ كَفُّهَا وَالمَعَاصِمُ
مَعَاصِمُ لَمْ تضربْ عَلَى البَهْمِ بِالضُّحَى عَصَاهَا، وَوَجْهٌ لَمْ تَلُحْهُ السَّمَائِمُ[٢]

نرجع إلى سياقة الخبر:

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله! ما ألأمكَ! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عَمِّكَ! فقال عمر: بئست والله هذه التحيّة يا أمير المؤمنين لابن العمِّ، على شَحْط الدَّار، ونأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدِعاً عن ذلك؟ فقال: إنّي إلى الله تعالى تائبٌ. فقال عبد الملك: إذنْ يتوب الله عليك، وسيحسنُ جائزتك. ولكن أخبرني عن منازعتك اللَّهَبِيّ في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أُحب أن أسمعه منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلَّمَ وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت: [الوافر]

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ[٣]

---

(١) البيعة: معبد اليهود أو الكنيسة. والسِّجف: السِّتْر.
(٢) البَهْم: جمع البهمة: أولاد البقر والمعز والضأن. والسَّموم: الريح الحارّة.
(٣) هشام: هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ. (ت بعد ٨٧ هـ/ ٧٠٦ م).

فأقبل عليّ وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبح[١] بها عبد المطلب، وبُعِثَ منها رسول اللهﷺ، واستقرَّ بها بيتُ الله عزَّ وجلَّ، لَحقيقةٌ ألا تَقْشَعِرَّ لِهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولُ من يقول: [الرمل]

إِنَّــمَــا عَــبْــدُ مَــنَــافٍ جَــوْهَــرٌ ... زَيَّــنَ الــجَــوْهَــرَ عَــبْــدُ الــمُــطَّــلِــبْ

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إنَّ أشعر من صاحبك الذي يقول:

[البسيط]

إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى الخَيْراتِ أَجْمَعِهَا ... أَبْنَاءُ مخزومَ، لِلْخَيْراتِ مَخْزُومُ

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول: [البسيط]

جِبْرِيلُ أَهْدَى لَنَا الخَيْراتِ أَجْمَعَها ... إِذْ أَمَّ هَاشِمَ لاَ أَبْنَاءَ مَخْزُومِ

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطَّمعُ في انقطاعه عليّ، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول: [المنسرح]

أَبْنَاءُ مَخْزومِ الحَرِيقُ إذا ... حَرَّكْتَهُ تَارةً تَرَى ضَرَمَا
يَخْرُجُ مِنْهُ الشَّرَارُ مَعْ لَهَبٍ ... مَنْ حَادَ عَنْ حَرِّهِ فَقَدْ سَلِمَا

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول: [المنسرح]

هَاشِمُ بَحْرٌ إذا سَمَا وَطَمَا ... أَخْمَدَ حَرَّ الحَرِيقِ واضْطَرَمَا
واعْلَمْ وَخَيْرُ المَقَالِ أَصْدَقُهُ ... بِأَنَّ مَنْ رَامَ هَاشِماً هُشِمَا

قال: فتمنّيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساختْ بي، ثم تجلّدتُ عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول: [المنسرح]

أَبْنَاءُ مَخْزومَ أَنْجمٌ طَلَعَتْ ... لِلنَّاس تَجْلو بِنُورِهَا الظُّلَمَا
تَجُودُ بِالنَّيْلِ قَبْلَ تَسْأَلُهُ ... جُوداً هَنِيئاً وَتَضْرِبُ البُهَمَا[٢]

(١) تبحبح: حَلَّ بها وأقام.
(٢) البُهَم: جمع البُهمة: الشجاع الذي لا يُعْرَف من أين يُؤْتَى.

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول: [المنسرح]

هَاشِمُ شَمْسٌ بِالسَّعْدِ مَطْلَعهَا إذا بَدَتْ أَخْفَتِ النُّجُومَ مَعَا
اخْتَارَ مِنْهَا رَبِّي النَّبِيَّ فَمَنْ قَارَعَهَا بَعْدَ أَحْمَدَ قُرِعَا

فاسودَّت الدنيا في عيني، ودِيرَ بي، وانقطعت، فلم أُحِرْ جواباً. ثم قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ، فما يسعنا مفاخرتك. فقال: كيف؟ لا أُمَّ لك، والله لو كان منك لفخرتَ به عليّ. فقلت: صدقتَ وأستغفر الله، إنه لموضع الفَخار. وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولئلا ينالني عَوَز عن إجابته فأُفتضح. ثم إنه ابتدأ بالمناقضة، فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلتَ فلم أجدْ بُدًّا من الاستماع، فقلت: هات. فقال: [الكامل]

نحنُ الَّذين إذا سَمَا لِفَخَارِهِمْ ذو الفَخْرِ أَقْعَدَهُ هُنَاك القُعْدُدُ(١)
افْخَرْ بِنَا إنْ كُنْتَ يَوْماً فَاخِراً تَلْقَ الأُلى فخروا بِفَخْرِكَ أُفْرِدوا
قُلْ يابْنَ مَخزوم لِكُلِّ مُفَاخِرٍ مِنَّا المُبَارَكُ ذو الرِّسَالَةِ أَحْمَدُ
مَاذا يَقُولُ ذوو الفَخَار هُنَا لَكُمْ هَيهاتَ ذلِكَ، هَلْ يُنال الفَرقَدُ

فحَصِرت والله وتبلَّدتُ، وقلت له: إنَّ لك عندي جواباً فأنظرني. وأفكرت مَلِيًّا، ثم أنشأت أقول: [الكامل]

لا فَخْرَ إلاَّ قَدْ عَلاَهُ مُحَمَّدٌ فَإذا فَخَرْتَ بِهِ فَإِنِّي أَشْهَدُ
أَنْ قَدْ فَخَرْتَ وفُقْتَ كُلَّ مُفَاخِرٍ وَإِلَيْكَ في الشَّرَفِ الرَّفِيعِ المَعْمَدُ
وَلَنَا دَعَائِمُ قَدْ بَنَاهَا أَوَّلٌ فِي المَكْرُمَاتِ جَرَى عَلَيْهَا المَوْلِدُ
مَنْ رَامَها حَاشَى النَّبِيَّ وَأَهْلَهُ بِالفَخْرِ غَطْمَطَهُ الخَليجُ المُزْبِدُ(٢)
دَعْ ذا ورُحْ لِغِنَاءِ خَوْدٍ بَضَّةٍ مِمَّا نَطَقْتَ بِهِ وغَنَّى مَعْبِدُ(٣)
مَعْ فِتْيَةٍ تَنْدَى بُطُونُ أَكُفِّهِمْ جُوداً إذا هَرَّ الزَّمَانُ الأَنْكَدُ(٤)
يَتَنَاوَلُون سُلافَةً عَانِيَّةً طَابَتْ لِشَارِبِهَا وَطَابَ المَقْعَدُ

(١) القُعدد: القاعد عن المكارم، الخامل اللئيم.
(٢) غطمطه: اضطربت به أمواجه.
(٣) البَضّة: الرقيقة الجلد اللّيّنة الجسد في سِمن وامتلاء.
(٤) هَرَّ الزمان: اشتدّ.

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أجابني بجواب كان أشدّ عليَّ من الشعر. قال لي: يا أخا بني مخزوم، أُريك السُّها[1] وتريني القَمَر - قال أبو عبد الله اليزيديّ: أَدُلُّكَ على الأمر الغامض، وأنت لم تبلغْ أن ترى الأمر الواضح. وهذا مَثَلٌ - أتخرج من المفاخرة إلى شرب الرَّاح، وهي الخمر المحرَّمة؟ فقلت له: أما علمتَ، أصلحك الله، أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول في الشعراء: ﴿**وأنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونْ**﴾[2]. فقال: صدقت، وقد استثنى الله قوماً منهم، فقال: ﴿**إلا الّذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[3]، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها؛ وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر. فقلت: أصلحكَ الله، لا أجد للمستخذي شيئاً أصلح من السكوت. فضحك وقال: أستغفر الله. وقام عني.

قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، وقال: يابنَ أبي ربيعة، أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق، ارفع حوائجك. قال: فرفعتها فقضاها، وأحسن جائزتي وصرفني.

واللّفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس.

[ذكر خبر مَنْ لم يمضِ له خبر ولا يأتي ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر]

منهم خُليدة المكية، وهي مولاة لابن شَمّاس، كانت هي وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات، وقد أخذت الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك.

فأخبرني الْحرمِيّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال: كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية، وكان محمد بن هشام يصنع الطعامَ الرقيق، فيشير إليهم، فيمسكون عن الأكل فيفطُن هِشام، فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقوم محمد، فيتسلَّل القوم إليه، وجاءت خُليدة المكية، فصعِدوا غُرفة، فلما غَنَّتْ إذا حَفْزٌ ونفس، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد:

---

(١) السُّها: كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٢٦.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

[الرجز]

يـا قَـدَمَـيَّ الْـحَـقَـانِـي بِـالْـقَـوْم لا تَـعِـدَانِـي كَـسَـلاً بَـعْـدَ الـيَـومْ

فلمَّا رآهم، قال: أحسبه قد جلس معهم. وقال لِخُليدة: غَنِّي. فغنَّتْ. فقال لها: اكتبي في صدرك «قل هو الله أحد والمُعَوِّذتين» لا تصيبك العين.

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خُرْدَاذَبه قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيمَ الموصليّ، عن الفضل بن الربيع قال: ما رأيت ابن جامع يُطْرَب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكّية، وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر:

[الخفيف]

فَـتَـنَـتْ كَـاتِـبَ الأَمِـيـرِ رِيَـاحَـا يَـا لَـقَـومٍ خُـلَـيـدَةُ الـمَـكِّـيَّـهْ

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه، قال: حدّثني عمر بن شبة قال: بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكّية أبا عون مولاه يخطبها عليه. فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسترها، ثم وثبتْ، فقالت: إنَّما ظننتكَ بعض سفهائك، ولكني ألبس لك ثياب مِثلك، ثم أخرج إليك. ففعلت. وقالت: قُلْ. قال: أرسلني إليك مولاي، وهو مَنْ تَعلمين بين رسول الله ﷺ وبين عليّ وعثمان، وهو ابن عَمِّ أمير المؤمنين، يخطبك. وقالت: قد نَسَبْتَهُ فأبلغتَ، فاسمع نسبي أنا، بأبي أنت:

إنَّ أبي بِيعَ على غير عَقْد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً، ومات وفي رِجله قيد، وفي عنقه سلسلة، وعلى الإِباق[1] والسرقة؛ وولدتني أمي على غير رِشدة، وماتت وهي آبِقة، فأنا مَنْ تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحاً مُباحاً، أو زناً صُرَاحاً، فهلمَّ إليه، فنحنُ لَهُ. فقال: إنه لا يدخل في الحرام. قالت: ولا ينبغي أن يستحيَ من الحلال. فأمَّا نكاح السِّرّ فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عاراً على القِيان. قال: فأتيت محمداً فأخبرته، فقال: ويلكَ! أتزوّجها مُعْلناً وعندي بنت طلحة بن عُبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إليّ أردد بصري فيها، لعلّي أسلو.

---

(١) الحَفْز: تتابع النَّفَس في الصدر.

(٢) الإباق: هَرَبُ العبد من سيّده.

فرجعتُ فأبلغتُها الرسالة، فضحكت، وقالت: أمَّا هذا فنعم. لسنا نمنعه منه.

صوت

[الرمل]

رُبَّ لَـيْـلٍ نَـاعِـمٍ أَحْـيَـيْـتُـهُ فِي عَـفَـافٍ عِـنْـدَ قَـبَّـاءِ الـحَـشَـى
وَنَـهَـارٍ قَـدْ لَـهَـوْنَـا بِـالَّـتِـي لا نَـرَى شَـبَـهـاً لَـهَـا فِـيـمَـنْ مَـشَـى
لِـطُـلُـوعِ الـشَّـمْـسِ حَـتَّـى آذَنَـتْ بِـغُـروبٍ عِـنْـدِ إِبَّـانِ الـعِـشَـا
لِـسُـلَـيْـمَـى مَـا دَعَـتْ قُـمْـرِيَّـةٌ بِـهَـدِيـلٍ فَـوْقَ غُـصْـنٍ مِـنْ غَـضَـى
وعُـقَـارٍ قَـهْـوَةٍ بَـاكَـرْتُـهَـا فـي نَـدَامَـى كَـمَـصَـابِـيـحِ الـدُّجَـى
وجَـوَادٍ سَـابِـحٍ أَقْـحَـمْـتُـهُ حَـوْمَـةَ الـمَـوْتِ عَـلـى زُرْقِ الـقَـنَـا

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار، وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ وخالدُ بن كُلثوم أنه لابنه خالد بن المهاجر. والغناء لابن محرز، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان، أحدهما هزج خفيف بالسبابة، في مجرى البنصر، عن إسحاق وابن المكي، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ، وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر، عن ابن المكيّ. قال: وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر، نشيد، ووافقه عمرو والهشاميّ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، والمعمول عليه الرواية الثانية.

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه، وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب. وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش، وجواداً من جُوَدَائِها. وكان يُلَقَّب بالوَحيد. وأُمّه صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، امرأة من بجيلة، ثم من قَسْر. ولما مات الوليد بن المغيرة أَرَّخَتْ قريش بوفاته مدّة، لإعظامها إيّاه، حتى كان عام الفيل، فجعلوه تاريخاً. هكذا ذكر ابن دأب.

وأما الزّبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤَمَّليّ، أنها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرّخوا بها.

[رسول الله ﷺ يلقّب خالد بن الوليد سيفَ الله]

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله ﷺ والغَناء في حروبه المحلّ المشهور، ولَقَّبَهُ رسولُ الله ﷺ سيف الله، وهاجر إلى النبي ﷺ قبل الفتح وبعد الحُدَيْبِية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة. فقال النبي ﷺ لَمَّا رآهم: رَمَتْكُمْ مكّة بأفلاذِ كَبِدِها. وشهد فتح مكّة مع النبي ﷺ؛ فكان أوّل مَنْ دخلها في مُهاجِرة العرب من أسفل مكة، وشهد يوم مؤتة. فلما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة، ورأى ألاّ طاقة للمسلمين بالقوم، انحاز بهم، وحامَى عليهم حتى سلموا، فلقّبه يومئذ رسول الله ﷺ: سيف الله.

حدّثنا بذلك أجمع الحَرَميّ بن أبي العلاء والطوسيّ عن الزبير بن بكار.

وكان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله ﷺ ومعه بنو سليم، فأصابته جِراحٌ

كثيرة، فأتاه رسول الله ﷺ بعد هزيمة المشركين، فَنَفَثَ على جِراحه، فاندملتْ ونهضَ وله آثار في قتال أهلِ الرِّدَّةِ، في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة، يطول ذكرِها. وهو فَتَح الحِيرةَ، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة، فكلَّمه خالد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجلٍ وامرأة. قال: فأين أقصَى أثرك؟ قال: منتهى عمري. قال: أتعقِلُ؟ قال: نعم، وأُقَيِّد. قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها نَتَّقِي بها السَّفيه حتى يردعه الحليم. قال: لأمرٍ ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سَمٌّ ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردّني به: فإن بلغتُ ما فيه صلاح لِقومي عدت إليهم، وإلاَّ شربته، فقتلت نفسي، ولم أرجعْ إلى قومي بما يكرهون. فقال له خالد: أَرِنيه. فناوله إيَّاه. فقال خالد: بِاسمِ الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء، وهو السميع العليم، ثم أكله، فتجلّلته غشيةٌ، ثم أفاق يمسحُ العرقَ عن وجهه. فرجع ابن بُقيلة إلى قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، وما لكم بهم طاقة، فصالِحوهم على ما يريدون. ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السريّ، عن يحيى التميميّ، عن أبيه، عن شعيب بن سيف. وأخبرني به الحسن بن علي عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقديّ.

وأمَّرَهُ أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشَّام لحرب الروم، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل، فرضوا به وبإمارته.

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد حَلَق رأسه ذات يوم، فأخذ خالد شَعره، فجعله في قلنسوة له، فكان لا يلقَى جيشاً وهي عليه إلاَّ هزمه.

وروى عن النبيّ ﷺ الحديثَ، وحُمِلَ عنه. ورآه النبيُّ ﷺ مُتَدَلِّياً من هَرْشى(١) فقال: «نِعْمَ الرَّجلُ خالد بن الوليد».

أخبرنا بذلك الطوسِيّ والحَرَمي قالا: حدّثنا الزّبير بن بكار قال: حدّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن أبي سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ذلك له.

---

(١) هرشى: ثنيّة في طريق مكة قريبة من الجُحفة (معجم البلدان ٥: ٣٩٧).

قال الزبير: وحدّثني محمد بن سَلاّم، عن أبان بن عثمان قال: لَمَّا مات خالد بن الوليد لم تَبْقَ امرأةٌ من بني المغيرة إلاّ وضعت لِمَّتَها على قبره، يعني حلقَتْ رأسَها، ووضعت شعرها على قبره.

قال ابن سَلاّم: وقال يونس النحوي: إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يَبكينَ أبا سليمان، ويُرِقْنَ من دموعهن سَجْلاً أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة.

قال: والنقع: مَدُّ الصوت بالنحيب. واللَّقلقة: حركة اللِّسان بالولولة ونحوها.

قال الزبير، فيما ذكره لي من رَويتُ عنه: حدّثني محمد بن الضَّحاك عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنه كان أشبهَ النَّاس بخالد بن الوليد، فخرج عمرُ سَحَراً، فلقيه شيخ، فقال له: مَرْحَباً بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر، فإذا هو عَلْقمة بن عُلاثة، فردّ ﷺ. فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم. قال: ما شَبعَ، لا أشبعَ الله بطنهُ! قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلاَّ السَّمع والطَّاعة.

فلمّا أصبح عمر دعا بخالد، وحضره علقمة بن عُلاثة، فأقبل على خالد، فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئاً. قال: اصْدُقْني. فحلفَ خالد بالله ما لَقِيهُ، ولا قال له شيئاً. فقال له علقمة: حِلاَّ[1] أبا سليمان. فتبسَّمَ عمر، فعلم خالد أن علقمة قد غَلِطَ، فنظر إليه وفَطَنَ علقمةُ، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فاعْفُ عَنّي، عَفَا اللهُ عَنْكَ. فضحك عمر وأخبره الخبر.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثنا المدائنيُّ، عن شيخ من أهل الحجاز، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، وعن أبي ذئب، عن أبي سهيل أو ابن سهيل، أنَّ معاوية لمَّا أراد أن يُظْهِرَ العَهْدَ ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كَبِرتْ سِنُّهُ، ورَقَّ جِلدُهُ، ودقَّ عظمُهُ، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودَسَّ ابنَ أُثالٍ الطبيب إليه، فسقاه سَمّاً فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكّة، وكان

---

(١) حِلاًّ: أي تحلّلْ من حلفك.

أسوأ الناس رأياً في عَمِّه لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بِصِفِّين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشميّ المذهب، ودخل مع بني هاشم الشِّعْبَ، فاضطغنَ ذلك ابنُ الزُّبير عليه، فألقى عليه زِقَّ خمرٍ، وَصَبَّ بعضَهُ على رأسه، وشَنَّعَ عليه بأنه وجده ثَمِلاً من الخمر، فضربه الحدّ. فلما قُتِلَ عَمُّه عبد الرحمن مَرّ به عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد، أَتَدَعُ ابنَ أُثال يُنْقِي[1] أوصالَ عمّك بالشأم وأنت بمكة مُسْبِل إزارك، تجرُّه وتخطر فيه متخايلاً؟ فحَمِيَ خالد، ودعا مَوْلًى له يدعى نافعاً، فأعلمه الخبر، وقال له: لا بدَّ من قتل ابن أُثال؛ وكان نافع جَلْداً شَهْماً.

فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أُثال يُمْسِي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أُخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إيَّاكَ أن تعرضَ له أنت فإني أضربه، ولكن احفظ ظهري، واكْفِني من ورائي، فإنْ رابَكَ شيءٌ يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثَب عليه فقتله، وثار إليه مَنْ كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غَشَوْهما حملا عليهم، فتفرَّقُوا، حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً، ففاتا القوم. وبلغ معاويةَ الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزُّقَاقَ الذي دخل فيه. ففُتِّشَ عليه، فأُتِيَ به. فقال: لا جزاك الله مِنْ زائرٍ خيراً، قتلتَ طبيبي. قال: قتلت المأمورَ وَبَقِيَ الآمِرُ. فقال له: عليكَ لعنةُ الله! أما والله لو كان تَشَهَّدَ مَرَّة واحدة لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله ما اجترأت إلاَّ به. ثم أمر بطلبه فوُجِدَ، فأُتِيَ بِهِ، فضربه مِئة سوط. ولم يهِجْ خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أُثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيتَ المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزلْ ذلك يجري في دِيَةِ المعاهَد، حتى وَلِيَ عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذُه السلطان لنفسه، وأثبتَ الذي يدخل بيت المال.

وخالد بن المهاجر الذي يقول:

---

(١) يُنقي: أي يستخرج المخّ من العظام.

صوت

[الكامل]

يَـا صَـاحِ يَـا ذَا الـضَّـامِـرِ الـعَـنْـسِ　　والـرَّحْـلِ ذي الأَنْـسَـاعِ والـحِـلْـسِ[١]
سَـيْـرَ الـنَّـهَـارِ وَلَـسْـتَ تَـارِكَـهُ　　وَتُـجِـدُّ سَـيْـراً كُـلَّـمَـا تُـمْـسِـي

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر، ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون، لحنان: ثقيل أوّل، وخفيف ثقيل. ذكر يونس أن أحدهما لمالك، ولم يذكر طريقة لحنه، ووجدته في جامع غناء معبد، عن الهشاميّ. ويحيى المكي له فيه خفيف ثقيل، وهكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضاً، ولعله رواه عن ابن المكيّ. وإن كان هذا لمعبد صحيحاً، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل. وذكر حبش، وهو ممّن لا يحصّل قوله: أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى.

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

قال: ولمّا حبسَ معاوية خالد بن المهاجر قال في الحَبْس: [مجزوء الكامل]

إِمَّـا خُـطَـايَ تَـقَـارَبَـتْ　　مَـشْـيَ الـمُـقَـيَّـدِ فـي الـحِـصَـارِ
فَـبِـمَـا أُمَـشِّـي فِـي الأَبَـا　　طِـحِ يَـقْـتَـفِـي أَثَـرِي إزارِي
دَعْ ذا ولـكـنْ هَـلْ تَـرَى　　نَـاراً تُـشَـبُّ بِـذِي مُـرَارِ[٢]
مَـا إنْ تُـشَـبُّ لِـقُـرَّةٍ　　لِـلْـمُـصْـطَـلِـيـنَ ولا قُـتَـارِ
مَـا بَـالُ لَـيْـلِـكَ لَـيْـسَ يَـنْـ　　قُـصُ طُـولُـهُ طـولُ الـنَّـهَـارِ
لِـتَـقَـاصُـرِ الأَزْمَـانِ أَمْ　　غَـرَضِ الأسِـيـرِ مِـنَ الإِسَـارِ؟[٣]

قال: فبلغت أبياتُه معاويةَ، فرقَّ له وأطلقه، فرجع إلى مكة. فلما قدمها لَقِيَ عروة بن الزبير، فقال له: أمَّا ابن أُثال فقد قتلتُه، وذاك ابن جُرموز يُنْقِي أوصالَ الزُّبير بالبصرة، فاقتله إن كنتَ ثائراً. فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسِكَ عنه، ففعل.

---

(١) العنس: الناقة القوية. والنّسع: سير مضفور تُشَدُّ به الرحال. والحلس: كل شيء وَلِيَ ظهر البعير تحت الرَّحْل.
(٢) المرار: هو حمض أو شجر مرّ من أفضل العشب إذا أكلته الإبل بدت أسنانها لتقلّص مشافرها.
(٣) الغرض: الضجر والقلق.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن نعيم قال: حدّثني إسحاق بن محمد قال: حدّثني عيسى بن محمد القَحْطَبيّ قال: حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال: غَنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر: [الكامل]

يَا صَاحِ يَا ذَا الضَّامِرِ العَنْسِ   والرَّحْلِ ذي الأَقْتَابِ والحِلْسِ

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سَيّدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي، فهو أحبُّ إليّ منها؟ فقال له: يا عَمّ، أَلْقِ هذا الصّوت على محمد. فألقاهُ عليّ حتى إذا كدْتُ أن آخُذه قال: اذهب فأنت أحذقُ الناس به. فقلت: إنه لم يصلحْ لي بعد. قال: فَاْغْدُ غداً عَليَّ. فغدوتُ عليه، فأعاده ملتوياً، فقلت له: أيُّها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد؛ أنت ابن الخليفة، وأخو الخليفة، وعمّ الخليفة، تجود بالرغائب، وتبخل عليّ بصوت؟ فقال: ما أحمَقك! إن المأمون لم يستبقِني محبةً لي، ولا صِلَةً لرحمي، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره. قال: فأعلمتُ المأمونَ بمقالته. فقال: إنا لا نكدِّر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم نَشِطَ للصَّبوح يوماً، فقال: أحضروا عمِّي. فجاء في دُرّاعة[1] بغير طَيْلَسان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سراً، فقال: يا عمّ غَنِّني: [الكامل]

يا صَاحِ يا ذَا الضَّامِرِ العَنْسِ   والرَّحلِ ذي الأقتاب والحِلْسِ

فغنّاه. فقال: أَلْقِهِ على محمد، فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قول ألا أُعيدَه عليه. ثم كان يتجنّب أن يغنيه حيث أحضرُ.

صوت

[المنسرح]

أَقْفَرَ بَعْدَ الأَحِبَّةِ البَلَدُ   فَهْوَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدُ
شَجَاكَ نُؤْيٌ عَفَتْ مَعَالِمُهُ   وَهَامِدٌ في العِرَاصِ مُلْتَبِدُ[2]
أُمُّكَ عَنْسِيَّةٌ مُهَذَّبَةٌ   طَابَتْ لَهَا الأُمَّهَاتُ والقَصَدُ[3]

---

(١) الدُّرّاعة: جُبّة مشقوقة المقدّم.
(٢) النُّؤْيُ: الحفير حول الخباء يمنع السيل. والعراص: جمع العرصة: الساحة.
(٣) القَصَدُ: جمع قَصَدة: هي من كلّ شجرة ذات شوك أن يظهر نباتها أوّل ما ينبت.

تُـدْعَـى زُهَـيْـرِيَّـةٌ إذا انْـتَـسَـبَـتْ حَـيْـثُ تَـلاَقَـى الأَنْـسَـابُ وَالـعَـدَدُ

الشعر لحمزة بن بِيض، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكيّ.

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

[توفي ١١٦ هـ/ ٧٣٤ م]

حمزة بن بِيض الحَنفيّ: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفيّ خليع ماجن، من فحول طبقته. وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بُرْدة. واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً، ولم يدرك الدولة العباسية.

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف دِرهم، من مال وحُملان[1] وثياب ورقيق وغير ذلك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو تَوْبة، قال: قدم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبي بُردة، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بِيض الحنفيّ، فدخل الغلام إلى بلال، فقال: حمزة بن بِيض بالباب. وكان بلال كثير المزح معه، فقال: اخرج إليه فقل: حمزة بن بِيض ابن مَن؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك. فقال: ادخل فقل له: الذي جئتَ إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهبَ لك طائراً، فأدخلك وناكك، ووهب لك طائراً. فشتمه الحاجب. فقال له: ما أنت وذا؟ بعثك برسالة، فأخبره بالجواب. فدخل الحاجب وهو مغضَبٌ، فلمّا رآه بلال ضحك وقال: ما قال لك قبحه الله؟ قال: ما كنت لأخبر الأمير بما قال. فقال: يا هذا،

(١) الحُملان: الدوابّ التي تحمل عليها الهبات.

أنت رسول فَأَدِّ الجواب. قال: فأبى. فأقسم عليه حتى أخبره. فضحك حتى فحص برجله، وقال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه، ورفعه وسمع مديحه، وأحسن صِلَتَه.

قال: وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ؟) قول الشاعر فيه:

أَنْتَ ابْنُ بِيضٍ لَعَمْري لَسْتُ أُنْكِرُهُ ... وَقَدْ صَدَقْتَ، وَلكنْ مَن أَبُو بِيضِ؟

[يمدح فيثاب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع، قال: حدّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان، قال: حدّثني أبو الحسن الشَّيباني قال: حدّثني شعيب بن صفوان، قال:

قدم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن يزيدَ بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه: [المتقارب]

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا ... وَقُلْ مَرْحَباً يَجِبِ المَرْحَبُ
وَلاَ تَكِلَنَّا إلى مَعْشَرٍ ... مَتَى يَعِدُوا عِدَةً يَكْذِبُوا
فَإِنَّكَ فِي الفَرْعِ مِنْ أُسْرَةٍ ... لَهُمْ خَضَعَ الشَّرْقُ والمَغْرِبُ
وَفِي أَدَبٍ مِنْهُم مَا نَشَأْتَ ... وَنِعْمَ لَعَمْرُكَ مَا أَدَّبُوا
بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنيـ ... ـكَ مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الأَشْيَبُ
فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الأُمُورِ ... وَهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
وجُدْتَ فَقُلْتَ أَلا سَائِلٌ ... فَيُعْطَى وَلاَ راغِبٌ يُرْغَبُ
فَمِنْكَ العَطِيَّةُ لِلسَّائِلِينَ ... وَمِمَّنْ يَنُوبُكَ أَنْ يَطْلُبوا

فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً في خبره: فحسده الكميت فقال له: يا حمزة، أنت كمُهْدي التمر إلى هَجَر[1]، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيدَ النحويّ، قال: قال

(١) هَجَر: مدينة ناحية البحرين اشتهرت بالتمر (معجم البلدان ٥:٣٩٣).

الجاحظ: أصاب حمزةَ بن بِيض حُصْرٌ[١]، فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القُولَنْج، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة: مَنْ هذا المنعَم عليه؟

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه قال: قال علي بن الصباح: حدّثني هشام بن محمد، عن الشَّرْقيّ، قال: زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مَرّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم، ولم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له: يتيم من أهل الشام، قدم أبوه العراق في بَعْث[٢] فقُتِلَ، وبقي الغلام ها هنا، فضمَّه ابن عنبسة إليه، وتَبَنَّاه. فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، ومرّ يوماً على برذون[٣] ومعه خدم على ابن بيض، وحول ابن بِيض عِياله في يوم شاتٍ، وهم شُعْثٌ غُبْرٌ عُراةٌ، فقال ابن بِيض: مَنْ هذا؟ فقيل: صَدَقة يتيم ابن عنبسة. فقال: [المنسرح]

يَشْعَثُ صِبْيَانُنَا وَمَا يَتِمُوا ... وَأَنْتَ صَافِي الأَدِيمِ والحَدَقَهْ
فَلَيْتَ صِبيانَنَا إذا يَتِمُوا ... يَلقَوْنَ مَا قَدْ لَقيتَ يا صَدَقَهْ
عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ أَبِيكَ وَمِنْ ... أُمِّكَ في الشَّامِ بِالعِراقِ مِقَهْ
كَفَاكَ عَبْدُ الرَّحمنِ فَقْدَهُمَا ... فَأَنْتَ في كُسوةٍ وَفِي نَفَقَهْ
تَظَلُّ في دَرْمَكٍ وفَاكِهَةٍ ... وَلَحمِ طَيْرٍ مَا شِئْتَ أَوْ مَرَقَهْ[٤]
تَأْوِي إِلَى حَاضِنٍ وَحَاضِنَةٍ ... زَادا عَلَى والِدَيْكَ فِي الشَّفَقَهْ
فَكُلْ هَنِيئاً مَا عَاش ثُمَّ إذا ... مَاتَ فَلَغْ في الدِّمَاءِ والسَّرِقَهْ
وَخَالِفِ المُسْلِمين قِبْلَتَهُمْ ... وَضَلَّ عَنهُمْ وَخَادِنِ الفَسَقَهْ
واشْتَرِ نَهْدَ التَّلِيلِ ذا خَصَلٍ ... لِصَوْتِهِ في الصَّهيلِ صَهْصَلَقَهْ[٥]
واقْطَعْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ تُلْفَ غَداً ... رَبَّ دنانيرَ جَمَّةٍ وَرِقَهْ[٦]

فلمّا مات عبد الرحمن، أصابه ما قال ابن بِيض أجمع: من الفساد والسّرقة وصحبة اللّصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأُخِذَ وصُلِبَ.

---

(١) الحُصْر: احتباس في البول أو البطن.
(٢) البَعْث: الجيش.
(٣) البِرذَوْن: دابّة دون الفرس غليظة الأعضاء ضخمة تُتَّخذ للحمل خصوصاً.
(٤) الدَّرمك: الدقيق الأبيض.
(٥) التَّليل: العنق. والصهصَلَقَة: شدّة الصوت.
(٦) الرِّقَة: الدراهم المضروبة.

[هجاؤه لأهل قرية لم يضيفوه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حَدّثني النوفليّ عن أبيه، قال ابن عمار: وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي عن أبي سفيان الحميريّ قال: خرج حمزة بن بِيض يريد سفراً، فاضطره اللّيل إلى قرية عامرة، كثيرة الأهل والمواشي، من الشَّاءِ والبقر، كثيرة الزَّرعِ، فلم يصطنعوا به خيراً، فغدا عليهم، وقال: [الكامل]

لَعَنَ الإلهُ قَرْيَةً يَمَّمْتُهَا ... فَأَضَافَنِي لَيْلاً إِلَيْهَا المَغْرِبُ
الزّارِعِينَ وَلَيْسَ لي زَرْعٌ بِهَا ... والحَالِبينَ وَلَيْسَ لي مَا أَحْلُبُ
فَلَعَلَّ ذاكَ الزَّرْع يُودِي أَهْلُهُ ... وَلَعَلَّ ذاكَ الشَّاءَ يَوماً يَجْرَبُ
وَلَعَلَّ طاعُوناً يُصِيبُ عُلُوجَهَا ... وَيُصيبُ سَاكِنَهَا الزَّمانُ فَتَخْرَبُ

قال: فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطّاعون، فأباد أهلها، وخربت إلى اليوم. فمرَّ بهم ابن بِيض، فقال: كَلاَّ، زعمتُ أني لا أُعطى مُنْيَتِي. قالوا: وأبيك لقد أُعْطِيتَها، فلو كنت تمنّيتَ الجنّةَ كان خيراً لك. قال: أنا أعلم بنفسي، لا أتمنَّى ما لست له بأهل، ولكني أرجو رحمة ربّي عَزَّ وجلّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلاَّبيّ قال: قال ابن عائشة: خرج ابن بِيض في سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وألقوا لِبغلته تبناً، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال: [الرمل]

احْسُبِيهَا لَيْلَةً أَدْلَجْتُهَا ... فَكُلِي إنْ شِئْتِ تِبْناً أَوْ ذَرِي
قَدْ أَتَى رَبَّكِ خُبْزٌ يَابِسٌ ... فَتَعَزَّيْ مَعَهُ واصْطَبِرِي

حَدَّثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدّثنا المدائني، قال: قال حمزة بن بِيض يوماً للفرزدق: أَيُّما أَحبُّ إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: لا أسبقه ولا يسبقني، ولكن نكون معاً. فأيُّما أحبُّ إليك، أن تدخل إلى بيتك، فتجد رجلاً قابضاً على حِرِ امرأتك، أو تجد امرأتك قابضة على أيره؟ فقال: كلام لا بدَّ من جوابه، والبادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أغبته[1] عن نفسها.

(١) أغبّته: أبعدته.

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايمينيّ. قال ابن الأعرابي: وقع بين بني حنيفة بالكوفة، وبين بني تميم شرّ، حتى نَشِبَتِ الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بِيض: ألا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعَهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارِضة؟ فقال: [الطويل]

أَلاَ لاَ تَلُمْنِي يَابْنَ مَاهانَ إِنَّنِي أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحَطَّمَا(١)
وَلَوْ أَنَّنِي أَبْتَاعُ في السُّوقِ مِثْلَها وَجَدِّكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا

[شِعره في المفاضلة بين ناسك جاحد ونبيذيّ أدّى الأمانة]

قال: وكان لابن بِيض صديق عامل من عمّال ابن هبيرة، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألفَ درهم، واستودع مثلَها رجلاً نبيذياً، فأمّا الناسكُ فبنى بها داره، وتزوَّجَ النساء، وأنفقها وجَحدَهُ. وأما النبيذيّ فأدّى إليه الأمانة في ماله، فقال حمزة بن بِيض فيهما: [المتقارب]

أَلاَ لاَ يَغُرَّنْكَ ذو سَجْدَةٍ يَظَلُّ بِهَا دَائِباً يَخْدَعُ
كَأَنَّ بِجَبْهَتِهِ جُلْبَةً يُسَبِّحُ طَوْراً ويَسْتَرْجِعُ(٢)
وَمَا لِلتُّقَى لَزِمَتْ وَجْهَهُ ولكِنْ لِيَغْتَرَّ مُسْتَوْدِعُ
فَلاَ تَنْفِرَنَّ مِنَ أَهْلِ النَّبِيذِ وَإِنْ قِيلَ يَشْرَبُ لا يُقْلِعُ
فَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا قَدْ خَبر تُ إِنْ كَانَ عِلْمٌ بِهِمْ يَنْفَعُ
ثَلاثونَ أَلْفاً حَوَاها السُّجُودُ فَلَيْسَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَرْجِعُ
بَنَى الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَا مَالِهِ وَأَصْبَحَ في بَيْتِهِ أَرْبَعُ
مَهَائِرُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ حَوَاهُ يُقَاتُونَ أَرْزَاقَهُمْ جُوَّعُ(٣)

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصَّحَّاف، قال: حدّثنا قَعْنبَ بن المحرز، قال: حدّثنا أبو عبيدة والأصمعي، وكَيسان بن المعرف، فذكروا نحو هذا الخبر، إلا أنه حكى أن حمزة بن بِيض هو الذي استودع الرجلين المال، وقال: [المتقارب]

وَأَدَّى أَخُو الكَأْسِ مَا عِنْدَهُ وَمَا كُنْتُ فِي رَدِّهَا أَطْمَعُ

---

(١) فخّارتي: يريد رأسي.
(٢) الجُلبَة: القشرة التي تعلو الجرح عند الشفاء، شبّه بها أثر السجود على الجبهة.
(٣) المهائر: الحرائر اللواتي يعطين المهر عند التزوّج بهنّ.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثني أحمد بن محمد، عن ابن داجة قال: اختصم أبو الجَون السُّحَيميّ وحمزة بن بِيض، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابيّ، وهو على اليمامة، فوثب عليه حمزة وقال: [البسيط]

غَمَّضْتُ في حَاجَةٍ كَانَتْ تُؤَرِّقُنِي لَوْلاَ الَّذي قُلْتَ فيها قَلَّ تَغمِيضِي

فقال: وما الذي قلت لك؟ قال:

حَلَفْتَ باللهِ لي أَنْ سَوْفَ تُنْصِفُنِي فَسَاغَ فِي الحَلْقِ رِيقِي بَعْدَ تَجْرِيضي[1]

قال: وأنا أحلِف لأنصفنَّك. قال:

سَلْ هؤلاءِ إلى مَاذا شَهَادَتُهُمْ أَمْ كَيْفَ أَنْتَ وَأَصْحَابَ المَعَارِيضِ

قال: أُوجعهم ضرباً. فقال:

وَسَلْ سُحَيْماً إذا وافَاكَ أَجْمَعُهُمْ هَلْ كانَ بالشَّرِّ حَوْضٌ قَبْلَ تَحْوِيضِي

قال: فقضى له. فأنشأ السحيميّ يقول: [البسيط]

أَنْتَ ابْنُ بِيضٍ لَعَمْرِي لَسْتُ أُنْكِرُهُ حَقّاً يقيناً، وَلكِنْ مَنْ أَبُو بِيضِ؟
إِنْ كُنْتَ أَنْبَضْتَ لي قَوْساً لِتَرْمِيَنِي فَقَدْ رَمَيْتُكَ رَمْياً غَيْرَ تَنْبِيضِ
أَوْ كُنْتَ خَضْخَضْتَ لِي وَطْباً لِتَسْقِيَنِي فَقَدْ سَقَيْتُكَ مَحْضاً غَيْرَ مَمْخُوضِ

قال فوجَم حمزة وقُطِعَ به. فقيل له: ويلَكَ! ما لكَ لا تجيبه؟ قال: وبِمَ أُجيبه؟ والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعني ذلك، بعد قوله: ولكن من أبو بيض؟

وأخبرني بهذا الخبر ابن دُريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. وقال فيه: إن المخاصِم له أبو الحويرِث السُّحَيمي.

[مدحه ليزيد بن المهلب وسليمان بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا السَّكْن بن سعيد، عن

(١) جَرِضَ بريقه: بلعه بالجهد أو غصَّ به.

محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلب السجن، فأنشده:

[المنسرح]

أُغْـلِـقَ دُونَ الـسَّـمَـاحِ والـجُـودِ والـنَّـ ـجْـدَةِ بَـابٌ حَـدِيـدُه أَشِـبُ
ابْـنُ ثَـلاثٍ وَأَرْبَـعِـيـنَ مَـضَـتْ لا ضَـرِعٌ واهِـنٌ ولا نَـكِـبُ[1]
لا بَـطِـرٌ إنْ تَـتَـابَـعَـتْ نِـعَـمٌ وصَـابِـرٌ فـي الـبَـلاَءِ مُـحْـتَـسِـبُ
بَـرَّزْتَ سَـبْـقَ الـجَـوَادِ فِـي مَـهَـلٍ وَقَـصَّـرَتْ دون سَـعْـيِـكَ الـعَـرَبُ

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه فقال له سراً: خذه ولا تُخدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فأردت أن أردّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فَص ياقوت أحمر، كأنه سِقط زَنْد، فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، ليُعْلَمنّ أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما قبضت المال وصار الفَص في يده، قال لي: والله لو أبيت إلاّ خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلمّا رأى تغيُّرَ وجهي قال: إنّي رجل تاجر، ولست أشكُّ أني قد غممتكَ. قلت: إي والله وقتلتني. فأخرج إليّ مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفَّرَ عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي:

دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلَّب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

[المنسرح]

أَصْـبَـحَ فـي قَـيْـدِكَ الـسَّـمَـاحَـة والـ ـحَـامِـلُ لِـلْـمُـعْـضِـلاَتِ وَالـحَـسَـبُ
لا بَـطِـرٌ إنْ تَـتَـابَـعَـتْ نِـعَـمٌ وَصَـابِـرٌ فـي الـبَـلاَءِ مُـحْـتَـسِـبُ

فقال له: ويحكَ أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنتَ هكذا

(١) الضَّرِع: المتذلِّل الخاضع.

لطالما أثنْت على الثناء، فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلِفك الآن. قال: أما إذ جعلته سَلَفاً فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحقّ، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مَزيد، قال: حدّثنا العُمري عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني مَخْلد بن حمزة بن بِيض قال:

قَدِمَ أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فأنشده: [الكامل]

سَاسَ الـخِـلاَفَـةَ وَالِـدَاكَ كِـلاَهُـمَـا ... مِـنْ بَـيْـنِ سَـخْـطَـةِ سَـاخِـطٍ أَوْ طَـائِـعِ
أَبَـوَاكَ ثُـمَّ أَخُـوكَ أَصْـبَـحَ ثَـالِـثـاً ... وَعَـلَـى جَـبِـيـنِـكَ نُـورُ مُـلْـكِ الـرَّابِـعِ
سَرَّيتَ خَوْفَ بَنِي الـمُـهَـلَّـبِ بَعْدَمَا ... نَـظَـروا إِلَـيْـكَ بِـسَـمٍّ مَـوْتٍ نَـاقِـعِ
لَـيْـسَ الَّـذي وَلاَّكَ رَبُّـكَ مِـنْـهُـمُ ... عِـنْـدَ الإِلٰـهِ وَعِـنْـدَهُـمْ بـالـضَّـائِـعِ

فأمر له بخمسين ألفاً.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثني عُيينة بن المِنهال قال: حدّثني الهيثم بن عدي قال: حدّثني أبو يعقوبَ الثقفي قال: قال لي حمزة بن بِيض: لمّا وفدَ الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها:

* هَـلاَّ سَـأَلْـتَ مَـعَـالِـمَ الأَطْـلاَلِ *

وهي التي يقول فيها: [الكامل]

يَـمْـشِـيـنَ مَـشْـيَ قَـطَـا الـبِـطَـاحِ تَـأَوُّداً ... قُـبَّ الـبُـطُـونِ رَوَاجِـحَ الأَكْـفَـالِ[1]

وقصيدته التي يقول فيها:

* هَـلاَّ سَـأَلْـت مَـنَـازِلاً بـالأَبْـرقِ[2] *

---

(١) قبّ البطون: دقيقات البطون. والأكفال: مفردها الكَفَل: الرِّدف.
(٢) الأبرق: اسم يطلق على عدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ١ :٦٧).

أعطاه مِئة ألفِ درهم، سوى العُروض[١] والحُمْلان، فقدِمَ الكوفةَ في هيئة لم يُرَ مثلها، فقلت في نفسي: واللهِ لأنا أولَى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مُضر جميعاً. فهيأت لمخْلد مديحاً على رَوِيِّ قصيدَتَي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصتُ إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضرَ في البدو، فقالوا: إنك تأتي مَخْلداً وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك، ولكن إذا فَرَغ من أمرك، فأعلمه مَمشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا. فلمّا قدمتُ على مخلد خُراسان أنزلني، وفَرَش لي، وأخْدمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمرُ معه، فقال لي ليلة: أعليك دين يابن بِيض؟ قلت: دعني من مسألتك إيّايَ عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عَطيَّةً لست أرضى بأقل منها، وإلاَّ لم أدخل الكوفة، ولم أُعَيَّرْ بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطى الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف[٢] كما صنع به، فلما فرغتُ من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكِرةٌ بحاجة القوم في الدّيات، فلما جلس أنشدته: [المتقارب]

أَتَـيْـنَـاكَ فِـي حَـاجَـةٍ فَـاقْـضِـهَـا ... وَقُـلْ مَـرْحَـبـاً يـجـبِ الـمَـرْحَـبُ
ولا تَـكِـلَـنَّـا إلـى مَـعْـشَـرٍ ... مَـتَـى يَـعِـدُوا عِـدَةً يَـكْـذِبُـوا
فَـإِنَّـكَ فـي الـفَـرْعِ مِـنْ أُسْـرَةٍ ... لَـهُـمْ خَـضَـعَ الـشَّـرْقُ والـمَـغْـرِبُ
وَفِـي أَدَبٍ مِـنْـهُـمْ مَـا نَـشَـأْتَ ... وَنِـعْـمَ لَـعَـمْـرُكَ مَـا أَدَّبُـوا
بَـلَـغْـتَ لِـعَـشْـرٍ مَـضَـتْ مِـنْ سِـنِـيـ ... ـكَ مَـا يَـبْـلُـغُ الـسَّـيِّـدُ الأَشْـيَـبُ
فَـهَـمُّـكَ فـيـهـا جِـسَـامُ الأُمُـورِ ... وَهَـمُّ لِـدَاتِـكَ أَنْ يَـلْـعَـبُـوا

فقال: مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حَمالات[٣] في ديات. فتبسّمَ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيّها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أُدَلُّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده. فتبسّمَ، ثم قال: زِدْهُ يا غلام عشرة آلاف أُخرى، فأبيت، وقلت: بل أُدَلُّ

(١) العروض: جمع العَرْض: المتاع وكل شيء ما عدا الدراهم والدنانير.
(٢) الألطاف: جمع اللُّطف: الرفق والعناية والتكرمة.
(٣) الحمالات: جمع الحَمَالة: الديّة أو الغرامة التي يحملها قوم عن قوم.

على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أُخرى، فما زلت أُكرّرها ويزيدني عشرة آلاف، حتى بلغت سبعين ألفاً. فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجَرَكَ، وأحسن جزاءك. فقال مَخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

[النضر بن شميل في مجلس المأمون يروي له الشعر]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني النضر بن شميل، قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بِمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة[1]؛ فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إنَّ حَرَّ مَرْو لا يُدفَعُ إلاَّ بمثل هذه الأخلاق، فقال: لا، ولكنك رجل متقشِّف. فتجارَيْنا الحديث، فقال المأمون: حدّثني هُشَيم بن بَشِير، عن مجالد، عن الشعبيّ، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تزوَّجَ الرَّجُلُ المرأةَ لِدِينِها وجَمالِها كان فيه سِدادٌ من عَوَزٍ»**[2]. هكذا قال: سَداد بالفتح. فقلت: صدق، يا أمير المؤمنين. حدّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن، أن النبي ﷺ قال: **«إذا تزوَّجَ الرجلُ المرأةَ لِدِينِها وجمالها، كان فيه سَدِادٌ من عَوَزٍ»**، وكان المأمون مُتّكئاً فاستوى جالساً، وقال: السَّداد لحن يا نَضْر عندك؟ قلت: نعم ها هنا يا أمير المؤمنين؛ وإنما هُشَيم لَحَن، وكان لحّانة، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السَّدادُ: القَصْدُ في الدِّين والطّريقة والسّبيل. والسِّداد: البُلْغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سِدادٌ. وقد قال العَرْجيّ: [الوافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ[3]

قال: فأطرق المأمون مَلِيّاً، ثم قال: قَبَح الله مَنْ لا أدبَ له! ثم قال: أنشِدني يا نضر أخلبَ بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين:

[المنسرح]

تَقُولُ لي والعُيُونُ هَاجِعَةٌ: ... أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْماً، فَلَمْ أُقِمِ

(١) الأطمار: جمع الطِّمْر: الثوب البالي. والمترعبلة: المتمزّقة البالية.
(٢) الحديث في كنز العمال رقم ٤٤٥٢٠.
(٣) الثَّغر: المدينة المحصّنة على الحدود.

قَالَتْ: فَأَيَّ الوُجُوهِ؟ قُلْتُ لَهَا: لأَيِّ وَجْهٍ إلاَّ إلَى الحَكَمِ؟
مَتَى يَقُلْ حَاجِبَا سَرَادِقِهِ هذا ابْنُ بِيضٍ بالبَابِ، يَبْتَسِمِ
قَدْ كُنْتُ أَسْلَمْتُ فِيكَ مُقْتَبِلاً فَهَاتِ إذْ حَلَّ أَعْطِنِي سَلَمِي[١]

فقال المأمون: لله دَرُّكَ، كأنما شُقَّ لك عن قلبي! فأنشدني أنصفَ بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عَروبة المدنيّ: [الكامل]

إنِّي وَإنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي عَاتِباً لَمُزاحِمٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرائِهِ
ومُفِيدُهُ نَصْري وَإنْ كُنْتُ امْرأً مُتَزَحزِحاً عَنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وأَكُونُ وَالِيَ سِرِّهِ وأصُونُهُ حَتَّى يَحِينَ عَلَيَّ وَقْتُ أدائِهِ
وإذا الحَوادِثُ أَجْحَفَتْ بِسَوامِهِ قُرِنَتْ صَحِيحَتُنَا إلى جَرْبائِهِ[٢]
وإذا دَعَا باسْمِي لِيَرْكَبَ مَرْكَباً صَعْباً قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سِيسَائِهِ[٣]
وإذا أَتَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيفَةٍ لَمْ أَطَّلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبائِهِ
وإذا ارْتَدَى ثَوْباً جَمِيلاً لَمْ أَقُلْ: يَا لَيْتَ أَنَّ عَلَيَّ حُسْنَ رِدَائِهِ

فقال: أحسنت يا نضر؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسديّ: [المنسرح]

إنِّي امْرُؤٌ لَمْ أَزَلْ، وَذَاكَ مِنَ اللّـ ـهِ قَدِيماً، أُعَلِّمُ الأَدَبَا
أُقِيمُ بالدَّارِ مَا اطْمَأَنَّتْ بِيَ الدَّا رُ وَإنْ كُنْتُ مَازِحاً طَرِبَا
لا أَجْتَوِي خُلَّةَ الصَّدِيقِ وَلاَ أُتْبِعُ نَفْسِي شَيْئاً إذا ذَهَبَا[٤]
أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الكَرِيمُ مِنَ الـ ـرِّزْقِ بِنَفْسِي وَأُجْمِلُ الطَّلَبَا
وَأَحْلِبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ ولا أَجْهِدُ أَخْلافَ غَيْرِهَا حَلَبَا[٥]
إنِّي رَأَيْتُ الفَتَى الكَرِيمَ إذَا رَغَّبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبَا
والعَبْدُ لاَ يَطْلُبُ العَلاءَ وَلاَ يُعْطِيكَ شَيْئاً إلاَّ إذا رهِبَا
مِثْلُ الحِمَارِ المُوَقَّعِ السَّوْءِ لا يُحْسِنُ مَشْياً إلاَّ إذا ضُرِبَا[٦]

(١) أسلمت: أسلفتُ. ومقتَبلاً. مستأنفاً. وسلمي: جائزتي.
(٢) السَّوام: الماشية والإبل الراعية.
(٣) السيساء من الدواب: الظهر. وحمله على سيساء الحق: أي على حَدِّه.
(٤) لا أجتوي: لا أكره. والخُلَّة: الصداقة والمحبّة.
(٥) الثَّرَّة: الناقة أو الشاة الغزيرة اللَّبن.
(٦) الموقَّع: الذي في ظهره سَحج من كثرة الركوب عليه.

قَدْ يُرْزَقُ الخَافِضُ المُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِعِيسٍ رَحْلاً ولا قَتَبا[1]
ويُحْرَمُ الرِّزْقَ ذو المَطِيَّةِ والرَّ حْلِ وَمَنْ لا يَزالُ مُغْتَرِبَا
وَلَمْ أَجِدْ عُدَّةَ الخَلائِقِ إلاَّ الدِّينَ لِمَا اعْتَبَرْتُ وَالحَسَبَا

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفاً، وأمر خادماً بإيصال رقعة، وتنجيز ما أمر به لي، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لي: يا نضْر، أنت الملحِّن لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: فذاك إذنْ، وأطلق لي الخمسين ألفَ درهم، وأمر لي بثلاثين ألفاً.

[ممازحته لعبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: حدّثنا حماد عن أبيه؛ قال: بلغني أن حمزة بن بِيض الحنفيّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً، فوجه إليه ليلة برسول، وقال: خذه على أي حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلَّفه على ذلك، وغلّظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: وَيْحَك، إني أكلتُ طعاماً كثيراً، وشربت نبيذاً حُلواً، وقد أخذني بطني. قال: والله لا تفارقني أو أمضي بك إليه، ولو سَلَحْتَ في ثيابك. فجَهَد في الخلاص، فلم يقدرْ عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعداً في طارمة[2] له، وجارية جميلة كان يتحظّاها جالسة بين يديه، تسجُر الندّ[3] في طارمته، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لي ريحٌ، فقلت: أسرحها وأستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البَخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريحَ النّدِّ وغَمرته، فقال: ما هذا يا حمزة! قلت: عليَّ عهد الله وميثاقه، وعليّ المشي والهَدْي إن كنت فعلتها. وما هذا إلاّ عمل هذه الفاجرة. فغضب واحتفظ، وخجلت الجارية، فما قدَرت على الكلام، ثم جاءتني أُخرى فسرَّحتها، وسطع والله ريحها. فقال: ما هذا ويلك! أنت والله الآفة. فقلت: امرأتي فلانة طالِقٌ ثلاثاً إن كنت فعلتها. قال: وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: ويلكِ ما قصتكِ؟ قومي إلى

(١) القَتَب: الرَّحل الصغير.
(٢) الطارمة: لفظة فارسية ومعناها: البيت من خشب كالقبة.
(٣) تسجر: تشعل. والنَّدّ: عود يُتبخَّر به.

الخلاء إن كنت تجدين حِسًّا، فزاد خجلها وأطرقت. وطمِعت فيها، فسرَّحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال: خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك، وامضِ فقد نغّصت عليّ ليلتي.

فأخذت والله بيدها، وخرجت، فلقيني خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت: أمضي بهذه. قال: لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعدها أبداً، وهذه مِئة دينار، فخذها ودع الجارية، فإنه يتحظّاها، وسيندم على هِبته إياها لك. قلت: والله لا نقصتك من خَمس مِئة دينار. فلم يزل يزايدني حتى بلغ مِئتي دينار، ولم تطبْ نفسي أن أُضيعها، فقلت: هاتها، فأعطانيها، وأخذها الخادم.

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم، فقال: هل لك في مِئة دينار وتقول ما لا يضرّك، ولعلّه أن ينفعك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ الفَسوات، ونسبتها إلى نفسك، وتنفح عن الجارية ما قرفتها[1] به. قلت: هاتها. فدفعها إليّ، ودخلت على عبد الملك، فلما وقفت بين يديه قلت: أَلِي الأمان حتى أُخبرك بخبر يَسرُّكَ، وتضحك منه؟ قال: لك الأمان. قلت: أرأيت ليلة حضوري وما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فعليّ وعليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه. ثم قال: ويلَكَ! فلِمَ لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خِصالاً، منها أن قمت فقضيت حاجتي، وقد كان رسولك منعني منها، ومنها أني أخذت جاريتك، ومنها أن كافأتك على أذاك لي بمثله. فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلَّمتها إلى فلان الخادم، وأخذت مائتي دينار. فسُرَّ بذلك، وأمر لي بمئتي دينار أُخرى، وقال: هذه لجميل فِعلك بي، وتركك أخذ الجارية.

قال حمزة بن بِيض: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يرَ الناسُ أنتنَ إبطاً منه، فقال لي: يا حمزة، سابق غلامي حتى يفوح صُنانكما، فأيّكما كان صُنانه أنتن، فله مِئة دينار. فطمعت في المائة، ويئستُ منها لِمَا أعلمه من نَتْن إبط الغلام، فقلت: أفعل. وتعادينا، فسبقني، فسلحت في يدي، ثم لطخت إبطي

(١) تنفح: تدفع. وقرفتها: عِبتَها.

بالسُّلاح، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً يخبره بالقصة، فلما دنا الغلام منه فشمَّه، وثب وقال: هذا والله لا يساجِلُه شيء. فصحت به: لا تعجل بالحكم، مكانَك. ثم دنوت منه، فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط دِماغه، وأنا ممسك لرأسه تحت يدي. فصاح: الموت والله! هذا بالكُنُف[1] أشبه منه بالآباط! فضحك عبد الملك، ثم قال: أفحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت الدنانير.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثني جعفر العاصميّ قال: حدّثنا عيينة بن المنهال، عن الهيثم بن عديّ، عن أبي يعقوبَ الثقفيّ، قال: قال حمزة بن بِيض: دخلت يوماً على مَحلد بن يزيد، فقلت: [الكامل]

إِنَّ الـمَـشَـارِقَ وَالْـمَـغَـارِبَ كُـلَّـهَـا تُـجْـبَـى وَأَنْـتَ أَمِـيـرُهَـا وَإِمَـامُـهـا

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

أَغْـفَـيْـتُ قَـبْـلَ الـصُّـبْـحِ نَـوْمَ مُـسَـهَّـدٍ فـي سَـاعَـةٍ مَـا كُـنْـتُ قَـبْـلُ أَنَـامُـهـا

قال: ثم ماذا كان؟ قلت:

فَـرَأَيْـتُ أَنَّـكَ جُـدْتَ لِـي بِـوَصِـيـفَـةٍ مَـوْسُـومَـةٍ حَـسَـنٍ عَـلَـيَّ قِـيَـامُـهـا

قال: قد فعلت. فقلت:

وَبِــبَــدْرَةٍ حُـمِـلَـتْ إِلَـيَّ وبـغـلـةٍ سَـفْـواءَ نَـاجِـيَـةٍ يَـصِـلُ لِـجَـامُـهَـا[2]

قال: قد حقّقَ الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، وما عَلِمَ الله أني رأيت من ذلك شيئاً.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد رُوِيَ هذا الخبر بعينه لابنِ عبدلٍ الأسديّ، وذكرته في أخباره.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: حدّثنا عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، قال: حَجَّ حمزة بن بِيض الحنفيّ، فقال له ابن عَمٍّ له: أُحججْ بي معك. فأخرجه معه، فحوقل[3] عليه بعد نشاطه، فقال

(١) الكُنُف: جمع الكنيف: المرحاض.
(٢) السَّفواء: القليلة شعر الناصية والسريعة. والناجية: السريعة. ويَصِلُّ: يصوِّت.
(٣) حوقل: مشى فأعيا وضعف.

ابن بيض فيه: [الطويل]

وَذِي سِنَةٍ لَمْ يَدْرِ مَا السَّيْرُ قَبْلَها ... وَلَمْ يَعْتَسِفْ خَرْقاً مِنَ الأَرْضِ مَجْهلا[١]
وَلَمْ يَدْرِ ما حَلُّ الحِبَالِ وَعَقْدُها ... إذا البَرْدُ لَمْ يَتْرُكْ لِكَفَّيْهِ مَعْمَلا
وَلَمْ يُقْرِ مَأْجُوراً ولا حَجَّ حِجَّةً ... فَيَضْرِبَ سهماً أَوْ يُصَاحِبَ مِكْتَلا[٢]
غَدَوْنَا بِهِ كَالْبَغْلِ يَنْفضُ رَأْسَهُ ... نَشَاطاً بَنَاهُ الخَيْرُ حَتَّى تَفَتَّلا
تَرَى المَحْمِلَ المَحْسُورَ ناءَ عُرَامَهُ ... وَبَاباً إذا أَمْسَى مِنَ الشَّرِّ مُقْفلا[٣]
وَإِنْ قلت لَيْلاً: أَيْنَ أَنْتَ لِحَاجَةٍ ... أَجَابَ بِأَنْ لَبَّيْكَ عَشْراً وَأَقْبَلا
يَسُوقُ مَطِيَّ القَوْم طَوْراً وَتَارَةً ... يَقُودُ وَإِنْ شِئْنَا حَدَا ثُمَّ جَلْجَلا[٤]
فَأَجَّلْتُهُ خَمْساً وَقُلْتُ لَهُ: انْتَظِرْ ... رُوَيداً، وَأَجَّلْنَا المَطِيَّ لِيَدبُلاَ
فَلَمَّا صَدَرْنَا عَنِ زُبَالَةَ وارْتَمَتْ ... بِنَا العيسُ مِنْها مَنْقلاً ثُمَّ مَنْقلا[٥]
تَرَامَتْ بِهِ المَوْمَاةُ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يَسَفُّ بِمَغْسُولِ الخزيرَةِ حَنْظَلا[٦]
وَحَتَّى نَبا عَنْ مِزوَدِ القَوْم ضِرْسُهُ ... وَعَادى مِنَ الجُهْدِ الثَّرِيدَ المُرَعْبَلا[٧]
وحتَّى لَوَ انَّ اللَّيْثَ لَيْثَ خَفيَّةٍ ... يُحَاوِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَا تَحَلْحَلا
وَحَتَّى لَوَ انَّ اللهَ أَعْطَاهُ سُؤْلَهُ ... وَقيلَ لَهُ: مَا تشتهي؟ قالَ: مَحْمَلا
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذي بِهِ ... وَقَدْ خِفتُ أَنْ ينضَى لَدَيْنَا وَيَهْزِلا
أَطِعْنِي وَكُلْ شَيْئاً، فَقَالَ مُعَذِّراً ... مِنَ الجَهْدِ: أَطْعِمْني تُراباً وَجَنْدَلا
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْكَ جَاراً وصَاحِباً ... فَدَعنِي فَلاَ لَبَّيْكَ ثُمَّ تَجَدَّلا
وَقَالَ: أَقِلْنِي عَثْرَتي وَارْعَ حُرْمَتِي ... وَقَدْ فَرَّ مِنِّي مرَّتين لِيقْفِلا
فَقُلْتُ لَهُ: لا ـ والَّذي أَنَا عَبْدُهُ ـ ... أُقيلُكَ حَتَّى تَمْسَحَ الرُّكْنَ أَوَّلا

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حَدَّثني عبد الله بن عمرو بن سعد

(١) السِّنَة: النعاس. واعتسف الطريق: مشى به على غير هداية ولا دراية، والخَرْق: الأرض الواسعة يشتدّ فيها هبوب الريح. والمجهل: المفازة لا علَم فيها.
(٢) المأجور: ما يستأجَر في السفر من دابة أو خادم. والمِكْتَل: الزنبيل من خوص.
(٣) المحمل: ما يُحمَل عليه ولعله الدابّة. والمحسور: المتعب. والعرام: النشاط.
(٤) يسوقها: يدفعها من خلف. ويقود: يسحبها من قدّام. وجلجل: رفع صوته.
(٥) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ١٢٩:٣). والمنقل: الطريق في الجبل.
(٦) الموماة: المفازة. والخزيرة: نوع من الطعام مكوَّن من اللبن والدقيق ومُحلًّى بالعسل أو التمر.
(٧) المِزْوَد: وعاء يُوضَع فيه الزّاد. والثريد: الخبز المفتوت المبلول بالمرق. والمرعبل: المقطّع قطعاً كبيرة.

قال: حَدَّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثني أبو عمر العُمَريّ، قال: حَدّثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلّب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شُغِلَ عنه، فاختلف إليه مراراً، فلم يصلْ إليه، وأبطأت عليه عِدته، فقال ابن بِيض: [الطويل]

أَمَـخْـلَـد إِنَّ اللهَ مَـا شَـاءَ يَـصْـنَـعُ ... يَـجُـودُ فَـيُـعْـطِـي مَنْ يَـشَـاءُ وَيَـمْـنَـعُ
وَإِنّـي قَـدْ أَمِـلْـتُ مِـنْـكَ سَـحَـابَـةً ... فَـخَـالَـتْ سَـراباً فَـوْقَ بَـيْـداءَ تَـلْـمَـعُ
فَـأَجْـمَـعْـتُ صُـرْماً ثُـمَّ قُـلْـتُ: لَـعَـلَّـهُ ... يَـثُـوبُ إِلَـى أَمْـرٍ جـمـيـلٍ فَـيَـرْجِـعُ
فَـأَيْـأَسَـنِـي مِـنْ خَـيْـرِ مـخـلـدَ أَنَّـهُ ... عَـلَـى كُـلِّ حَـالٍ لَـيْـسَ لـي فِـيـهِ مَـطْـمَـعُ
يَـــجُـــودُ لأَقْـــوامٍ يَـــوَدُّونَ أَنَّـــهُ ... مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّنْآنِ أَمْسَى يُقَطَّعُ(١)
وَيَـبْـخَـلُ بِـالْـمَـعْـرُوفِ عَـمَّـنْ يَـوَدُّهُ ... فَـوَاللهِ مَـا أَدْري بِـهِ كَـيْـفَ أَصْـنَـعُ؟
أَأَصْـرِمُـهُ فَـالـصُّـرْمُ شَـرٌّ مَـغَـبَّـةً ... وَنَـفْـسـي إِلَـيْـهِ بِـالْـوِصَـالِ تَـطَـلَّـعُ
وَشَـتَّـانَ بَـيْـنـي فـي الـوِصَـالِ وَبَـيْـنَـهُ ... عَـلَـى كُـلِّ حَـالٍ أَسْـتَـقِـيـمُ وَيَـظْـلَـعُ(٢)
وَقَـدْ كَـانَ دَهْـراً وَاصِـلاً لـي مَـوَدَّةً ... وَيَـمْـنَـعُـنـي مِـنْ صَـرْفِ دَهْـري أَضْـرَعُ
وَأَعْـقَـبَـنـي صُـرْماً عَـلَـى غَـيْـرِ إِحـنَـةٍ ... وَبُـخْـلاً وَقِـدْمـاً كَـانَ لـي يَـتَـبَـرَّعُ
وغَـيَّـره مَـا غَـيَّـرَ الـنَّـاسَ قَـبْـلَـه ... فَـنَـفْـسـي بِـمَـا يَـأْتِـي بِـهِ لَـيْـسَ تَـقْـنَـعُ

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فأدخل إليه الرجل، فقال: مَنْ أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بِيض، فأمر به فضُرِبَ عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإيَّاكَ أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحكَ الله، لا أحمل كتاباً لمن أعرف، ولا لمن لا أعرف. قال له مَخْلد: احذَر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ وبعث إلى ابن بِيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا. فحدثه مَخْلد بقصته، فقال ابن بِيض: والله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سَوْطاً مع الخمس مائة أبداً. فضحك مَخْلد، وأمر له بخمسة آلاف درهمٍ، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا

---

(١) الشنآن: البغض.

(٢) يظلع البعير: يغمز في مشيته.

تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً. قال: أَجَلْ والله، ولكن من لي بمثلك يُعْتِبُني إذا استعتبته، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال: [الطويل]

وَأَبْيَضَ بُهْلُولٍ إذا جِئْتُ دَارَهُ ... كَفَاني وَأَعْطَاني الَّذي جِئْتُ أَسْأَلُ
وَيُعْتِبُني يَوْماً إذا كُنْتُ عَاتِباً ... وَإِنْ قُلْتُ، زِدْنِي: قال: حَقًّا سَأَفْعَلُ
تَرَاهُ إذا مَا جِئْتَهُ تَطْلُبُ النَّدَى ... كَأَنَّكَ تُعطيه الَّذي جِئْتَ تَسْأَلُ
فَلِلَّهِ أَبْنَاءُ المُهَلَّبِ فِتْيَةً ... إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوانٌ تَأَكَّلُ(١)
هُمُ يَصْطَلونَ الحَرْبَ والمَوْتُ كَانِعٌ ... بِسُمْرِ القَنَا والمَشْرَفِيَّةُ مِنْ عَلُ(٢)
تَرَى المَوْتَ تَحْتَ الخَافِقَاتِ أَمَامَهُمْ ... إذا وَرَدوا عَلُّوا بالرِّمَاحَ وأَنْهَلُوا
يَجُودونَ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّهُمْ ... لِجُودِهِمْ نَذْرٌ عَلَيْهِمْ يُحَلَّلُ
غُيوثٌ لِمَنْ يَرْجُو نَدَاهُمْ وَجُودَهُمْ ... سِمَامٌ لأَقْوامٍ ذُعَافٌ يُثَمَّلُ(٣)
وفَى لِيَ أبناءُ المُهَلَّبِ إنَّهُمْ ... إذا سُئِلوا المَعْروفَ لَمْ يَتَسَعَّلوا
فَذلِكَ مِيراثُ المُهَلَّب إنَّهُ ... كَريمٌ نَمَاهُ لِلْمَكَارِمِ أَوَّلُ
جَرَى وَجَرَتْ آبَاؤُهُ فَتَحَرَّزوا ... عَنِ الذَّمِّ في غَيْطَاءَ لا تُتَوَقَّلُ(٤)

فلما أنشده ابن بِيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال: [الطويل]

أَمَخْلَد لَمْ تَتْرُكْ لِنَفْسِيَ بُغْيَةً ... وَزِدْتَ عَلَى مَا كُنْتُ أَرْجُو وآمَلُ
فَكُنْتَ كَمَا قَدْ قَالَ مَعْنٌ فَإِنَّهُ ... بَصيرٌ بِمَا قَدْ قَالَ إذْ يَتَمَثَّلُ
وَجَدْتُ كثيرَ المَالِ إذْ ضَنَّ مُعْدِماً ... يُذَمُّ ويَلْحَاهُ الصَّديقُ المُؤَمِّلُ
وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بالجُودِ مَنْ رَأَى ... أَبَاهُ جَواداً لِلْمَكَارِمِ يُجْزِلُ
تَرُبُّ الَّذي قَدْ كَانَ قَدَّمَ والِدٌ ... أَغَرُّ إذا مَا جِئْتَهُ يَتَهَلَّلُ
وَجَدْتَ يَزيداً والمُهَلَّبَ بَرَّزا ... فَقُلْتَ: فَإِنِّي مِثْلَ ذلكَ أَفْعَلُ
فَفُزْتَ كَمَا فازا وَجَاوَزْتَ غَايَةً ... يُقَصِّرُ عَنْهَا السَّابِقُ المُتَمَهِّلُ

(١) الحرب العوان: الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.
(٢) كانع: قريب.
(٣) الذُّعاف: السمّ القاتل من ساعته. ويثمل: سم نقع أياماً حتى اختمر.
(٤) العيطاء: الهضبة المرتفعة. وتتوقّل: يُصعد فيها.

فَأَنْتَ غِياثٌ لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ إِلَيْكَ جِمالُ الطَّالِبِي الخيرِ تُرْحلُ
أَصَابَ الَّذي رَجَّى نَدَاكَ مُخِيلَةً تصُبُّ عَزالِيها عَلَيْهِ وتَهطِلُ(١)
وَلَمْ تُلْفَ إِذْ رَجَّوا نَوَالَك باخِلاً تَضَنُّ عَلَى المَعْروفِ والمَالُ يُعْقَلُ
وَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إذا كانَ ذا مَالٍ يَضَنُّ وَيَبْخَلُ

فقال له مخلد: احتكم. فأبى، فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبِرْذَوناً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، قال: كان حمزة بن بِيض شاعراً ظريفاً، فشاتم حمادَ بن الزبرقان، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب شراب، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلا يوماً على بعض وُلاة الكوفة، فقال لابن بِيض: أراك قد صالحت حماداً، فقال ابن بِيض: نعم، أصلحك الله، على ألا آمرَه بالصلاة، ولا ينهاني عنها.

[شِعره في شوقه لأهله]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحّاف قال: حدّثنا قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: قدم حمزة بن بِيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بُردة بن أبي موسى، وبينهما مودّة منذ الصِّبا، فطال مقامه عنده، فاشتاقَ إلى أهله وولده، فكتب إلى بلال: [البسيط]

كَلَّتْ رِحَالِي وَأَعْوانِي وَأَحْرَاسِي إلى الأَميرِ وإدلاجي وإمْلاسي(٢)
إلى امْرِىءٍ مُشْبَعٍ مَجْداً وَمَكْرُمَةً عاديَّةً فَهوَ حَالٍ مِنْهُمَا كَاسي(٣)
فَلَسْتُ مِنْكَ ولاَ مِمَّا مَنَنْتَ بِهِ مِنْ فَضْلِ وُدِّكَ كالمَرْمِيِّ في راسِي
إِنِّي وَإِيَّاكَ والإخوانَ كُلَّهُمُ في العُسْرِ واليُسْرِ لَوْ قِيسوا بِمِقْيَاسِ
وذاك مِمَّا يَنُوبُ الدَّهْرُ مِنْ حَدَثٍ كالْوَرْدِ في المَثَلِ المَضْروبِ وَالآسِ
يَبِيدُ هذا فيبلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ غَضًّا وآخِرُهُ رَهْنٌ بِإِينَاسِ

(١) المُخيلة من السحب: التي تُحسَب ممطرة وهي ليست كذلك. والعزالي: جمع عزلاء: مصبّ الماء من القربة.
(٢) كَلَّت: تعبت. والإدلاج: السير في الليل كله أو في آخره. والإملاس: السير السهل اللّيّن.
(٣) العاديّة: القديمة المتأصّلة.

وَأَنْـتَ لـي دائِـمٌ بَـاقٍ بَـشَـاشَـتُـهُ ... يَهْتَزُّ في عُودٍ لا عَشٌّ ولا عَاسِي[١]

فعجّل له بلال صلته، وسرّحه إلى الكوفة.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النّخعيّ قال: حدّثنا أبو المُعارِك الضَّبيّ قال: حدّثني أبو مسكين قال: دخل حمزة بن بِيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: [الوافر]

رَأَيْـتُـكَ فـي الـمَـنَـام شَـنَـنْـتَ خـزاً ... عَـلَـيَّ بَـنَـفْـسَـجـاً وقَـضَـيْـتَ دَيْـنِـي

فَـصَـدِّقْ يـا فَـدَتْـكَ الـنَّـفْـسُ رُؤْيَـا ... رَأَتْـهَـا فـي الـمَـنَـامِ لَـدَيْـكَ عَـيْـنـي

فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكِسوة، واشْنَن عليه كلّ ثوب خَزٍّ بَنَفْسَجِيّ فيها. فخرج كأنه مِشْجَب. ثم قال له: كم دَينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها.

صوت

[الكامل]

مَـنْ سَـرَّهُ ضَـرْبٌ يُـرَعْـبِـلُ بَـعْـضُـهُ ... بَـعْـضـاً كَـمَـعْـمَـعَـةِ الأَبـاءِ الـمُـحْـرَقِ[٢]

فَـلْـيَـأْتِ مَـأْسَـدَةً تُـسَـنُّ سُـيُـوفُـهَـا ... بَـيْـنَ الـمَـذادِ وَبَـيْـنَ جِـزْعِ الـخَـنْـدَقِ[٣]

ويروى: يُمَعْمع بعضه بعضاً. والمعمعة: اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها. والمأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأُسْد. وتُسَنُّ: تُحَدُّ. يقال: سيف مسنونٌ. والمَذاد: موضع بالمدينة. والخندق: يعني به الذي احتفره رسول اللهﷺ وأصحابه حول المدينة. والشعر لكعب بن مالك الأنصاريّ، والغناء لابن محرز: خفيف رَمَل، بإطلاق الوَتَر في مَجرى الوُسطى، عن إسحاق وعمرو.

---

(١) العَشّ من الشجر: اللئيم المنبت. والعاسي: اليابس.

(٢) يرعبل: يقع بضعه على بعض. والأباء: جمع الأباءة: القصب.

(٣) المذاد: موضع بالمدينة أو هو وادٍ بين سلع وخندق المدينة (معجم البلدان ٥ :٨٨).

أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه

[توفي ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م]

[اسمه ونسبه وميوله العثمانية]

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمرو بن القَيْن بن كعب بن سواد، وقيل: القَيْن بن سواد (هكذا قال ابن الكلبيّ) بن غَنْم بن كعب بن سَلمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد بن الغوث.

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين، وهو بَدْريّ عَقَبِيّ. وأبوه مالك بن أبي كعب بن القَين شاعر، وله في حروب الأوس والخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر. وعَمّه قيس بن أبي كعب شهد بدراً، وهو شاعر أيضاً، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس. وخبره في ذلك يذكر في موضعه، بعد أخبار كعب وأبيه.

ولكعب بن مالك أصل عريق، وفرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشِير بن عبد الرحمن شاعر، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر، وكلهم مجيد مُقَدَّم.

وعُمِّرَ كعب بن مالك، ورَوى عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً، وكلّ بني كعب بن مالك قد رَوى عنه الحديث.

فمما رواه ابن ابنه بَشير عن أبيه عنه: حَدَّثني أحمد بن الجَعْد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدّثنا عَتَّاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال: كانَ بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدّث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده، لكأنما تنضحونهم بِالنَّبْلِ بما تقولونَ لهم من الشِّعْرِ»**[1].

وممّا رواه عنه ابنه عبد الله: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون.

وممّا رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حَدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طِهمان، عن أبي الزُّبير، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حَدَّثه أن النبيﷺ بعثه وأوسَ بن الحَدَثان أيام التشريق، فنادى:

«إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام مِنًى أيام أكل وشرب»[2].

ويقال: كان كعب بن مالك عثمانياً، وهو أحد من قَعَدَ عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فلم يشهدْ معه حروبه، وخاطبه في أمر عثمان وَقَتَلَتِهِ خطاباً نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله. وله مَراثٍ في عثمان بن عفان رحمه الله، وتحريض للأنصار على نُصْرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله:

[الطويل]

فَلَوْ حُلْتُمُ مِنْ دُونِهِ لَمْ يَزَلْ لَكُمْ ... يَدَ الدَّهْرِ عِزٌّ لا يَبُوخُ ولا يَسْرِي
وَلَمْ تَقْعدوا والدَّارُ كابٍ دُخانُهَا ... يُحَرَّقُ فيها بالسَّعيرِ وبالْجَمْرِ
فَلَمْ أرَ يَوْماً كَانَ أَكْثَرَ ضَيْعَةً ... وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلغَوايةِ والنُّكْرِ

(١) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ١٩: ٧٥.

(٢) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢٢.

[رثاؤه لعثمان]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حَدَّثنا أبو غسانَ دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد مَنْ عاون عثمانَ على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف، ولم يرَ أن الأمر يخلُصُ إليه، ولا يَجْرِي القوم إلى قتله؛ فلما قُتِلَ وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله ﷺ، فأنشدهم: [الكامل]

مَنْ مُبلِغُ الأنْصَارِ عَنِّيَ آيَةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عَلَيْهِمُ التِّبْيَانَا
أنْ قَدْ فَعَلْتم فَعْلَةً مَذْكورَةً ... كَسَتِ الفُضُوحَ وَأبْدَتِ الشَّنآنا[1]
بِقُعُودِكُمْ في دُورِكُمْ وَأمِيرُكُمْ ... تُخْشَى ضَواحِي دَارِهِ النِّيرانَا
بَيْنَا يُرَجِّي دَفْعَكُمْ عَنْ دَارِهِ ... مُلِئَتْ حَرِيقاً كَابِياً ودُخَانَا
حَتَّى إذا خَلَصُوا إلَى أبْوَابِهِ ... دَخَلوا عَلَيْهِ صَائِماً عَطْشَانَا
يُعْلُونَ قُلَّتَهُ السُّيُوفَ وَأنْتُمُ ... مُتَلَبِّثُونَ مَكَانَكُم رِضْوانَا[2]
اللهُ يَعْلَمُ أنَّنِي لَمْ أرْضَهُ ... لَكُمُ صَنِيعاً يَوْمَ ذاكَ وشَانَا
يَا لَهْفَ نَفْسي إذْ يَقُولُ: ألاَ أرَى ... نَفَراً مِنَ الأنْصَارِ لِيَ أعْوانَا
واللهِ لَوْ شَهِدَ ابْنُ قَيْسٍ ثَابِتٌ ... ومَعَاشِرٌ كانوا لَهُ إخْوَانَا

يعني ثابتَ بن قيس بن شَمَّاس.

وَأبُو دُجَانَةَ وابْنُ أرْقَمَ ثَابِتٌ ... وَأخُو المَشاهِدِ مِنْ بَنِي عَجْلاَنَا

أبو دجانة: سِماك بن خَرَشة، وابن أرقم: ثابت البلَويّ، وأخو المَشاهد من بني عَجْلان: مَعْن بن عَدِيّ، عَقَبِيّ.

ورِفَاعَةُ العُمَرِيُّ وابْنُ مُعاذِهِمْ ... وَأخُو مُعَاوِيَ لَمْ يَخَفْ خِذْلاَنَا

رفاعة: ابن عبد المنذر العُمَريّ، وابن معاذ: سعد بن معاذ، وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعديّ، عَقَبي بَدْريّ.

قَوْمٌ يَرَوْنَ الحَقَّ نَصْرَ أمِيرِهِمْ ... وَيَرَوْنَ طَاعَةَ أمْرِهِ إيمَانَا
إنْ يُتْركُوا فَوْضَى يَرَوا في دِينِهِمْ ... أمْراً يُضَيِّقُ عَنْهُمُ البُلْدَانَا

---

(١) الفضوح: كشف المساوىء. والشنآن: البغض.

(٢) رضواناً: مصدر رَضِيَ: راضين.

فَلَيُغْلِبَنَّ اللهُ كَعْبَ وَلِيِّهِ وَلَيَجْعَلَنَّ عَدُوَّهُ الذُّلاَّنَا
إنّي رَأَيْتُ مُحَمَّداً اخْتَارَهُ صِفْراً وَكَانَ يَعُدُّه خُلْصَانَا[(١)]
مَحْضَ الضَّرائبِ مَاجِداً أَعْرَاقُهُ مِنْ خَيْرِ خِنْدِفَ مَنصِباً ومَكَانَا
عَرَفَتْ لَهُ عُلْيَا مَعَدٍّ كُلُّهَا بَعْدَ النَّبِيِّ الملكَ والسُّلْطَانَا
مِنْ مَعْشَرٍ لا يَغْدِرون بِجَارِهِمْ كَانُوا بِمَكَّةَ يَرْتَعُونَ زَمَانَا
يُعْطُونَ سائِلَهُمْ وَيَأْمَنُ جَارُهُمْ فيهم وَيُرْدُونَ الكُمَاةَ طِعَانَا[(٢)]
فَلَوَ اَنَّكُمْ مَعَ نَصْرِكُمْ لِنَبِيِّكُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ نَصَرْتُمُ عُثْمَانَا!
أَنَسِيتُم عَهْدَ النَّبِيِّ إِلَيْكُمُ وَلَقَدْ أَلَظَّ وَوَكَّدَ الأَيْمَانَا[(٣)]

قال: فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عَزَّ وجلَّ.

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جُرَيج، عن هشام بن عُروة، عن أبيه قال: رجز راجزٌ من قريش برسول اللهﷺ، فقال: [الرجز]

لَمْ يَغْذُهَا مُدٌّ وَلاَ نَصِيفُ وَلاَ تُمَيْرَاتٌ وَلاَ تَعْجِيفُ[(٤)]
لكِنْ غَذَاهَا اللَّبَنُ الحِرِّيفُ والمَخْضُ والقَارِصُ وَالصَّرِيفُ[(٥)]

قال: فاحْتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُدّ والتمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال: [الرجز]

لَمْ يَغْذُهَا مُدٌّ ولا نَصِيفُ لَكِنْ غَذَاهَا الحَنْظَلُ النَّقِيفُ[(٦)]
وَمَذْقَةٌ كَطُرَّةِ الحَنِيفِ تَبِيتُ بَيْنَ الزَّرْبِ وَالكَنِيفِ[(٧)]

فقال رسول اللهﷺ: اركبا.

(١) الخلصان: المخلص.
(٢) الكماة: جمع الكميّ: الشجاع.
(٣) أَلَظَّ: ألحَّ.
(٤) المدّ: المكيال. والنصيف: نصفه. والتعجيف: منع الدواب من الطعام حتى تهزل.
(٥) الحِرِّيف: ذو الحرافة: والحَرَافة: حدّة في الطعم تلذع اللسان بقوة وتقرصه. والصريف: اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارّاً إذا حلِبَ.
(٦) النقيف من الحنظل: ما شُقّ عن حَبّه.
(٧) المذقة: الشربة من اللبن الممزوج. والطرّة: الحاشية. والحنيف: نوع من أسوأ الكتان. والزّرب: الحظيرة. والكنيف: الموضع الساتر.

أخبرني الجوهريُّ والمُهلَّبي قالا: حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا هَوذة بن خليفة قال: حَدّثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سِيرين، في حديث طويل قال: كان يهجوهم - يعني قريشاً - ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَواحة. وكان حَسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيِّرانهم بالمثالِب، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرُهُمْ بالكفر، وينسبُهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شرّ من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رَواحة، فلما أسلموا وفَقِهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رَواحة.

[كعب يستأذن الرسول بهجاء قريش والرسول يأذن له]

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثنا عبد الله بن بكر السَّهميّ قال: حَدَّثني حاتم بن أبي صَغيرة قال: حدّثنا سِماك بن حرب قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ فقِيل: إنَّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذنْ لي فيه. فقال له: أنت الذي تقول فثَبَّت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول: [البسيط]

فَثَبَّتَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيتَ مُوسَى، وَنَصْراً كالّذي نَصَرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: هَمَّت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول: [الكامل]

هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تُغَالِبَ رَبَّها ... وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلاَّبِ[1]

فقال: أما إنَّ الله لم ينسَ لك ذلك.

أخبرني الجوهري والمهلبيّ قالا: حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال: حدّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حَدّثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدّثنا مجالد، عن الشعبيّ قال: لمّا انهزم المشرِكون يوم الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: «**إن المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم، فمن**

---

(١) السّخينة: طعام يتّخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وأغلظ من الحساء. وكانت قريش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سمّوا سخينة.

يحمي أعراض المسلمين؟» فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا. فقال: **«إنك لحسن الشعر»**. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: **«وإنك لحسن الشعر»**[(١)].

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا: حدّثنا عُمَر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن منصور قال: حدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثني جُويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول اللهﷺ قال: **«أمرتُ عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرت حَسَّاناً فشفى واشتفى»**.

أخبرني الجوهريّ والمهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أُنيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: أنّ النبيَّ ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد رسول اللهﷺ يُنْشِدُ، فلما رآه كأنه انقبض، فقال: ما كنتم فيه، فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول اللهﷺ: فأنشد، فأنشد حتى أتى على قوله:

* مُقاتَلُنا عَنْ جِذْمِنا كُلَّ فَخْمَةٍ[(٢)] *

فقال رسول اللهﷺ: **«لا تقل عن جِذمنا، ولكن قل: مُقاتَلُنا عن ديننا»**.

قال أبو زيد: وحدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال: وقف رسول اللهﷺ بباب كعب بن مالك، فخرج فقال له رسول اللهﷺ: إيهِ، فأنشده، ثم قال: إيهِ فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده (ثلاث مرات). فقال رسول اللهﷺ: **«لَهذا أشدُّ عليهم من مواقع النَّبْلِ»**.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرَّبَعِيّ، وذكر أنه إسناد شآم، هكذا قال، قال ابن عمار في الخبر، وذكر حديثاً فيه طول، لحسان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال: لَمَّا بُويِعَ لعليّ بن أبي طالبعليه السلام، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير ـ وكانوا عثمانيّة ـ أنهم يقدّمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشأم خير من المدينة. واتَّصَلَ بهم أن ذلك قد بلغه، فدخلوا

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ١٢٩.

(٢) وعجز البيت: «مذربة فيها القوانس تلمع».

عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين؛ أخبِرنا عن عثمان، أقُتِل ظالماً، فنقولَ بقولك؟ أم قتل مظلوماً، فنقولَ بقولنا، ونكلَك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه، فهاتِه نعرفه، ثم قال: [الطويل]

كَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُـمَّ أَغْـلَـقَ بَـابَـهُ وَأَيْـقَـنَ أَنَّ اللهَ لَـيْـسَ بِـغَـافِـلِ
وَقَـالَ لِـمَـنْ فِـي دَارِهِ: لا تُـقَـاتِـلُـوا عَـفَـا اللهُ عَـنْ كُـلِّ امْـرِىءٍ لَـمْ يُـقَـاتِـلِ
فَـكَـيْـفَ رَأَيْـتَ اللهَ صَـبَّ عَـلَـيْـهِـمُ الـ ـعَـداوَةَ والـبَـغْـضَـاءَ بَـعْـدَ الـتَّـوَاصُـلِ
وَكَـيْـفَ رَأَيْـتَ الـخَـيْـرَ أَدْبَـرَ عَـنْـهُـمُ وَولَّـى كَـإِدْبَـارِ الـنَّـعَـامِ الـجَـوافِـلِ

فقال لهم عليّ عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجَزِعْتُمْ فأسأتم الجزعَ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذِرُنا به. فقال عليّ عليه السلام: أتردون عليّ بين ظَهْرَانَي المسلمين، بلا بَيِّنَةٍ صادقة، ولا حجّة واضحة؟ اخرجوا عني، ولا تجاورونى في بلد أنا فيه أبداً. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولّى النُّعمان بن بشيرٍ حِمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

أخبرني عَمِّي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائني عن عبد الأعلى القرشيّ قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه. فقال له رَوْح بن زِنباع: قول كعب بن مالك: [الكامل]

نَـصِلُ الـسُّـيُوفَ إذا قَـصُـرْنَ بِـخَطْـوِنـا قِـدْمـاً وَنُـلْـحِـقُـهـا إذا لَـمْ تَـلْـحَـقِ

فقال له معاوية: صدقت.

[بعض أخبار والده مالك بن أبي كعب]

وأما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يُغَنَّى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

صوت

[الطويل]

أَلاَ فَـرَّ عَـنِّـي مَـالِـكُ بْـنُ أَبـي كَـعْـبِ لَـعَـمْـرُ أَبـيـهـا لا تَـقُـولُ حَـلِـيـلَـتِـي:

وَهُمْ يَضْرِبونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الأَبْطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ[١]

الشعر لمالك بن أبي كعب، والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهِشاميّ، وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى، جميعاً عن الهِشاميّ، وزعم ابن المكيّ أن خفيف الثقيل هو لحن مالك.

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر، يقال له بَرْذَع بن عديّ.

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصميّ عن عيينة بن المِنهال، ونسخْته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأخفش: أن رجلاً من طَيِّىء قدمَ يثرب بإبل له يبيعها، فنزل في جوار بَرذع بن عديّ أخي بني ظَفَر، فباع إبله، واقتضى أثمانها، وكان مالك بن أبي كعب بن القَين أخو بني سَلِمة، اشترى منه جملاً، فجعله ناضحاً، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله، وحضر شخوص الطائيّ، فشكا ذلك إلى برذع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله، أو يرده عليه، فلم يجدا مالكاً في منزله، ووجدا الجمل باركاً بالفناء، فبعثه برذع، وقال للطائيّ: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النَّبيت، فأمنا، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده، وبلغ مالكاً ما صنع برذع، فكره أن يَنْشَبَ بين قومه وبين النّبيت حرب، فكف وقد أغضبه ذلك، وجعل يُسَفِّه برذعاً في جراءته عليه وما صنع، فقال برذع بن عديّ في ذلك: [الطويل]

أَمِنْ شَحْطِ دَارٍ مِنْ لُبَابَةَ تَجْزَعُ وَصَرْفِ النَّوى مِمَّا يُشِتُّ ويَجْمَعُ[٢]
وَلَيْسَ بِهَا إلاّ ثَلاثٌ كَأَنَّهَا مُسَفَّعَةٌ أَوْ قَدْ عَلاَهُنَّ أَيْدَعُ[٣]
قَدِ اقْتَرَبَتْ لَوْ كَان فِي قُرْبِ دَارِهَا جَداءٌ ولكن قَدْ تَضَنُّ وَتَمْنَعُ
وكانَ لَهَا بِالمُنْحَنَى وَجنوبِهِ مَصيفٌ وَمشْتًى قَبْلَ ذاكَ وَمَرْبعُ
أَتَاني وَعيدُ الخَزْرَجِيِّ كَأَنَّني ذليلٌ لَهُ عِنْدَ اليَهوديِّ مَضْرَعُ
مَتَى تَلْقَنِي لا تَلْقَ نُهْزَةَ واجِدٍ وَتَعْلَمُ أنِّي في الهَزاهِزِ أَرْوَعُ[٤]

---

(١) كبش القوم: سيّدهم. والبيض: جمع البيضة: الخوذة الحديدة التي تلبس على الرأس في الحرب. والشُّهُب: جمع الشهاب: السنان لما فيه من البريق.
(٢) الشَّحط: البعد.
(٣) المُسَفَّعة: التي علاها سوادٌ وحمرة. والأيدع: الزعفران.
(٤) النُّهزة: الفرصة. والواجد: الحاقد الغاضب. والهزاهِز: الشدائد. والأروع: الشهم الذكيّ.

مَعِي سَمْحَةٌ صفراءُ مِنْ فَرْعِ نَبعةٍ ... وَلَيْنٌ إذا مَسّ الضَّرِيبَةَ يَقْطَعُ
وَمُطَّرِدٌ لَدْنٌ إذا هُزَّ مَتْنُهُ ... مَتينٌ كَخرْصِ الذَّابلاتِ وَأَهْزَعُ(١)
فَلاَ وَإلهِي لا يَقُول مُجَاوِري ... ألاَ إنَّني قَدْ خانَنِي اليَوْمَ بَرْذَعُ
وَأَحْفَظُ جَاري أنْ أُخَاتِلَ عِرْسَهُ ... وَمَوْلاَيَ بالنَّكراءِ لا أتَطَلَّعُ(٢)
وَأَجْعَلُ مالِي دُونَ عِرضِيَ إنَّهُ ... عَلَى الوُجْد والإعْدَام عِرضٌ مُمَنَّعُ
وَأَصْبرُ نَفْسِي في الكَرِيهَةِ إنَّهُ ... لِذِي كُلِّ نَفْسٍ مُسْتَقَرٌّ وَمَصْرَعُ
وَإنِّي بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ خَزْيَةٍ أتَقَنَّعُ

فأجابه مالك بن أبي كعب، فقال:

صوت

[البسيط]

هَلْ لِلْفُؤادِ لَدَى شَنْباءَ تَنْوِيلُ ... أمْ لاَ نَوالٌ فَإعْرَاضٌ وَتَخْمِيلُ(٣)
إنَّ النِّسَاءَ كَأشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعاً ... مِنْهُنَّ مُرٌّ وَبَعْضُ المُرِّ مَأْكُولُ
إنَّ النِّسَاءَ وَلَوْ صُوِّرْنَ مِنْ ذَهَبٍ ... فيهنَّ مِنْ هَفَواتِ الجَهْلِ تَخْبيلُ(٤)

الغناء لسليم، هَزَج بالوسطى عن الهشاميّ وبذل.

إنَّكَ إنْ تَنْهَ إحْدَاهُنَّ عَنْ خُلُقٍ ... فَإنَّهُ واجِبٌ لا بُدَّ مَفْعولُ
وَنَعْجةٍ مِنْ نِعَاجِ الرَّمْلِ خَاذِلَةٍ ... كَأنَّ مَأقِيهَا بالحُسْنِ مَكْحُولُ
وَدَّعْتُها في مُقَامي ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: ... حَيّاكِ رَبُّكِ إنِّي عَنْكِ مَشْغُولُ
وَلَيلةٍ مِنْ جُمادَى قَدْ شَرِبْتُ بِهَا ... وَالزِّقُّ بيني وبينَ الشَّرْجِ مَعْدولُ(٥)
ومُرْجَحِنٍّ عَلَى عَمْدٍ دَلَفْتُ بِهِ ... كَأنَّهُ رَجُلٌ في الصَّفِّ مَقْتولُ(٦)
وَلا أَهَابُ إذا ما الْحَرْبُ حَرَّشَها الْـ ... أبْطالُ واضْطَرَبَتْ فيها البَهَالِيلُ(٧)

---

(١) اللّدن: اللّيّن من كل شيء. والخرص: الرمح القصير السنان. والذابلات: الرماح الدقيقة. والأهزع: الرمح المهتزّ المضطرب.
(٢) أخاتل: أخادع. والعِرس: الزوجة.
(٣) الشنباء: التي أسنانها بيضاء رقيقة.
(٤) التخبيل: الجنون.
(٥) الشرج: مسيل الماء من الحرّة إلى السهل.
(٦) المرجَحِنّ: المهتزّ.
(٧) حَرَّشها: أثارها. والبهاليل: جمع البهلول: السيد الجامع لكل خير.

أمضِي أَمَامَهُمُ والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ قُدْماً إذا ما كَبَا فيها التَّنابيلُ[١]
عَلَيَّ فَضْفاضَةٌ كالنِّهي سَابِغَةٌ وصَارِمٌ مثلُ لَوْنِ المِلْحِ مَصْقُولُ[٢]
وَلُدْنَةٌ في يَدِي صَفْراءُ ثَعْلَبُها بِعَامِلٍ كَشِهَابِ النَّارِ مَوْصولُ[٣]
إنّي مِنَ الخزرجِ الغُرِّ الَّذينَ هُمُ أَهْلُ المَكَارِمِ لا يُلْفَى لَهُمْ جيلُ
في الحَرْبِ أَنْهك مِنْهُم للعَدوِّ إذا شُبَّتْ وَأَعْظَم نَيلاً إنْ هُمُ سِيلُوا
أَشْبَهْتُ مِنْ وَالِدِي عِزّاً ومَكْرُمَةً وَبرذعٌ مُذْغَمٌ في الأَوْسِ مَجْهُولُ
نُبِّئْتُهُ يَدَّعي عِزّاً ويُوعِدُني نُوْكاً وعندي لَهُ بالسَّيْفِ تَنْكيلُ

قال: ثم إن مالك بن أبي كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينا هو يمشي وحده، إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر، فلمَّا رأوا مالكاً أقبلوا نحوه، فَبدرهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف، فقام عليه، وأخذ في يده أحجاراً، وأقبلوا حتى دنوا منه، فشاتموه وراموه بالحجارة، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه، كأنه يستبطىء ناساً، فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه فقال مالك بن أبي كعب في ذلك: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبيها لا تَقُولُ حَليلتي: ألاَ فرَّ عَنّي مَالكُ بنُ أَبي كَعْبِ
أُقَاتِلُ حَتَّى لا أَرَى لي مُقَاتِلاً وَأَنْجُو إذا غُمَّ الجَبَانُ مِنَ الكَرْبِ
أَبى لِيَ أَنْ أُعْطَى الصَّغَارَ ظُلامَةً جدودي وآبائي الكِرامُ أُولو السَّلْبِ
همُ يَضْرِبونَ الكبشَ يَبْرقُ بيضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ
وَهُمْ أَورثوني مَجْدَهُمْ وَفَعالَهُمْ فَأُقْسِمُ لا يُزْرِي بِهِمْ أَبَداً عَقْبي

ويروَى: لا يُخْزيهمُ.

وَأَرْعَى لِجَارِي مَا حَييتُ ذِمَامَهُ وَأَعْرِفُ مَا حَقُّ الرَّفيقِ عَلَى الصَّحْبِ
وَلاَ أُسمِعُ النَّدْمَانَ شَيْئاً يَريبُهُ إذا الكَأْسُ دَارَتْ بالمُدَام عَلَى الشَّرْبِ
إذا ما اعْتَرَى بَعْضُ النَّدامَى لِحَاجةٍ فَقَوْلي لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَفي الرَّحْبِ

(١) مكتنع: حاضر قريب. والتنابيل: جمع التنبال: الجبان اللئيم.
(٢) الفضفاضة: يريد الدرع الواسعة، والنِّهْيُ: الغدير.
(٣) الثعلب: طرف الرمح الداخل في أسفل السنان.

إذا أَنـفَـدُوا الـزِّقّ الـرَّوِيَّ وَصُـرِّعُـوا نَشَاوَى فَلَمْ أَقْنَعْ بِقَوْلِهِم: حَسْبي
بَـعَـثْـتُ إلـى حَـانُـوتِـهَـا فَـاسْـتَـبَـأْتُـهَـا بِغَيْرِ مِكاسٍ في السَّوامِ وَلاَ غَصْبِ[1]
وَقُـلْـتُ: اشْـرَبـوا رِيًّا هـنـيـئـاً فَـإِنَّـهَـا كَمَاءِ القَليبِ في اليَسَارَةِ والقُرْبِ[2]
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالسَّدِيفِ وَعِنْدَهُمْ قِيَانٌ يُلَهِّينَ المَزَاهِرَ بالضَّرْبِ[3]
فَإِنْ يَصْبِروا لِيَ الدَّهْرَ أَصبِرْهُمْ بِهَا وَيَرْحُبْ لَهُمْ باعِي وَيَغْزِرْ لَهُمْ شِرْبي
وَكَان أَبي فِي المَحْلِ يُطْعِمُ ضَيْفَهُ وَيُروِي نَدَامَاهُ وَيَصبِرُ في الحَرْبِ
وَيَـمْـنَـعُ مَـوْلاهُ وَيُـدْرِكُ تَـبْـلَـهُ وَلَوْ كانَ ذاكَ التَّبْلُ في مَرْكَبٍ صَعْبِ[4]
إذا مـا مَـنَـعْـتُ الـمَـالَ مِـنْـكُـمْ لِـثَـرْوَةٍ فَلاَ يَهْنَنِي مَالي وَلاَ يَنْمُ لِي كَسْبي

وقد رُويَ أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، وذُكر له خبر في ذلك.

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حَدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حَدَّثنا العُمَريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبي، قال: كان رجل من مُراد يُكْنَى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكاً، وبنت يقال لها طُرَيْفة، فزوّج ابنه مالكاً امرأة من أرحب، فلم تزلْ معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبيّة لمالك: إني قد اشتقتُ إلى أهلي ووطني، ونحن ها هنا في جدبٍ وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، وشَمْلنا أجمع؛ فأطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمرَّ بحيّ كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، وقالوا له: استسْلم وسلم الظَّعينة[5]. فقال: أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا، وقاتلهم حتى صُرِعَ، فقال وهو يجود بنفسه: [الطويل]

لَـعَـمْـرُ أَبـيـهـا لا تَـقُـول حَـلـيـلَـتِـي أَلاَ فَـرَّ عَـنِّـي مَـالِـكُ بْـنُ أَبـي كَـعْـبِ

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

(١) سَبأ الخمر: اشتراها ليشربها. والمِكاس: المساومة لتبخيس الثمن.
(٢) القليب: جبل الشربة، وهو موضع بعينه (معجم البلدان ٤: ٣٩٤).
(٣) السّديف: شحم حدبة الجمل. والمزاهر: جمع المزهر: العود.
(٤) التَّبْل: الحقد والعداوة.
(٥) الظعينة: الرَّاحلة أو الهودج والنساء بداخله.

قال مؤلّف هذا الكتاب: وأحسب هذا الخبر مصنوعاً، وأن الصحيح هو الأول.

❁ ❁ ❁

صوت

[البسيط]

خُيِّرْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الحَزْمِ بَيْنَهُمَا إِمَّا الضَّيَاعُ وَإِمَّا فِتْنَةٌ عَمَمُ
فَقَدْ هَمَمْتُ مِراراً أَنْ أَسَاجِلَهُمْ كَأْسَ المَنِيَّةِ لَوْلاَ اللهُ وَالرَّحِمُ

الشعر لعيسى بن موسى الهاشميّ، والغناء لمتيّم الهاشمية، خفيف رمَل، من روايتي ابن المعتز والهشاميّ.

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

[١٠٢ - ١٦٧ هـ/ ٧٢١ - ٧٨٣ م]

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب. وأمّه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد.

وعيسى ممن وُلد ونشأ بِالحُمَيمة[١] من أرض الشام، وكان من فحول أهله وشجعانهم، وذوي النجدة والرأي والبأس والسُّؤدَد منهم. وقبل أن أذكر أخباره، فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له، إذ كان الشعر ليس من شأنه، ولعلَّ منكِراً أن ينكر ذلك إذا قرأه.

أخبرني حبيب بن نصرِ المُهَلَّبي وعمّي قالا: حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد. ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما روياه؛ فوجدته موافِقاً.

قال ابن أبي سعد: حَدَّثني عليّ بن النطاح قال: حَدَّثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال: لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، وبايع للمهدي، قال عيسى بن موسى: [البسيط]

خُيِّرْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الحَزْمُ بَيْنَهُمَا ... إِمَّا صَغَارٌ وإِمَّا فِتْنَةٌ عَمَمُ
وَقَدْ هَمَمْتُ مِراراً أَنْ أُسَاقِيَهُمْ ... كَأْسَ المَنِيَّةِ لَوْلا اللهُ والرَّحِمُ
وَلَوْ فَعَلْتُ لَزَالَتْ عَنْهُمُ نِعَمٌ ... بِكُفْرِ أَمْثَالِهَا تُسْتَنْزَلُ النِّقَمُ

---

(١) الحميمة: بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان (معجم البلدان ٢: ٣٠٧).

على هذه الرواية في الشعر، رَوَى من ذكرت. وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف في الألفاظ يُغَنَّى.

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشميّ قال: أنشدني ابن بُرَيهة المنصوريّ هذه الأبيات، وحَكَى أن ناقداً خادم عيسى كان واقفاً بين يديه ليلةَ أتاه خبر المنصور وما دبَّره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فِراشه ويُهَمْهِمُ، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى، شفقة عليه.

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم: وحدَّثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحيم قال: حدّثتني كلثم بنت عيسى قالت: قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأني دخلت بستاناً، فلم آخُذْ منه إلاَّ عنقوداً واحداً، عليه من الحَبِّ المُرَصَّفِ ما الله به عليم، فوُلِدَ له عيسى بن موسى، ثم وُلِدَ لعيسى مَنْ قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدّثني عليّ بن مسلم الهاشميّ قال: حدّثني عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن مالك، مولى عيسى بن موسى، قال: حدّثني أبي قال: كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحِيرة، فأرسل إليّ ليلة من الليالي، فأخرجني من منزلي، فجئت إليه، فإذا هو جالس على كرسيّ، فقال لي: يا عبد الرحمن، لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قطُّ إلا ليلةَ بالحُمَيْمَة والليلة، فانظر ما هو. فدخلت أستقري الصوت، فإذا هو في المطبخ، وإذا الطبّاخون قد اجتمعوا، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرت العود، وأخرجت الرجل، وعُدْت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قطُّ إلا تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلَته هذه.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسِيّ، قالا: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن المنذر، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عُروة، عن أبيها، قال: كان عيسى بن موسى إذا حَجَّ، يحُجُّ ناسٌ كثير من أهل المدينة: يتعرَّضون لمعروفه فيصلهم، قالت: فمرَّ أبي بأبي الشدائد الفزاريّ، وهو ينشد بالمُصَلَّى:

[الرجز]

* عـصـابَـةٌ إنْ حَـجَّ عِـيـسـى حَـجُّـوا *

* وَإِنْ أَقَـامَ بِـالـعِـرَاقِ دَجُّـوا[1] *
* قَـدْ لَـعِـقُـوا لُـعَـيْـقَـةً فَـلَـجُّـوا *
* فَـالْـقَـوْمُ قَـوْمٌ حَـجُّـهُـمْ مُـعْـوَجُّ *
* مَـا هـكـذا كَـانَ يَـكُـونُ الـحَـجُّ *

قال: ثم لَقِيَ أبو الشَّدائد بعد ذلك أبي، فسلّمَ عليه، فلم يردد عليه، فقال له: ما لك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ؟ فقال: ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد: [الرجز]

* إِنِّـي وَربِّ الـكَـعْـبـةِ الـمَـبْـنِـيَّـهْ *
* واللهِ مـا هَـجَـوْتُ مِـن ذِي نِـيَّـهْ *
* ولا امْـرِىءٍ ذي رِعَـةٍ نَـقِـيَّـهْ *[2]
* لـكِـنَّـنـي أُزرِي عَـلَـى الـبَـرِيَّـه *
* مِـنْ عُـصْـبَـةٍ أَغْـلَـوا عَـلَـى الـرِّعِـيَّـهْ *
* بِـغَـيْـرِ أَخْـلاقٍ لَـهُـمْ سَـرِيَّـهْ *

❀ ❀ ❀

صوت

[مجزوء الرجز]

أَثَـارُ رَبْـعٍ قَـدُمَـا ... أَعْـيَـا جَـوابـاً صَـمَـمَـا
سَـحَّـتْ عَـلَـيْـهِ دِيـمٌ ... بِـمَـائِـهَـا فَـانْـهَـدَمَـا
كَـانَ لِـسُـعْـدَى عَـلَـمـاً ... فَـصَـارَ وَحْـشـاً رِمَـمـا
أَيَّـامَ سُـعْـدَى سَـقَـمٌ ... وَهْـيَ تُـداوي الـسَّـقَـمَـا

الشعر للرَّقاشيّ، والغناء لابن المكيّ رَمَل بالوُسْطى، عن عَمرو بن بانة.

---

(١) دَجُّوا: ساروا سيراً ثقيلاً.
(٢) الرِّعَة: الشأن.

أخبار الرقاشي ونسبه

[اسمه ونسبه وانقطاعه إلى آل برمك]

هو الفضل بن عبد الصَّمد مَوْلى رقاشٍ وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر، نقيّ الكلام، وقد ناقض أبا نواس، وفيه يقول أبو نواس: [الوافر]

وَجَـدْنَـا الـفَـضْـلَ أَكْـرَمَ مِـنْ رِقَـاشٍ لأَنَّ الـفَـضْـلَ مَـوْلاَهُ الـرَّسُـولُ

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، وذهب أبو نواس إلى قول النبيﷺ: **«أنا مولى من لا مولى له»**.

وذكر إبراهيم بن تميم، عن المعلَّى بن حُمَيد: أنَّ الرقاشيّ كان من العجم، من أهل الريّ.

وقد مدح الرقاشيّ الرشيدَ وأجازه، إلا أن انقطاعه كان إلى آل بَرْمَكَ، فأغنَوه عن سواهم.

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال: حدّثني أبي، قال: كان الفضل الرقاشيّ منقطعاً إلى آل بَرْمَك، مستغنياً بهم عن سواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويُرَوُّونَ أولادَهم أشعاره، ويُدَوِّنون القليل والكثير منها، تعصّباً له، وحفظاً لخدمته، وتنويهاً باسمه، وتحريكاً لنشاطه، فحفِظَ ذلك لهم، فلمّا نُكِبُوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدّة أيامهم، ينشدهم، ويسامِرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط، حتى نَشَر منها ما كان مطوياً، وأذاع منها ما كان مستوراً؛ وجرى على شاكلته بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم. ثم

انقطع إلى طاهر[1] وخرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات.

وكان مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً، متهاوناً بمروءته ودينه، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة، وهي التي أوّلها: [الرجز]

أَوْصَى الرَّقَاشِيُّ إِلَى إِخْوانِهِ وَصِيَّةَ المَحْمُودِ في نُدْمَانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخطّ الجاحظ في شعر أبي نعامة، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشيّ.

وقال عبد الله بن المعتز: حدّثني ابن أبي الخنساء، عن أبيه قال: لمَّا قال أبو دُلَف:

صوت

نَاوِلِينِي الرُّمْحَ قَدْ طَا لَ عَنِ الحَرْبِ جَمَامِي[2]
مَرَّ لِي شَهْرانِ مُذْ لَمْ أَرْمِ قَوْماً بِسِهَامِي

قال الرّقاشِيّ يعارضه: [مجزوء الرمل]

جَنِّبِينِي الدّرعَ قَدْ طَا لَ عَنِ القَصْفِ جَمامِي
واكْسِرِي المِطْرَدَ والبَيْـ ـضَ وَأَثْنِي بِالحُسَامِ[3]
واقْذِفي في لُجَّةِ البَحْـ ـرِ بِقَوْسِي وَسِهَامِي
وَبِتُرسِي وَبِرُمحِي وَبِسَرْجِي وَلِجَامِي
فَبِحَسْبِي أَنْ تَرَيْنِي بَيْنَ فِتيانٍ كِرَامِ
سَادَةٍ نَغْدو مُجِدّيـ ـنَ عَلَى حَرْبِ المُدامِ
واصْطِفاقِ العُودِ والنَّا يَاتِ في جَوْفِ الظَّلامِ
هَزْم أرْواحِ دِنَانٍ لَمْ نَنَلْهَا باصْطِلامِ

(١) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي أبو الطيّب، من كبار القوّاد وهو الذي وَطّدَ الملك للمأمون. (ت ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م) (ترجمته في: وفيات الأعيان ١: ٢٣٥، وتاريخ بغداد ٩: ٣٥٣، والنجوم الزاهرة ٢: ١٤٩).

(٢) الجَمام: الراحة.

(٣) المِطْرَد: الرمح القصير.

نَــــهْــــزِمِ الـــرَّاحَ إذا مَـــا هَـــمَّ قَـــوْمٌ بـــانْـــهِـــزَامِ
ثُـــمَّ خَـــلِّ الـــضَّـــرْبَ وَالـــطَّــعْـــ نَ لأجْـــســـادٍ وَهَـــامِ
لِـــشَـــقِـــيٍّ قَـــالَ: قَـــدْ طَـــا لَ عَـــنِ الـــحَـــرْبِ جَـــمَـــامِـــي

[رثاؤه للعباس البرمكي ولجعفر البرمكي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال: تُوُفِّيَ العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلد[1]، والرشيد بالرُّصافة، في يوم جمعة، فأخرجتْ جنازته مع العصر، وحضر الرشيد والأمين، وأُخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان[2]، وفرش للرشيد في مسجد هناك، وجاء الرشيد في الحِلق[3] بالأعلام والحراب، فصلَّى عليه، ووقف على قبره حتى دفن؛ فلمّا خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر، قَبَّلا يد الرشيد، وسألاه الانصراف، فقال: لا، حتى يُسَوَّى عليه التراب، ولم يزلْ قائماً حتى فُرِغَ من أمره، وعَزَّاهما وأمرهما بالركوب، فقال الرَّقاشيّ يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك: [الطويل]

أَتَحْسِبُنِي بَاكَرْتُ بَعْدَكَ لَذَّةً أَبَا الفضلِ أَوْ رَفَّعْتُ عَنْ عَاتِقٍ سِترا
أوِ انْتَفَعَتْ عَيْنَايَ بَعْدُ بِنظْرَةٍ أَوَ آدْنيتُ مِنْ كَأسٍ بِمَشْمُولَةٍ ثَغْرا
جَفَانِي إذَنْ يَوْماً إلى اللَّيْلِ مُؤنِسِي وَأَضْحَتْ يَمِيني مِنْ ذَخائِرِهَا صِفْرا
ولكنَّني اسْتَشْعَرْتُ ثَوْبَ اسْتِكَانَةٍ وَبِتُّ كَأَنَّ المَوْتَ يَحْفِرُ لِيَ قَبْرا

غَنَّى في الأول والثاني من هذه الأبيات الزّفّ، ثانيَ ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى، وفيه ثقيل أوّل مجهول، أحسبه لبعض جواري البرامكة، وفيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل، عن عبد الله بن موسى.

ومن ذلك قوله في جعفر: [البسيط]

كَمْ هَاتِفٍ بِكَ مِنْ بَاكٍ وَبَاكِيَةٍ يا طِيبَ لِلضَّيْفِ إذْ تُدْعَى وَلِلْجَارِ
إنْ يُعْدَمِ القَطْرُ كُنْتَ المُزْنَ بَارِقُهُ لَمْعُ الدَّنَانِيرِ لا مَا خَيَّلَ السَّارِي

(١) الخُلد: قصر بناه المنصور ببغداد بعد فراغه من مدينته على شاطىء دجلة (معجم البلدان ٢: ٣٨٢).
(٢) البَرَدان: من قرى بغداد وهي من نواحي دُجيل (معجم البلدان ١: ٣٧٥).
(٣) الحَلِق: جمع الحلقة: الجماعة من الناس الذين يصطفّون كالحلقة.

وقوله: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا بِالمَوْتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى ... إذا لَمْ تُصِبْهُ في الحَيَاةِ المَعَايِرُ
وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وَإِنْ كَانَ سَالِمَاً ... بِأَسْلَمَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحدِثُ الدَّهْرُ جَازِعاً ... فَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ يُرَى وَهْوَ صَابِرُ
وَلَيْسَ لِذي عَيْشٍ عَنِ المَوْتِ مَقْصَرٌ ... وَلَيْسَ عَلَى الأَيَّامِ والدَّهْرُ غابِرُ
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَديدٍ إِلى البِلى ... وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً إِلى اللهِ صائِرُ
فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللهُ عَنِّي جَعْفَراً ... بِرُوحي وَلَوْ دَارَتْ عَلَيَّ الدَّوَائِرُ
فَآلَيْتُ لا أَنْفَكُّ أَبْكِيكَ مَا دَعَتْ ... عَلَى فَنَنٍ وَرْقَاءُ أَوْ طَارَ طَائِرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز: أن الرقاشيّ الشاعر فَنِيَ في حُبِّ البرامكة حتى خِيفَ عليه.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حَدَّثني أبي عن أبي عكرمة، قال: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني، أنه لمَّا دارت الدوائر على آل برمك، وأُمِرَ بقتل جعفر بن يحيى وصُلِبَ، اجتاز به الرَّقاشي الشاعر وهو على الجِذْعِ، فوقف يبكي أَحَرَّ بكاء، ثم أنشأ يقول: [الوافر]

أَمَا وَاللهِ لَوْلاَ خَوْفُ وَاشٍ ... وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لا تَنَامُ
لَطُفْنَا حَوْلَ جِذعِكَ واسْتَلَمْنَا ... كَمَا لِلنَّاسِ بالحَجَرِ اسْتِلامُ
فَمَا أَبْصَرْتُ قَبْلَكَ يابْنَ يحيى ... حُسَاماً قَدَّهُ السَّيْفُ الحُسَامُ
عَلَى اللَّذَاتِ والدُّنيَا جَميعاً ... وَدَولَةِ آلِ بَرْمَكٍ السَّلامُ

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: وكم كان يُجْرِي عليك؟ قال: ألفَ دينار في كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف، قال: حدّثنا الرياشيّ قال: كان الفضل الرَّقاشيّ يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرّقوا في

طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمرَّ الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلاً، ثم استعبر وقال: [الكامل]

لَولا التَّطَيُّرُ قُلْتُ غَيَّرَكُمْ ريبُ الزَّمَانِ فَخُنْتُمُ عَهْدي
دَرَسَتْ مَعَالِمُ كُنْتُ آلَفُهَا مِنْ بَعْدِكُمْ وَتَغَيَّرَتْ عِنْدِي

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم قال: حَدَّثني أبو هِفان، عن يوسف بن الدّاية قال: كان أبو نواس والفضل الرقاشيّ جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاء نجلاء، زجَّاء دعجاء، كأنها خُوط بان، أو جَذْل عِنان[1] فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشيّ: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أوَ تعرفها؟ قال: لا والله، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

صِفَاتٌ وَظَنٌّ أَوْرَثَا القَلْبَ لَوْعَةً تَضَرَّمُ فِي أَحْشَاءِ قَلْبٍ مُتَيَّمِ
تُمَثِّلُها نَفْسِي لِعَيْنِي فَأَنْثَنِي إِلَيْهَا بِطَرْفِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ
يُحَمِّلُني حُبِّي لَهَا فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الشَّوْقِ دأبَ الحَائِرِ المُتَقَسِّمِ

❀ ❀ ❀

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حَدَّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال: قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرؤوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً وفلاناً قد اشترياها، ودخلا بستان ابن بَزِيع، فخرج يُحْضِر خوفاً من فوتهما، فوجدهما قد لَوَّحَا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثَّلَ قول الرَّقاشِيّ: [مجزوء الرجز]

آثَارُ رَبْعٍ قَدُمَا أَعْيَا جَوابِي صَمَمَا

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولىً لكندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجري ذكرها ههنا.

---

(١) الدَّعجاء: التي في عينيها شدة سواد وشدة بياض. والخوط: الغصن الناعم. والجدل: الصلب. والعِنان: الحبل.

أخبار ابن درّاج الطُّفَيلي

[تطفّله وقناعته بلذّة حياته]

أخبرني الجوهريّ عن ابن مهرويه، عن أبيه قال: قيل لعثمان بن دراج: أتعرف بستان فلان؟ قال: إي والله، وإنه للجنة الحاضرة في الدّنيا. قيل له: فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمضُ إلاّ بدماء عراقيبِ الرجال.

أخبرني الجوهريّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرّاني قال: كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابيّ، أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويْحكَ! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأَضَنُّ بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبة في كلّ يوم، فالزمني وكن مدعوّاً أصلح لك مما تفعل. فقال: رحمك الله أين يُذْهب بك؛ فأين لذّة الجديد، وطِيب التّنقّل كلّ يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت ذاك، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فِئَة[1] لك. قال: أما هذا فنعم.

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابيَّ مولاة له، فقالت: جُعِلْتُ فِداك. زوَّجتُ ابنتي من ابن عمّ لها، ومنزلي بين قوم طُفَيليين، لا آمنهم أن يهجموا عليّ، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوَجِّهْ معي بمن يمنعهم. فقال: نعم، هذا

(١) الفيئة: المرجع.

أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد. فقال: مُرِّي بين يَديّ، وقام وهو يقول: [الكامل]

ضَجَّتْ تَميمٌ أنْ تُقَتَّلَ عامِرٌ يَوْمَ النِّسارِ فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ[1]

قال: وقال الخطابي هذا لابن درّاج: كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يُدْخلوك؟ قال: أنوحُ على بابهم، فيتطيّرون بذلك، فيدخلوني.

قال: وقال له رجل: ما هذه الصّفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القَصْفين، ومن خوفي كل يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد: أن ابن دراج صار إلى باب عليّ بن زيد، أيام كان يكتب للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال: ليس هذا وقتك، قد رأيتَ القواد يُحْجبون، فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم، لأنه يحبُّ أن يراني، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له. فبينا هما على ذلكَ إذ خرج عليّ بن زيد، فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب، فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد، ما أهديت إليّ من النوادر؟ قال: مَرَّت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول: بك يذهبون إلى بيت لا فرشَ فيه ولا وِطاء[2]، ولا ضيافة ولا غطاء؛ ولا خبز فيه ولا ماء. فقال لي ابني: يا أبة، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة. فقلت له: وكيف ويلَك! قال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحكَ عليّ وقال: قد أمرت لك بثلاث مئة درهم. قال: قد وفَّرَ الله عليك نصفها على أن أتغدَّى معك. قال: وكان عثمان مع تطفيله أشرةَ النَّاسِ، فقال: هي عليك مُوَفَّرة كلّها، وتتغدّى معنا.

وعثمان بن دراج الذي يقول: [مجزوء الكامل]

لَذَّةَ التَّطْفيلِ دُومِي وَأقِيمِي لا تَرِيمِي
أنْتِ تَشْفِينَ غَلِيلِي وَتُسَلِّينَ هُمُومِي

---

(١) النِّسار: جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بن تميم (معجم البلدان ٥: ٢٨٣) والصيلم: السيف.

(٢) الوِطاء: ما يُفترَش.

عود إلى الرقاشي:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العكليّ قال: دخل الرقاشيّ على بعض أمراء الصدقة، فقال له: قد أصبح خِضابك قانياً. قال: لأنّي أمسيت له معانياً. قال: وكيف تفعله؟ قال: أنْعِمُ الحناء عجناً، وأجعل ماءه سخناً، وأُرَوِّي شَعْري قبله دُهْناً، فإن بات قَنَا، وإن لم يفعل أغنى.

❁ ❁ ❁

صوت

مَنْ لِعَيْنٍ رَأَتْ خَيَالاً مُطِيفَا ... واقِفاً هكذا عَلَيْنَا وُقُوفَا
طَارِقاً مَوهِناً أَلَمَّ فَحَيَّا ... ثُمَّ وَلَّى فَهَاجَ قَلْباً ضَعِيفاً
لَيْتَ نَفْسِي ولَيْتَ أَنْفُسَ قَوْمِي ... يا يزيدَ النَّدى تَقِيكَ الحُتُوفَا
عَتَكِيٌّ مُهَلَّبِيٌّ كَرِيمٌ ... حَاتِمِيٌّ قَدْ نالَ فَرْعاً مُنِيفَا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي، والغناء لعبد الرحيم الرفّ، خفيف رملٍ بالوسطى، عن عمرو.

أخبار رَبيعة الرّقّي ونسبه

[توفي ١٩٨ هـ/ ٨١٣ م]

[اسمه ونسبه ومدحه للمهدي]

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ، ويكنى أبا شَبابة. وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان ينزل الرَّقة، وبها مولده ومنشؤه، فأشخصه المهديّ إليه، فمدحه بعدّة قصائد، وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنّما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته، بُعده عن العِراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء، وعلى ذلك فما عدِمَ مفضِّلاً لشعره، مقدِّماً له.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا محمد بن داود، عن ابن أبي خَيْثمة عن دِعبل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط؟. قال: أشعرنا أَسْيرنا بيتاً. قلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقيّ الذي يقول: [الطويل]

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ في النَّدَى ... يَزِيدُ سُلَيْمٍ والأَغَرُّ ابْنُ حَاتِمِ

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبيّ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يَزِيدُ سُلَيمٍ سَالِمُ المَالِ والفَتَى ... أَخُو الأزْدِ لِلأَمْوالِ غَيْرُ مُسَالِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأزْديِّ إتْلاَفُ مالِهِ ... وَهَمُّ الفَتَى القَيْسيِّ جَمْعُ الدَّراهِمِ
فَلاَ يَحْسَبِ التَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ ... ولكنَّني فَضَّلْتُ أَهْلَ المَكَارِمِ
فَيَا ابْنَ أُسَيدٍ لا تُسَام ابْنَ حَاتِمٍ ... فَتَقْرَعَ إنْ سَامَيْتَه سِنَّ نَادِمِ
هُوَ البَحْرُ إنْ كَلَّفْتَ نَفْسَكَ خَوْضَهُ ... تَهَالَكْتَ في مَوْجٍ لَهُ مُتَلاَطِمِ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مِهرويه، قال: حَدَّثني أسَيد بن خالد الأنصاريّ؛ قال: قلت لأبي زيد النحويّ: إن الأصمعي قال: لا يقال: شَتَّانَ ما بينهما، إنما يقال: شَتّان ما هما، وأنشد قول الأعشى:

* شَـتَّـانَ مـا يـومـي عَـلَـى كُـورِهـا *

فقال: كذب الأصمعيُّ، يقال: شتان ما هما، وشتان ما بينهما، وأنشدني لربيعة الرقيّ، واحتجَّ به: [الطويل]

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدينِ في النَّدَى ... يَـزيـدُ سُـلَـيـمٍ والأَغَـرُّ ابْـنُ حَـاتِـمِ

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ، كفاية له في تفضيله.

وذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربيعة أشعر غزلاً من أبي نواس، لأن في غزل أبي نواس بَرْداً كثيراً، وغزل هذا سَليم سهل عذب.

نسخت من كتابٍ لعمّي: حدّثنا ابن أبي فَنَن قال: اشتهى جَوارِي المهديّ أن يسمعنَ ربيعة الرقيّ، فوجّه إليه المهديّ من أخذه من مسجده بالرقّة، وحُمِلَ على البريد حتى قُدِمَ به على المهديّ، فأُدْخِلَ عليه، فسمع ربيعة حِسّاً من وراء السِّتر، فقال: إنّي أسمع حِسّاً يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يابن اللَّخناء، واستنشده ما أراد، فضحِكَ وضحكنَ منه. قال: وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له: [مجزوء الرمل]

يــا أَمِـيـرَ الـمُـؤْمِـنـيـنَ الـ ... ـلَّـهُ سَـمَّـاكَ الأَمِـيـنَـا
سَـرَقُـونـي مِـنْ بِـلاَدِي ... يَـا أَمـيـرَ الـمُـؤْمِـتِـيـنَـا
سَـرَقُـونـي فَـاقْـضِ فـيـهـم ... بِـجَـزاءِ الـسَّـارِقِـيـنَـا

قال: قد قضيت فيهم أن يردّوكَ إلى حيث أخذوك. ثم أمر به فحُمِلَ على البريد من ساعته إلى الرّقة.

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً: [الوافر]

يَـزيـدَ الأَزْدِ إنَّ يَـزِيـدَ قَـوْمِـي ... سَـمِـيُّـكَ لا يَـجُـودُ كَـمَـا تَـجُـودُ
يَـقُـودُ جَـمَـاعَـةً وَتَـقُـودُ أُخْـرَى ... فَـتَـرزُقُ مَـنْ تَـقُـودُ ومَـنْ يَـقُـودُ

فَمَا تِسعُونَ يَحقِرُهَا ثَلاثٌ ... يقيمُ حِسَابَهَا رَجُلٌ شَديدُ
وَكَفٌّ شَثْنَةٌ جُمِعَتْ لِوَجْءٍ ... بِأَنْكَدَ مِنْ عَطَائِكَ يَا يزيدُ[1]

[الرشيد يغضب على العباس بن محمد بسبب ربيعة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: امتدح ربيعة الرقيّ العباسَ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يُسْبَقْ إليها حُسْناً، وهي طويلة يقول فيها:

صوت

[الكامل]

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَابْنَ مُحَمَّدٍ ... قُلْ: (لا) وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
مَا إِنْ أَعُدُّ مِنَ المَكَارِمِ خَصْلَةً ... إلاَّ وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا
وَإِذَا المُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلْدَةٍ ... كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلاَلَهَا
إنَّ المَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً ... حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتَيْكَ عِقَالَهَا

في البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم. ويقال إنه للحسين بن محرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجَنُّ غيظاً، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن تردَّ الرقعة من حيث لا يدري العباس؛ ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

[الوافر]

مَدَحْتُكَ مِدْحَةَ السَّيْفِ المُحَلَّى ... لِتَجْرِيَ فِي الكِرَامِ كَمَا جَرَيْتُ
فَهَبْهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً ... كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وافْتَرَيْتُ
فَأَنْتَ المَرْءُ لَيْسَ لَهُ وَفَاءٌ ... كَأَنِّي إِذْ مَدَحْتُكَ قَدْ رَثَيْتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه. فردَّها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده، يُبَجِّلُهُ

(١) الكفّ الشَّثنة: الخشنة الغليظة. الوَجْءُ: اللَّكز والضرب.

ويقدّمه، وكان قد هَمَّ أن يخطبَ إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرَّقيّ. فأُحْضِرَ، فقال له الرشيد: يا ماصَّ كذا وكذا من أمّه، أتهجو عَمِّي، وآثَر الخلقِ عندي، لقد هممتُ أن أضربَ عنقك. فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغتُ في الثَّناء، وأكثرتُ في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها. فلمّا سمعَ الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأَحَبَّ أن ينظرَ في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكّأ عليه العباس ساعة، فقال له الرشيد: سألتك بِحَقِّ أمير المؤمنين إلاَّ أمرتَ بإحضارها، فعلمَ العباس أنه قد أخطأ وغَلِطَ. فأمر بإحضارها فأُحْضِرَتْ، فأخذها الرَّشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، وأُعْجِبَ بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقدصدق ربيعة وبَرَّ. ثم قال للعباس: كم أَثَبْتَهُ عليها؟ فسكت العباس وتغيَّرَ لونه، وجَرِضَ[1] بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهّمَ الرشيد أنه قال ذلك من الموجِدة[2] على العباس، فقال: بحياتي يا رقيّ، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين. فغضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سَوْءةً لك! أَيَّةُ حالٍ قعدَتْ بك عن إثابته؟ أَقِلَّة المال؟ فوالله لقد مَوَّلْتُكَ جُهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتْ عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك، فلا ذنب لي، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك، حتى فضحتَ أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك. فنكس العباس رأسه ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة، واحمله على بغلة، فلما حُملَ المالُ بين يديه، وأُلبِسَ الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يا رقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هَمَّ به أن يتزوَّجَ إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح.

[عبثه بالعباس بن محمد لهديّة أحضرها للرشيد]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثني أحمد بن أبي فَنَن الشاعر، قال: حَدَّثني من لا أُحصي من الجلساء: أن ربيعة الرقيّ كان لا يزال يعبثُ

(١) جَرِضَ بِريقه: غَصَّ به.
(٢) المَوْجِدة: الغضب.

بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد، العبث الذي يبلغ منه، منذ جرى بينهما في مديحه إيّاه ما جَرَى، من حيث لا يتعلّق عليه فيه بشيء، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد بِبَرْنِيّة فيها غالية[١]، فوضعها بين يديه، ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شِحْر عمان[٢]، ومِسكها من مَفاوز التُّبَّت[٣]، وبانُها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلّها مجموعة فيها، والنعت يَقْصُرُ عنها.

فاعترضه ربيعة، فقال: ما رأيتُ أعجبَ منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند مَنْ إليه كلّ موصوف يُجْلَبُ، وفي سوقه يَنْفُقُ، وبه إليه يُتَقَرَّبُ، وما قَدْر غاليتك هذه، أعزّكَ الله، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت، أأجريت بها إليه نهراً، أم حملت إليه منها وِقراً[٤]! إنَّ تعظيمك هذا عند من تُجبَى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة وتذِلُّ لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة، وتتحفه بِطُرَفِ بُلدانها، وبدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعتِ له ما لا يعرفه، أو خصَصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر هِمّة، أَنشدُكَ الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت حَظِّي من كلِّ جائزة وفائدة توصلها إليّ مدة سنتي هذه الغالية، حتى أتلقاها بِحَقِّها. فقال: ادفعوها إليه، فدُفِعت إليه. فأدخل يده فيها، وأخرج مِلئها، وحَلَّ سراويله، وأدخل يده فطلى بها استه، وأخذ حَفْنة أُخرى، وطلى بها ذَكَرَهُ وأُنثَييه، وأخرج حَفْنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، مر غلامي أن يدخل إليّ، فقال: أدخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنِيَّة غير مختومة، وقال: اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنيّة، وقل لها: طَيِّبي بها حِرَكِ واستك وإبطيك، حتى أجيءَ الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشِيَ عليه، وكاد العباس يموت غيظاً، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألفَ درهم.

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى، أنه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة

---

(١) البرنيّة: إناء من خزف، والغالية: ضرب من العطر.
(٢) شِحْر عُمان: ساحل البحر بين عُمان وعَدَن.
(٣) تُبَّت: بلد بأرض الترك، وقيل: هي مملكة متاخمة لمملكة الصين، ويقال إن ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواعه (معجم البلدان ٢: ١٠).
(٤) الوِقر: الحِمل الثقيل.

في دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم، وكان مبسوطاً في دار العامة بسرّ من رأى، فنسخها منه، وهي قوله:

صوت

[الطويل]

وَتَزْعُمُ أنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ خُلَّةً ... سِواهَا وهذا البَاطِلُ المُتَقَوَّلُ
لَحَا اللهُ مَنْ بَاعَ الصَّديقَ بِغَيْرِهِ ... فَقَالَتْ نَعَمْ حَاشاكَ إنْ كُنْتَ تَفْعَلُ
سَتَصْرِمُ إنْسَاناً إذا مَا صَرَمْتَنِي ... يُحِبُّكَ فَانْظُرْ بَعْدَهُ مَنْ تَبَدَّلُ

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، وإلى إبراهيم بن المهديّ، وفيه لعرِيب رَمَل من رواية ابن المعتز.

[سبب هجائه ليزيد بن أسيد]

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد، أنه زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبيّ، فطَفَّلَ[1] على قضاء دينه وبرّه، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه، وله فيه عِدّة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه في قوله: [الطويل]

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدينِ في النَّدَى ... يزيدُ سليمٍ والأغَرُّ ابْنُ حَاتِمِ

في قصيدة مدح بها يزيدَ بن مَزْيد، وسلَخَ بيت الرقيّ، بل نقله وقال:

[الطويل]

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدينِ في النَّدَى ... إذا عُدَّ في النَّاسِ المَكَارِمُ والمَجْدُ
يَزِيدُ بني شَيبانَ أكْرَمُ مِنْهُمَا ... وَإنْ غَضِبَتْ قَيْسُ بْنُ عَيلانَ والأَزْدُ
فَتًى لَمْ تَلِدْهُ مِنْ رُعَينَ قبيلةٌ ... ولا لَخْمُ تَنْمِيهِ وَلَمْ تَنْمِهِ نَهْدُ
ولكنْ نَمَتْهُ الغُرُّ مِنْ آلِ وَائِلٍ ... وبَرَّةُ تَنْمِيهِ وَمِنْ بَعْدِهَا هِنْدُ

ولم يسِرْ في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داودَ بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال: عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسيد

---

(١) طَفَّل: ترفّق وتلطّف.

الذي هجاه ربيعة جَواريَ، فاختار جاريتين منهن، ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر: [الطويل]

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اليَزيدينِ في النَّدَى يَزيدُ سليمٍ والأغَرُّ ابْنُ حَاتِمِ

فأمر بجر رجله وجواريه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حَدَّثَنا عبد الله بن شبيب قال: لما حَجَّ الرشيد لَقِيَهُ قبل دخوله مكّة رجلان من قريش، فانتسب له أحدهما، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نَهَكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب، ولنا بك رَحِمٌ أنت أولَى من وصلها، وأملٍ أنت أحقّ من صدقه، فما بعدك مطلب، ولا عنك مذهب، ولا فوقك مسؤول ولاَ مثلك مأمول. وتكلّم الآخر، فلم يأتِ بشيء فوصلهما، وفضَّلَ الأول تفضيلاً كثيراً، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل: [الطويل]

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدينِ في النَّدَى يزيدُ سُلَيم والأَغَرُّ ابْنُ حَاتِمِ

قال أحمد بن أبي طاهر: حَدَّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال: لَمَّا هجا ربيعة يزيد بن أُسَيد السُّلميّ وكان جليلاً عند المنصور والمهديّ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شَبَابة، ما حملك على أن هجوتَ رجلاً من قومك، وفضّلتَ عليه رجلاً من الأزد؟ فقال: أُخبرك. أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاّ دارِي، فرهنتها على خمس مِئة درهم، ورحلت إليه إلى أرمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولاً، فوهب لي خمس مئة درهم، فتحمّلتُ وصرتُ بها إلى منزلي، فلم يبقَ معي كبير شيء، فنزلت في دارٍ بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمّي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فأُعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرتُ، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت: [الطويل]

أَرَانِي وَلاَ كُفرانَ للهِ راجِعَا بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ مِنْ يزيدَ بْنِ حَاتِمِ

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري، فبعث خَلْفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ما قلت. فتمنّعتُ، فقال: والله لَتُنشدَنِّي، فأنشدته فقال: والله لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خُفَّيهِ، فنُزِعَا فحشاهما دنانير، وأمر لي بغلمان وجوارٍ وكُساً، أفلا ترى لي أن أَمدَح هذا وأهجو

ذاك! قلت: بلى والله. ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه.

أخبرني الحسن بن عليّ الأدميّ قال: حدّثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسيانيّ قال: حدثني عمي عبد الله بن عباد: أن ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسدِيّ كان يلقّب الغاوي، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة، أَمَة لرجل من أهل قرقيسياء[1]، يقال له ابن مَرَّار، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولّوه مصر، فأصاب بها مالاً عظيماً، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي، ولكن دعني أُواصلها هكذا، فهو أحبّ إليّ.

قال: وقال فيها: [الطويل]

اعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ حَبِيبِكَ عِيدُهُ ... شَوْقٌ عَرَاكَ فَأَنْتَ عَنْهُ تَذُودُهُ
والشَّوْقُ قَدْ غَلَبَ الفُؤادَ فَقَادَهُ ... والشَّوْقُ يَغْلِبُ ذا الهَوَى فَيَقُودُهُ
فِي دارِ مَرَّار غَزَالُ كَنِيسَةٍ ... عَطِرٌ عَلَيْهِ خُزوزُهُ وبُرودُهُ
رِيمٌ أَغَرُّ كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ ... صَنَمٌ يُحَجُّ بِبِيْعَةٍ مَعْبودُهُ[2]
عَيْنَاه عَيْنَا جؤذَرٍ بِصَرِيمَةٍ ... وَلَهُ مِنَ الظَّبْيِ المُرَبَّبِ جِيدُهُ[3]
مَا ضَرُّ عَثْمَةَ أَنْ تُلِمَّ بِعَاشِقٍ ... دَنِفِ الفُؤادِ مُتَيَّمٍ فَتَعُودُهُ
وتَلُدُّهُ مِنْ رِيقِهَا فَلَرُبَّمَا ... نَفَعَ السَّقيمَ مِنَ السَّقام لَدُودُهُ[4]

وهي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، عن أبي بشر الفزاريّ قال: لَقِيَ ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في قَدْمة قَدِمَها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إيّاها راويتُه، فلم يَهَشّ له معن، ولا رضي ربيعة

(١) قرقيسياء: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق (معجم البلدان ٤: ٣٢٨).
(٢) البِيعة: الكنيسة أو بيت العبادة لليهود.
(٣) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والصريمة: القطعة من الليل.
(٤) تلده: تسقيه اللدود، واللّدود: الدواء.

لقاءه إياه وأثابه ثواباً نَزْراً، فرده ربيعة، وهجاه هجاءً كثيراً، فمما هجاه به قوله:

[الخفيف]

مَـعْـنُ يـا مَـعْـنُ يـابْـنَ زائِـدَةِ الـكـلْـ ـبِ الَّـتـي فـي الـذِّرَاعِ لا فِـي الـبـنَـانِ
لا تُـفَـاخِـرْ إذا فَـخَـرْتَ بِـآبَـا ئِـكَ وافْـخَـرْ بِـعَـمِّـكَ الـحَـوْفـزانِ
فَـهِـشَـامُ مِـنْ وائِـلٍ فـي مَـكَـانٍ أنْـتَ تَـرْضـى بِـدونِ ذاكَ الـمَـكَـانِ
وَمَـتَـى كُـنْـتَ يـابْـنَ ظَـبـيـةَ تَـرْجـو أنْ تُـثَـنِّـي عَـلَـى ابْـنَـةِ الـغَـضْـبَـانِ
وَهِـيَ حَـوْراءُ كـالـمَـهَـاةِ هِـجَـانٌ لِـهَـجـانٍ وَأنْـتَ غَـيْـرُ هِـجَـانِ[1]
وَبَـنَـاتِ الـسَّـلِـيـلِ عِـنْـدَ بـنـي ظـبـ ـيـةَ، أُفٍّ لَـكُـمْ بَـنِـي شَـيْـبَـانِ
قـيـلَ: مـعـنُ لَـنَـا فَـلَـمَّـا اخْـتَـبَـرْنَـا كـانَ مَـرْعَـى وَلَـيْـسَ كَـالـسَّـعْـدانِ[2]

قال أبو بشر: ظَبية التي عَيَّرَهُ بها أَمَة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، لَقِيَها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك، وكانت راعية لأهلها، وهي في غنمها، فسرقها ووقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة، ودِجاجة بنت عبد الله. قال: وبنت السليل التي عناها: امرأة من ولد الحَوْفزان.

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ، قال: كان ربيعة الرقيّ يَهوى جارية لرجل من أهل الكوفة، يقال لها عثمة وكان أهلها ينزلون في جوارِ جُعفيّ[3]، فقالَ فيها في أبيات له: [المنسرح]

جُـعْـفِـيُّ جِـيـرَانُـهـا فَـقَـدْ عَـطِـرَتْ جُـعْـفِـيّ مِـنْ نَـشْـرِهَـا وَرَيَّـاهَـا

فقال له رجل من جُعفِيّ: وأنا جار لها بيتَ بيتَ، والله ما شمِمتُ من دارهم ريحاً طيبة قطُّ. فتشمّمَ ربيعة رائحته وقال: وما ذنبي إذا كنتَ أَخْشَم[4]، والله إني لأجدُ ريحها وريح طِيبها منك، وأنت لا تجده من نفسك.

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال: كنت حاضراً ربيعة

(١) الهجان: الكريم الحسيب.
(٢) السعدان: نوع من النبات ذو شوك وهو من أطيب مراعي الإبل.
(٣) جُعْفِيّ: باليمن، وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد...، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً (معجم البلدان ٢: ١٤٤).
(٤) الأخشم: الذي لا يكاد يشمّ شيئاً لانسداد خياشيمه.

الرقيّ يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية، فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كنت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل. فقال: أُكتب لها يا أبا بشر هذه العُوذَة: [السريع]

تـفُـو تـفُـو بـاسْـمِ إلـهـي الَّـذي لا يـعـرِضُ الـسّـقَـمُ لِـمَـنْ قَـدْ شَـفَـى
أُعِـيـذُ مَـوْلاتِـي وَمَـوْلاَتَـهَـا وابْـنَـتَـهـا بِـعُـوذَةِ الـمُـصْـطَـفَـى
مِـنْ شَـرِّ مـا يـعـرِضُ مِـنْ عِـلَّـةٍ فـي الـصُّـبْـحِ والـلَّـيْـلِ إذا أَسْـدَفَـا[1]

قال: فقلت له: يا أبا ثابت، لست أُحسِنُ أن أكتب: تفُو تفُو، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم في موضعين، حتى يكون كالنفث، وادفع العُوذة إليها، فإنها نافعة. ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبثْ أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحكاً. فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا والله نَفتضحُ بما صنعت. قال: فما أصنع بك؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ؟

صوت

[مجزوء الوافر]

أَلاَ مَـنْ بَـيَّـنَ الأَخَـوَيْـنِ أُمُّـهُـمَـا هِـيَ الـثَّـكْـلَـى
تُـسَـائِـلُ مَـنْ رَأَى ابْـنَـيْـهَـا وَتَـسْـتَـشْـفِـي فَـمَـا تُـشْـفَـى
فَـلَـمَّـا اسْـتَـيْـأَسَـتْ رَجِـعَـتْ بِـعَـبْـرَةِ وَالِـهٍ حَـرَّى
تُـتَـابِـعُ بَـيْـنَ وَلْـوَلَـةٍ وَبَـيْـنَ مَـدَامِـعٍ تَـتْـرَى[2]

عروضه من الهزج[3]، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارِظ الكِنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، في ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطأة، أحد بني عامر بن لؤيّ باليمن.

والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر في مجرى البنصر، وفيهِ لِحُنينٍ الحِيريّ، ثاني ثقيل عن الهشاميّ، وفيه لأبي سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق في مجرى الوسطى.

---

(١) أسدف الليل: أظلم.
(٢) تَتْرَى: تتتابع وراء بعضها البعض.
(٣) هكذا في الأصل، وهو خطأ، والصّواب أنه من مجزوء الوافر.

ذكر الخبر في مقتل
ابني عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حَدَّثنا عليّ بن محمد المدائني؛ عن أبي مِخْنف، عن جويريةَ بن أسماء، والصَّقْعَب بن زهير، وأبي بكر الهذليّ، عن أبي عمرو الوقاصيّ: أن معاوية بن أبي سفيان بعث بُسر بن أرطأة، أحد بني عامر بن لؤيّ، بعد تحكيم الحكمين، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حيّ، وبعث معه جيشاً، ووجَّه برجل من غامد ضَمَّ إليه جيشاً آخر. ووجه الضحاك بن قيس الفهريّ في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليّ بن أبي طالب وأصحابه، وأن يُغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يَكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان. فمضى بُسْر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب عليّ، وأهل هواه، وهدم بها دُوراً من دور القوم. ومضى إلى مكة، فقتل نفراً من آل أبي لَهب، ثم أتى السَّراة[1]، فقتل من بها من أصحابه. وأتى نَجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس، عاملاً لعليّ بن أبي طالب، وكان غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر، فلم يصادفه بُسْر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله، وذبحهما بيده، بِمُدْيةٍ كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به. فقصد الغامِديُّ إلى الأنبار، فقتل ابنَ حسان البكري، وقتل رجالاً ونساءً من الشيعة.

(١) السَّرَاة: هي الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن (معجم البلدان ٣: ٢٠٤).

[خطبة الجهاد لعليّ]

فحدثني العباس بن عليّ بن العباس النسائي قال: حَدَّثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حَدَّثنا شبابة بن سوّار قال: حدَّثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق، قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعليّ، يقال له حسان بن حسان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساءً، فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيﷺ، ثم قال:

«إن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فمن تركَه ألبَسه الله ثوبَ الذّلّةِ وشَمَلَهُ البلاء، ودُيِّث[1] بِالصَّغَارِ، وسِيمَ الخَسْفَ[2]. وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغزَ قوم قطُّ في عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهرياً، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ. هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساءً. والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المُعَاهِدَة[3]، فينزع حِجْلها[4] ورِعاثها[5]، ثم ينصرفون موفورين، لم يُكْلَمْ أحدٌ منهم كَلْماً، فلو أنَّ امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً، لم يكنْ عليه مَلوماً، بل كان به جديراً. يا عجباً، عجباً يميتُ القلبَ، ويُشْعِلُ الأحزانَ، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفَشَلكم عن حَقِّكُمْ، حتى صرتم غرضاً، تُرمَونَ ولا تَرْمُونَ، وتُغزَونَ ولا تَغزونَ، ويُعْصَى الله وترضونَ. إذا قلت لكم اغزوهم في الحَرِّ، قلتم هذه حمارّة القَيْظِ[6] فأَمْهِلْنَا، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد، قلتم هذا أوان قُرٍّ وصِرّ[7] فأمهلنا. فإذا كنتم من الحرّ والبرد تَفرُّونَ، فأنتم والله من السَّيفِ أشدّ فِراراً يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا

---

(١) دُيِّث: ذُلِّلَ. والصَّغار: الذل والضّيْم.
(٢) سِيمَ الخسف: أُذِلَّ.
(٣) أهل العهد: أهل الذمّة.
(٤) الحِجل: الخلخال.
(٥) الرِّعاث: جمع الرَّعَث: القرط.
(٦) القيظ: شدة الحرّ.
(٧) القُرّ: شدّة البرد، والصرّ: البرد.

طَغام[1] الأحلام، وعقولَ رَبّاتِ الحِجَالِ[2]، وددتُ والله أنّي لم أعْرِفْكُمْ، بل وددتُ أنّي لم أرَكُمْ، معرفة والله جَرَّعت بلاءً وندماً، وملأتم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا عِلْمَ له بالحرب. وَيْحَهُمْ! هل فيهم أشدّ مِرَاساً لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نَيَّفْتُ على الستين، ولكن لا رأيَ لمن لا يُطاع».

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى: ﴿لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِي وأَخِي﴾[3] فمُرْنا بأمرك، فوالله لَنطيعنَّكَ ولو حالَ بيننا وبينك جَمْر الغَضَى، وشوك القتاد. قال: وأين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه، ثم نزل.

[رسائل بين عليّ وأخيه عقيل]

حَدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني عَمّي عبيد الله بن محمد قال: حَدَّثني جعفر بن بشير قال: حَدَّثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مِخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عَقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي طالب:

«أما بعد، فإن الله عزَّ وجلَّ جارِكَ من كلِّ سوءٍ، وعاصمكَ من المكروه. إنّي خرجتُ معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلَقَاء، فقلت لهم، وعرفتُ المُنكَرَ في وجوههم: يا أبناء الطُّلقاء، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم. ثم قدمت مكّةَ وأهلها يتحدّثونَ أن الضحَّاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعاً، فأُفٍّ لحياة في دهر جَرَّأ عليك الضّحّاك. وما الضّحَّاكُ؟ وهل هو إلاّ فَقْع بِقَرْقَرة[4]، وقد ظننتُ وبلغني أن أنصارك قد خذلوكَ، فاكتبْ إليّ يابنَ أُمِّ برأيك، فإن كنت الموت تريد تحمّلتُ إليك

(١) الطَّغام: من لا عقل له ولا معرفة عنده.

(٢) الحجال: جمع الحجلة: بيت للعروس يزيّن بالثياب والستور. وربّات الحجال: كناية عن النساء.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٥.

(٤) الغضا: شجر خشبُه من أصلب الخشب وفحمه صلب وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة.

(٥) الفقع: أردأ أنواع الكمأة. والقرقرة: الأرض اللّيّنة، وهو مَثَلٌ يضرب للذليل فيقال: أذلُّ من فقع بقرقرة، لأنه يوطأ بالأرجل.

بني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أُحبّ أن أبقَى بعدك فَواقاً[١]، وأُقسم بالله الأعزّ الأجلّ، إنَّ عَيْشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيشٌ غير هَنِيءٍ ولا مَرِيء ولا نجيعٍ[٢]. والسَّلام».

فأجابه عليّ بن أبي طالب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم:

«أمّا بعدُ، كَلأنَا اللَّهُ وإيَّاكَ كَلاءَةَ مَنْ يخشاه بالغيب، إنه حميدٌ مجيدٌ، فقد قدم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلاً من قُدَيد[٣]، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء، وإنّ بُنَيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله، وبغاها عِوجاً، فدع بني أبي سرح عنك، ودعْ قريشاً وتَرْكَاضَهُمْ في الضَّلالة، وتَجْوالهم في الشّقاقِ، فإن قريشاً قد أجمعت على حربِ أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم، فأصبحوا قد جَهِلُوا حَقَّه، وجَحَدوا فضلَه، وبَادَوه[٤] بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلَّ الجهد، وساقوا إليه جيش الأَمَرَّيْنِ. اللَّهُمَّ فاجزِ عني قريشاً الجَوَازِي، فقد قطعتْ رَحِمِي، وتظاهرتْ عَلَيَّ، والحمد لله على كلِّ حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحّاك بن قيس على الحِيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة، ولكنه جاء في خيلٍ جريدةٍ[٥]، فلزم الظّهرَ، وأخذ على السماوة[٦]، فمرَّ بواقصة وشَرَاف وما والى ذلك الصّقع، فسرّحتُ إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك جَازَ هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعنَ في السَّيْرِ، وقد طَفَلَت[٧] الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كَلاَ ولا[٨]، فَوَلَّى ولم يصبِرْ، وقُتِلَ من

(١) فواقاً: وقتاً قصيراً.
(٢) النجيع: الهنيء.
(٣) قُدَيد: اسم موضع قرب مكة (معجم البلدان ٤: ٣١٣).
(٤) بادَوه بالعداوة: كاشفوه بها.
(٥) الجريدة: جماعة الخيل لا رَجَّالة فيها.
(٦) السَّماوة: بين الكوفة والشام (معجم البلدان ٣: ٢٤٥).
(٧) واقصة: منزل بطريق مكة (معجم البلدان ٥: ٣٥٤) وشَرَاف: بين واقصة والقرعاء (معجم البلدان ٣: ٣٣١).
(٨) طفلت: دنت.
(٩) كلا ولا: أي مدّة قليلة.

أصحابه بضعة عَشَر رجلاً، ونجا جَرِيضاً[١] بعد ما أُخِذَ منه بِالمُخَنَّقِ، فلأياً بِلأيٍ ما نجا.

وأمّا ما سألتَ عنه أن أكتب إليك فيه برأيي، فإنَّ رأيي قتالُ المُحِلِّين[٢] حتى ألقى الله، لا يزيدني كَثْرَةُ النَّاسِ حولي عِزَّةً، ولا تَفَرُّقُهم عَنّي وحشةً، لأني مُحِقٌّ، والله مع الحقِّ وأهله، وما أكره الموتَ على الحقِّ، وما الخير كلّه إلاَّ بعد الموت لمن كان مُحِقًّا.

وأمّا ما عرضته عَلَيَّ من مَسِيرِكَ إليَّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأَقِمْ راشداً مَهدِيّاً، فوالله ما أُحبُّ أن تهلِكُوا معي إن هلكتُ، ولا تَحْسَبَنَّ ابنَ أبيك لو أسلمه الزَّمانُ والنَّاس مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، لكني أقول كما قال أخو بني سُلَيم: [الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي صَبورٌ عَلَى رَيبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ[٣]
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

والسلام».

ثم إن بُسْر بن أرطأة كَرَّ راجعاً، وانتهى خبره إلى عليّ ﷺ، أنه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابني عُبيد الله بن العباس، فسرَّحَ حارثة بن قُدامة السّعديّ في طلبه، وأمره أن يُغِذَّ السَّيْرَ، فخرج مسرعاً، فلمّا وصلَ إلى المدينة، وانتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب ﷺ، وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه، ركب في السّلاح، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، فقال: والله لتبايعُنَّ ولو بأستاهكم. فلمّا رأى أهلُ المدينة الجِدَّ منه بايعوا للحسن، وكَرَّ راجعاً إلى الكوفة، فأصابَ أُمَّ حكيم بنت قارظ وَلَهَى على ابنيها، فكانت لا تعقِلُ ولا تُصْغِي إلى قولِ مَنْ أعلمها أنَّهما قد قُتِلا، ولا تزالُ تطوفُ في المواسم، تنشُدُ الناسَ ابنيها بهذه الأبيات:

صوت

[البسيط]

يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذين هُمَا كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عَنْهُمَا الصَّدَفُ[٤]

---

(١) جريضاً: مشرفاً على الهلاك.

(٢) المُحِلّون: الخارجون من البيعة والمخالفون للإمام.

(٣) رَيب الزمان: حوادثه ومصائبه. والصليب: الشديد القويّ.

(٤) تَشظّى: انشقّ.

يا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذينِ هُمَا سَمْعِي وَقَلْبي، فَقَلْبي اليَوْمَ مُخْتَطَفُ
يا مَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذين هُمَا مُخُّ العِظَامِ فَمُخِّي اليَوْمَ مُزْدَهَفُ[١]
نُبِّئْتُ بُسْراً وَمَا صَدَّقْتُ مَا زَعَموا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنَ الإفْكِ الَّذي اقْترفوا
أَنْحَى عَلَى وَدَجَيْ إبْنيَّ مُرْهَفَةً مَشْحُوذةً وَكَذاكَ الإثْمُ يُقْتَرَفُ[٢]
حتَّى لقِيتُ رِجَالاً مِنْ أرومَتِهِ شُمَّ الأنوفِ لَهُمْ في قَوْمِهِمْ شَرَفُ[٣]
فَالآنَ أَلْعَنُ بُسْراً حَقَّ لَعْنَتِهِ هذا لَعَمْرُ أبي بُسْرٍ هُوَ السَّرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالِهَةً حَرَّى مُدَلَّهَةً عَلَى صَبِيَّيْنِ ضَلاًّ إذْ هَوَى السَّلَفُ

الغناء لأبي سعيد مولى فائد، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، يقال إنه له أيضاً. وفيه لعَرِيب رمَل نشيد.

قالوا: ولمَّا بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتلُ بُسْرٍ الصَّبيين، جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا على بُسْر لعنه الله، فقال: اللَّهُمَّ اسْلُبْهُ دِينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تَسْلُبَهُ عقله! فأصابه ذلك، وفقد عَقْله، فكان يهذِي بالسيف ويطلبه، فيُؤْتَى بسيف من خشب، ويُجْعَل بين يديه زِقّ منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم، ثم مات لعنه الله.

ولما كانت الجماعة واستقرَّ الأمرُ على معاوية، دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطأة، فقال له عبيدُ الله: أأنتَ قاتل الصَّبيين أيها الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما. فقال عبيد الله: أما والله لَوَدَدْتُ أن الأرض كانت أَنبَتتْني عندك. فقال بسر: فقد أنبتتكَ الآن عندي. فقال عبيد الله: ألا سيف! فقال له بسر: هاكَ سيفي. فلمَّا أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزاكَ الله شيخاً قد كبرتَ وذهبَ عقلُكَ، تعمِدُ إلى رجل من بني هاشم قد وَتَرْتَهُ وقتلتَ ابنيه، تدفعُ إليه سيفَكَ، إنك لَغافِلٌ عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكَّنَ منه لبدأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل والله، ثم إذن لَثَنَّيْتُ به.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال الأصمعي: سَمِعَ رجلٌ من أهل اليمن وقد قدمَ مكَّةَ امرأة عُبيد الله بن

---

(١) ازدهفه: أهلكه.
(٢) الوَدَج: عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فيموت صاحبه.
(٣) الأرومة: أصل الشجرة.

العباس بن عبد المطلب تندبُ ابنيها اللَّذين قتلهما بسر بن أرطأة بقولها: [البسيط]

يـا مَـنْ أَحَـسَّ بُـنَـيَّـيَّ الـلَّـذَيْـنِ هـمـا كـالـدّرتَـيْـنِ تَـشَـظَّـى عنـهـمـا الـصَّـدَفُ

فرَقَّ لها، فاتّصلَ ببُسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس[1]، فقتلهما وهرب، وقال: [البسيط]

يـا بِـسْـرُ بُـسْـرَ بَـنِـي أَرْطَـاةَ مَـا طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُ الـنَّـهَـارِ ولا غَـابَـتْ عَـلَـى نَـاسِ
خَـيْـرٍ مِـنَ الـهَـاشِـمِـيِّـيـنَ الَّـذيـنَ هُـمُ عَيْنُ الهُدَى وَسِمامُ الأَشْوَسِ القَاسِي[2]
مـاذا أَرَدْتَ إلـى طِـفْـلَـيْ مُـدَلَّـهَـةٍ تَبْكي وَتَنْدُبُ مَنْ أثكلتَ في النّاسِ
إِمَّا قـتـلـتَـهُـمـا ظُـلْـماً فَـقَـدْ شَـرِقَـتْ فـي صَـاحِـبَـيْـكَ قَـنَـاتِـي يَـوْمَ أَوْطَـاسِ
فـاشْـرَبْ بِـكَـأْسِـهِـمَـا ثُـكْـلاً كَـمَـا شَـرِبَـتْ أُمُّ الـصَّـبِـيَّـيْـنِ أَوْ ذَاقَ ابْـنُ عَـبّـاسِ

صوت

أَلاَ فَاسْقِيانِي مِنْ شرَابِكُمَا الوَرْدِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْفدْتُ فَاسْتَرْهِنا بُرِدِي
سِوَارِي وَدُمْلُوجِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي مُباحٌ لَكُمْ نَهْبٌ فَلاَ تَقْطَعُوا وِرِدِي[3]

عروضه من الطويل، والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، والغناء لإبراهيم الموصلي، رمل بالوسطى، من رواية عمرو بن بانة.

(١) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن (معجم البلدان ١ : ٢٨١).
(٢) الأشوس: الشديد الجري في الحرب.
(٣) الدُّملوج: حلية تحيط باليد (السّوار).

ذكر أم حكيم وأخبارها

[زواجها من يحيى بن الحكم]

قد مضى ذكر نسبها.

وأُمُّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت هي وأمّها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: المُوصِلَة بنت المُوصِلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال.

وأمُّ زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: سُعْدَى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائيّ. وكانت سُعدَى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سَلمة ورَيطة، ثم تُوُفِّيَ عنها. فخلف عليها طلحة بن عُبيد الله، فولدت له يحيى وعيسى، ثم قتل عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلّم بنوها، وكرهوا أن تتزوّجَ وقد صاروا رِجالاً، فقالت: إنه قد بَقِيَ في رَحِمِ أُمِّكم فضلة شريفة، لا بُدَّ من خروجها، فتزوّجها. فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه، وزينب، وهي أمّ أم حكيم.

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم، وقد قَدِمَ الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدمَ تغيّبوا، فلم يظهرْ أحدٌ منهم حتى خرج، وبثَّ المغيرة الجِفَانَ في السّكَكِ والقبائل يطعمُ النَّاسَ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة: [الوافر]

أَتَـاكَ الـبَـحْـرُ طَـمَّ عَـلَـى قُـرَيـشٍ مُـغِـيـرِيٌّ فَـقَـدْ رَاغَ ابْـنُ بِـشْـرِ

قال مصعب الزبيريّ: هو ـ يعني المغيرة ـ مطعم الجيش بمِنى، وهو إلى الآن

يطعَمُ عنه. قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقَدّاً، وكأن أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، فكانت تسمى الموصِلة. وسُمِّيَتْ بنتها أم حكيم بذلك، لأنها أشبهتها.

أخبرني عَمّي قال: حدّثني ابن أبي سعد قال: حَدَّثني علي بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِينِ جسدها يقال لها الموصِلة.

قال مصعب: فتزوَّجَ زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمُل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمس مئة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زَوَّجْتنِيها، فزوَّجَه إيّاها على ذلك. فغضبَ عليه عبد الملك. وقال: دخل عليَّ في خِطبتي. والله لا يخطب على مِنبر ما دمت حَيّاً، ولا رأى مني ما يحبّ، فأسقطه. فقال يحيى: لا أُبالي كعكتان وزينب.

قال ابن أبي سعد: وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيِّبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحيّ: أَنَّها لمّا خُطِبَتْ قالت: لا أتزوّجُ والله أبداً إلاَّ مَنْ يُغْنِي أخي المغيرة. فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم، قال: فهي له، ولك مثلها. فقالت: ما بعد هذا شيء. أرسل إلى أهلك شيئاً من طِيب، وشيئاً من كسوة.

قال: ويقال إن عبد الملك لمّا تزوّجَها يحيى قال: لقد تزوجتْ أَفْوه[1] غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خيرٌ من أبي الذِّبّان[2] فَماً، فما له يعيبه بفمه؟ وقال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كَرِهَتْ من فَمِكَ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدّثني أبو غَسّان عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عَمّه محمد بن عبد العزيز: أن عبد الملك خطب

(١) الأفوه: الواسع الفم مع خروج الأسنان من الشفتين وطولها.
(٢) أبو ذبّان: كنية عبد الملك بن مروان فقد كان أبخر، ويراد أن الذباب يسقط إذا قارب فاه من شدّة رائحة فمه (المعارف ص ٥٨٦).

زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يَلْحَقَ به، وكان بفلسطين أو بالأردن، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدكَ على ألف دينار يكرمك بها، وأربع مِئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أوَ تنقل إليَّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال. فتجهّزَ المغيرة، وسَيَّرَ ثَقَلَه[1]، ثم دخل على يحيى فزوّجَهُ، وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أميرَ المؤمنين، إنه زوَّجَ يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاه إياها، ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول: [الطويل]

أَلاَ لا أُبَالِي اليومَ ما فَعَلَ الدَّهْرُ ... إذا بَقِيَتْ لي كعكتانِ وَزَيْنَبُ

[زواج أم حكيم من عبد العزيز بن الوليد، ثم من هشام بن عبد الملك]

قال: وكانت زينب تسمّى المُوصِلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوَّجها في حياة جَدِّه عبد الملك، ولمّا عُقِدَ النكاحُ بينهما، عُقِدَ في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنّئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عدي لموضعه منهم، فقال: [الكامل]

قَمَرُ السَّمَاءِ وَشَمْسُها اجْتَمَعَا ... بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعا
ما وَارَتِ الأَسْتَارُ مِثْلَهُمَا ... مَنْ ذا رَأَى هَذا ومَنْ سَمِعَا؟
دامَ السُّرورُ لَهُ بِهَا ولَها ... وَتَهنَّيا طُولَ الحَيَاةِ مَعَا

وقال جرير: [الكامل]

جَمَعَ الأَميرُ إِلَيْهِ أَكْرَمَ حُرَّةٍ ... في كُلِّ ما حَالٍ مِنَ الأحْوالِ
حَكَمِيّة عَلَتِ الرَّوابِيَ كلَّها ... بِمَفَاخِرِ الأَعْمَام والأَخْوَالِ
وإذا النِّسَاءُ تَفَاخَرَتْ بِبُعُولَةٍ ... فَخَرَتْهُمُ بالسَّيِّد المِفْضَالِ
عَبْدِ العَزيز ومَنْ يُكَلِّفْ نَفْسَهُ ... أَخلاقه يلْبَثْ بِأَكْسَفِ بَالِ
هَنَأْتُكُمْ بمودّةٍ ونَصيحَةٍ ... وَصَدَقْتُ في نَفْسي لَكُمْ وَمَقالِي

---

(١) الثَّقَل: متاع المسافر وحشمه.

فَلْتَهْنِكَ النِّعَمُ الَّتي خُوِّلْتَها يا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَفْضَلَ والِ

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولِعديّ بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مِئة حاجة، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. فلم تزلْ أُمُّ حكيم عند عبد العزيز مدّة، ثم تزوّجَ ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبّها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أمّ حكيم، فطلّقها، فتزوَّجَها هِشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوجَ هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبّة لأم حكيم، فطلّقَ لها ميمونة، اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضيتكِ منها؟ فقالت: نعم. فولدت أمُّ حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، وكان من رجالات بني أُمَيَّة، وكان أحد من يطعُنُ علىٰ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويغري النَّاسَ به.

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

صوت

عَلِّلاني بِعَاتِقَاتِ الكُرومِ واسْقِيَاني بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمِ
إنَّهَا تَشْرَبُ المُدَامَةَ صِرْفاً في إنَاءٍ مِنَ الزُّجَاجِ عَظِيمِ
جَنِّبُوني أَذَاةَ كُلِّ لَئِيمِ إنَّهُ مَا عَلِمْتُ شَرُّ نَديمِ
ثُمَّ إنْ كَانَ في النَّدامى كَرِيمٌ فَأذيقُوهُ مَسَّ بَعْضِ النَّعيمِ
لَيْتَ حَظّي مِنَ النِّسَاء سُلَيْمَى إنَّ سَلْمايَ جَنَّتِي وَنَعيمِي
فَدَعُوني مِنَ المَلاَمَةِ فِيها إنَّ مَنْ لاَمَني لَغَيْرُ حَليمِ

عروضه من الخفيف، غناء عمر الوادي من رواية يونس، وفي رواية إسحاق: غَنَّاه الغُزَيِّل أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاماً، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أوَ تصدقه الفاسقَ في شيء، فتصدقَه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبّة قال:

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فقال: [الطويل]

فَحَسْبُ أَبِي العَبَّاسِ كَأْسٌ وقَيْنَةٌ ... وزِقٌّ إذا دَارَتْ بِهِ فِي الذَّوائِبِ
ومِن جلساءِ النَّاسِ مِثْلُ ابْنِ مَالِكٍ ... وَمِثْلُ ابْنِ جَزْءٍ والغُلامِ ٱبْنِ غَالِبِ

فقال الوليد يهجوه، ويعيِّره بشرب أُمّه الشّرَابَ: [الخفيف]

إنَّ كَأْسَ العَجوزِ كَأْسٌ رَوَاءٌ ... لَيْسَ كَأْسٌ كَكَأْسِ أمِّ حَكِيمِ
إنَّهَا تَشْرَبُ الرَّسَاطُونَ صِرْفاً ... فِي إنَاءٍ مِنَ الزُّجَاجِ عظيمِ
لَوْ بِهِ يَشْرَبُ البَعيرُ أو الفِيـ ... ـلُ لَظَلاًّ فِي سَكْرَةٍ وغُمومِ
وَلَذَتْهُ سَكْرى فَلَمْ تُحْسِنِ الطَّلْـ ... ـقَ فَوَافَى لِذَاكَ غَيْرَ حَلِيمِ

وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة، ويُكْنى أبا شاكر، وكان هشام ينوّه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عُروة بن أُذينة ـ لما وفد على هشام ـ وفَرّق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً، وأحبّهُ النَّاسُ ومدحوه: [المتقارب]

أَتَيْنَا نَمُتُّ بِأَرْحَامِنَا ... وَجِئْنَا بِأَمْرِ أَبِي شَاكِرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، وأشاع ذلك وغَنّى فيه، وأراد أن يعيّره بذلك:

صوت

[السريع]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا ... نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ
نَشْرَبُهَا صِرْفاً وَمَمْزُوجةً ... بِالسَّخْنِ أَحْيَاناً وبالفَاتِرِ

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه: [السريع]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا ... نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ
الوَاهِبِ البُزْلِ بِأَرْسَانِهَا ... لَيْسَ بِزِنْديقٍ ولا كَافِرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ: أن هشاماً لمَّا أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القَسْريّ، فقال خالد: أنا بريءٌ من خليفة يكنى أبا شاكر. فبلغ قوله هشاماً، فكان سبب إيقاعه به.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن موسى قِمطَر، عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرجُ ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة، فنُزَكّي عنه، فكان فيما يُزَكَّى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالاً. قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر، مَقْبِضُه من ذهب. هكذا ذكر إسماعيل.

وقد حدّثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله، قال: حَدَّثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن لِيُبَاعَ، في أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأساً مُدَوَّراً على هيئة القِحْفِ[(١)] يَسَعُ ثلاثة أرطال، فقُوِّمَ بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه. فقال: هذا كأس أمّ حكيم، فرددناه إلى الخزانة. ولعلَّ الذَّهَبَ الذي كان عليه أُخذ منه حينئذ، ثم أُخْرِجَ لِيباع.

قال محمد بن موسى: وذكر لي عُبيد الله بن محمد عن أبي الأغرّ، قال: كنا مع محمد بن الجُنيد الخُتَّليّ أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته: [الخفيف]

عَلِّلانِي بِعَاتِقَاتِ الكُرُومِ وَاسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمِ

فلم يزلْ يقترحه ويشرب عليه حتى السحر، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد: إن الخليفة على الرّكوب. وكان محمد أحدِ أصحاب الرشيد، ومَنْ يُقَدِّمُ دابته، فقال: وَيْحَكم! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران. فقالوا: لا بدّ من الركوب، فركب على تلك الحال؛ فلما قدَّم إلى الرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت ليلي أجمع قال: فما كان صوتك؟ فأخبره.

فقال له: عُدْ إلى منزلك، فلا فضْلَ فيك، فرجع إلينا وخَبَّرنا بما جرى، وقال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما مَتَعَ[(٢)] النهار إذا خادم من خدمِ أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بِرذَون، في يده شيءٌ مُغَطّى بمنديل، قد كاد ينالُ الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أُمّ حكيم، لِتشربَ فيه، وبألف دينار تنفقها في صَبوحك.

(١) القِحْف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

(٢) متعَ النهار: ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال.

فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم، وقَبَّلها، وصَبَّ فيها ثلاثة أرطال، وشربها قائماً، وسقانا مثل ذلك، ووهب للخادم مئتي دينار، وغَسَلَ الكأسَ، ورَدَّها إلى موضعها، وجعل يفرّقُ علينا تلك الدنانير، حتى بَقِيَ معه أَقَلُّها.

صوت

عَلْقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارِ والوَاتِرِ
إِنْ تَسُدِ الحُوصَ فَلَمْ تَعْدُهُم ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
عَهْدِي بِهَا فِي الحَيِّ قَدْ دُرِّعَتْ ... صَفْراء مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ
قَدْ حَجَمَ الثَّدْيُ عَلَى صَدْرِهَا ... فِي مُشْرِقٍ ذي بَهْجَةٍ نَاضِرِ
لَوْ أَسندتْ مَيتاً إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُحْمَلْ إِلَى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوا ... يَا عَجَبَا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

عروضه من السريع، والشعر للأعشى: أعشى بني قيس بن ثعلبة، يمدح عامر بن الطُّفيل، ويهجو علقمة بن عُلاثة.

والغناء لمعبد في الثالث وما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر، وفي الأبيات لحُنين ثقيل أول مطلق، في مجرى البِنْصر، عن إسحاق، وفيها أيضاً لحن آخر ذكره في المجرد ولم يُجَنِّسه، ولم ينسبه إلى أحد.

الخبر في هذه القصة وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرني بذلك محمد بن الحسين بن دُرَيد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه، ومن رواية دَمَاذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعيّ، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه؛ فجمعت رواياتهم، ولكلٍّ امرىء منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللَّفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفرداً.

قال ابن الكلبيّ: حَدَّثني أبي ومُحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفريّ، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا: أولُ ما هاج النِّفارَ بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ـ وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر، وأمّها أمّ الظّباء بنت معاوية، فارس الهَرَّار، ابن عبادة بن عَقِيل بن كعب بن ربيعة، وأمّها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف. وأمّ أبيه الطُّفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة. قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النَّخَع سَبِيَّة، وأمّ أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيْطان بن بكر بن عوف بن النخع مَهِيرة ـ أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبولُ، فبَصُرَ به عامر، فقال: لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تَثِبُ على جاراتها، ولا تنازل كَنَّاتها؛ يعرِّض بعامر. فقال عامر: وما أنت والقروم! والله لَفَرسُ أبي «حَنوةُ» أذكرُ من أبيك؛ ولَفَحْلُ أبي «غيهبُ» أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرساً جواداً، نجا عليه يوم بني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان،

وكان فحله فحلاً لبني حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر بن صِرمة.

قال الأثرم: سُمِّيَ صِرمةُ غيهب لسواده.

قال ابن الكلبيّ: فاستعاره منهم يستطرقه[١]، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة[٢]، وأمّا فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.

فقال عامر: والله أنا أكرم منك حَسَباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحبُّ إلى نسائك أن أصبح فيهن منك..

فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أُنافرك على أني أنحر منك لِلِّقَاحِ، وخير منك في الصباح[٣]، وأطعم منك في السنة الشِّياح[٤].

فقال علقمة: أنت رجلٌ تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أُنافرك أني خير منك أثراً، وأَحَدُّ منك بَصَراً، وأعزّ منك نفراً، وأسرح[٥] منك ذِكْراً.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أُنافرك على أني أنشر منك أُمَّةً[٦]، وأطول منك قِمَّة[٧]، وأحسن منك لِمّة وأجعد منك جُمّة[٨]، وأبعد منك همّة.

(١) يستطرقه: يتّخذه فحلاً لنوقه ليحسّن نتاجها.
(٢) العارة: العارية.
(٣) في الصباح: أي عند حصول الغارة على الأعداء صباحاً.
(٤) السنة الشِّياح: المجدبة.
(٥) أسرحُ ذِكراً: أبعد ذِكراً.
(٦) أنشرُ أُمّة: أكثر جماعة وقوماً.
(٧) القِمّة: جماعة الناس والقوم.
(٨) اللِّمّة: شعر الرأس إذا كان أكثر من الوفرة. والجُمَّة: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قَضِيف[١]، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي ولم أكنْ لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عَقِباً، وأَطْعَمُ منك جَدْباً.

قال علقمة: قد علمت أنَّ لك عَقِباً في العشيرة، وقد أَطْعَمت طيباً إذ سارت؛ ولكني أنافرك أني خيرٌ منك، وأولى بالخيرات منك؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.

قال: فخرجت أمّ عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيّكما أولى بالخيرات.

قال أبو المنذر: قال أبو مسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُمَاة، وأقتل منك لِلكُمَاة، وخير منك للمولى والمولاة.

فقال له علقمة: والله إنّي أعزّ منك. إنّي لَبرٌّ وإنّكَ لَفاجرٌ، وإنّي لَوَفِيٌّ وإنَّكَ لغادرٌ، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنْزَلُ منك للقفرة وأنحر منك لِلبَكْرة[٢]، وأطعم منك للهَبْرة، وأطعن منك للثُّغرة[٣].

فقال علقمة: والله إنك لَكليلُ البصر، نَكِدُ النَّظر، وثّابٌ على جاراتك بِالسَّحَرِ.

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيقَ عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بِالكِبَرِ. فقال له علقمة هذا القول.

فقال عامر: عنز وتيس، وتيس وعنز[٤] فذهبت مثلاً. نعم على مِئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم، أَيُّنا نُفِّرَ عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك،

(١) القضيف: الدقيق العظم، القليل اللحم.

(٢) القَفْرة: الأرض التي لا بشر فيها ولا ماء ولا عشب. والبَكرُ: الفتيّ من الإبل.

(٣) الثُّغْرَة: نقرة النحر بين الترقوتين.

(٤) يريد: مثلي ومثلك كالعنز والتيس أو كالتيس والعنز، إذ التيس أقدر على النطاح من العنز.

ووضعوا بها رُهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمّي الضَّمين إلى الساعة، وهو الكفيل.

قال: وخرج علقمة ومَنْ معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو بَراء، فقال: يا عَمَّاه، أَعِنِّي. فقال: يابن أخي، سُبَّني. فقال: لا أسبُّكَ وأنت عَمِّي. قال: فسُبَّ الأحوص. فقال عامر: ولا أَسُبُّ والله الأحوص وهو عَمّي، فقال: فكيف إذن أُعِينُكَ، ولكن دونك نعلي، فإني قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعاً فاستعن بها في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقلْ بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم[1]، تقعان بالأرض. قالا: فأيّنا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال: [الرجز]

يَالَ قُرَيْشٍ بَيِّنُوا الكَلاَمَا ... إِنَّا رَضِينَا مِنْكُمُ الأَحْكَامَا
فَبيِّنُوا إِنْ كُنْتُمُ حُكَّامَا ... كَانَ أَبُونَا لَهُمُ إِمَامَا
وَعَبْدُ عَمْرٍو مَنَعَ الفِئَامَا ... فِي يَوْمِ فَخْرٍ مُعْلَمٍ إِعْلاَمَا[2]
ودَعْلَجٌ أقْدمَهُ إِقْدَامَا ... لَوْلاَ الَّذي أَجْشَمَهُمْ إِجْشَامَا
* لاتَّخَذَتْهُمْ مَذْحِجٌ نَعَامَا *

قال: فأبَوا أن يقولوا بينهما شيئاً.

[هرم بن قطبة يحكم بينهما]

وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئاً. فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِيّ، فرَدَّهُما إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي، فردهما إلى هرَم بن قطْبة بن سنان بن عمرو الفَزاري، فانطلقا حتى نزلا به.

---

(١) البعير الأدرم: الذي تراكب لحمه وشحمه حتى غطّى عظامه، أو الذي لا أسنان له.

(٢) الفِئام: الجماعة من الناس.

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أَشْتَتْ وأربَعَتْ، لا يأتيان أحداً إلاّ هابَ أن يقضيَ بينهما؛ فقال هرم: لَعَمْرِي لأحكمنَّ بينكما، ثم لأفْصِلَنَّ، ثم لست أثقُ بواحدٍ منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتُسَلِّما لما قضيتُ بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل[1]. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلّفْ منهم أحدٌ، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون في كلِّ منزلٍ ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهضْ أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثَنِيَّة إلاَّ وجدتَ الأحوص مُنيخاً بها، وكره أبو بَراء ما كان من أمرهما، فقال عامر فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه: [الوافر]

أَأُومَـــرُ أَنْ أَسُـــبَّ أَبَـــا شُـــرَيْـــحٍ ... وَلاَ واللهِ أَفْـــعَـــلُ مَـــا حَـــيِـــيـــتُ
وَلاَ أُهْـــدِي إلَـــى هَـــرَمٍ لِـــقَـــاحَـــاً ... فَـــيُـــحـــيـــي بَـــعْـــدَ ذلـــكَ أَوْ يُـــمـــيـــتُ
أُكَـــلَّـــفُ سَـــعْـــيَ لُـــقْـــمَـــانِ بْـــنِ عَـــادٍ ... فَـــيَـــالَ أَبـــي شُـــرَيْـــحٍ مَـــا لَـــقِـــيـــتُ[2]

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كلٌّ واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبدُ عَمْرِو بنِ شُرَيح بن الأحوص: [الطويل]

لَـحَـى اللهُ وَفْـدَيْـنَـا وَمَـا ارْتَـحَـلاَ بِـهِ ... مِنَ الـسَّـوأَةِ الـبَـاقـي عَـلَـيْـهـم وَبَـالُـهـا
أَلاَ إِنَّـمَـا بُـرْدِي صِـفَـاق مَـتـيـنَـة ... أبـى الـضّـيـمُ أَعْـلاَهـا وأُثْـبِـتَ حَـالُـهـا

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبِي الإبل، وعليهم السّلاح، فقال رجل من غنيّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عَمّه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قُبة أو قِدْر أو لَقْحة. ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخَصُوا بمثل ما شَخصوا به، ففعلوا. وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السَّنْدريّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة بن قَتادة بن

---

(١) القابل: العام الذي بعد العام الحاضر.
(٢) لقمان بن عاد: من المعمّرين الجاهليين.

عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد: [الرجز]

يَا هَرِماً وَأَنْتَ أَهْلُ عَذْلِ إِنْ نُفَّرَ الأَحْوَصُ يَوْماً قَبْلِي
لَيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي
* وَنَسْلَ آبَائِهِمْ وَنَسْلِي *

وقال أيضاً: [الرجز]

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ عَلْقَم قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنْفَرِ
* نَافَرْتَ سَقْباً مِنْ سِقَابِ العَرْعَرِ[1] *

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص: [الرجز]

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشِّعْرَ يا لَبِيدُ وَاصْدُدْ فَقَدْ يَنْفَعُكَ الصُّدُودُ
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُودوا سُؤْدُدُكُمْ مُطَّرفٌ زَهِيدُ[2]

وقال أيضاً: [الرجز]

إِنِّي إذا مَا نُسِيَ الحَيَاءُ وَضَاعَ يَوْمَ المَشْهَدِ اللِّواءُ
أُنْمَى وَقَدْ حُقَّ لِيَ النَّمَاءُ إِلَى ذُكُورٍ ذِكْرُهَا سَنَاءُ
إِذْ لا تَزَالُ جَلْدَةٌ كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ لِسَقْبِهَا دُعَاءُ[3]
لَمْ يَنْهَنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُمْ سُورَةٌ وِلاءُ[4]
* المَجْدُ والسُّؤْدُدُ والعَطاء *

وقال أيضاً: [الرجز]

أَنْتُمْ هَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكِ فِي شَتَواتِ مُضَرَ الهَوَالِكِ
* يَا شَرَّ أَحْيَاءٍ وَشَرَّ هَالِكِ *

قال: وأنشدها السَّنْدَرِيُّ يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال: [الرجز]

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ أَنَا الفَتَى الجَعْدُ الطويلُ الجعفريّ

---

(١) السَّقب: الطويل من كل شيء. والعرعر: شجر يشبه السرو لا ساق له ينبت في الجبال.
(٢) المطرّف: المكتسب حديثاً.
(٣) الجَلْدَة: الناقة الغزيرة اللبن أو الصلبة القويّة على السير. والسَّقْب: ولد الناقة.
(٤) السُّورة: المنزلة الرفيعة.

* مِـنْ ولـدِ الأَحْـوَصِ أَخْـوَالـي غَـنِـيّ *

فقال عامر: أجب يا لَبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السَّندريّ كانت جَدته أمة اسمها عَيْساء، فقال: [الطويل]

لَـمَّـا دَعَـانِـي عَـامِـرٌ لأَسُبَّـهُـمْ أَبَيتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْساءَ ظَالِـمَا
لِكَيْمَا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي وَأَشْتُمَ أَعْمَاماً عُمُوماً عَمَاعِمَا[١]
وَأُنْشِرَ مِنْ تَحْتِ القُبُورِ أُبُوَّةً كِراماً هُمْ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ وَلِيداً وسَمَّونِي مُفِيداً وَعَاصِمـا
أَلاَ أَيّنَا مَا كَانَ شَرّاً لِمَالِكٍ فَلا زَال في الدُّنْيا مَلُوماً وَلائِمَا

قال: ووثب الحُطَيئة، فقال: [الطويل]

ما يَحْبسُ الحُكَّامُ بِالفَضْل بَعْدَمَا بَدَا سَابِقٌ ذو غُرَّةٍ وَحُجُولِ[٢]

وقال أيضاً: [البسيط]

يا عَامِ قَدْ كُنْتَ ذا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ[٣]
جَارَيْتَ قَرْماً أَجَادَ الأَحْوَصَان بِهِ سَمْحَ اليَدَيْنِ وَفي عِرْنِينِهِ شَمَمُ[٤]
لا يَصْعُبُ الأَمْرُ إلاّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَلاَ يَبِيتُ عَلَى مَالٍ لَهُ قَسَمُ
هَابَتْ بَنُو مالِكٍ مَجْداً وَمَكْرُمَةً وَغَايَةً كَانَ فيها المَوْتُ لَوْ قَدِمُوا
وَمَا أَسَاءُوا فِراراً عَنْ مُجَلِّحَةٍ لا كَاهِنٌ يَمْتَرِي فِيهَا وَلاَ حَكَمُ[٥]

[دهاء هرم ورفقه]

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر، فأتاه سرّاً، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنتُ أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لا تفخَر أنت وقومُك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟

(١) عموماً: مجتمعين. والعماعم: الجماعات المتفرّقة.
(٢) الحُجول: جمع الحَجْل: البياض في رجل الفرس.
(٣) ذو باعٍ: ذو كَرَم وقدرة.
(٤) العِرنين: الأنف.
(٥) المُجَلِّحة: المصيبة التي تستأصل كلّ شيء.

قال عامر: أَنشُدُكَ الله والرَّحِم أن لا تُفَضِّل عليّ علقمة، فوالله لئِن فعلت لا أُفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجزُزها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه يُنَفِّره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سِرّاً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيراً، وأن لكَ رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخرُ رجلاً هو ابن عمّك في النَّسَبِ؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غَناءً، وأحمَدُهم لِقاءً؟ فما الذي أنت به خير منه؟، فقال له علقمة: أَنشُدك الله والرَّحِم ألاّ تُنَفِّر عليّ عامراً. اجزُز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضِّل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: ولمَ يا هرِم؟ قال: لأنه أنجل منك عَيْناً في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو أكثر منك نائلاً في الثّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: ولم يا هَرم؟ قال: هو أنفذ منك لساناً، وأمضى منك سِناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكُماة، وأفك منك للعُناة.

قال: ثم إنَّ هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مَقالة، فإذا فعلتُ فليطردْ بعضكم عَشْر جَزائر(١) فلْينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحَرها عن عامر، وفَرِّقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هَرِمٌ، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لَبيد فقال: [الرجز]

يا هرمَ ابْنَ الأَكْرَمينَ مَنصِبَا ... إنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ حُكْماً مُعْجِبَا
فَاحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأسَ مَنْ تَصَوَّبَا ... إنَّ الَّذي يَعْلو عَلَيْنَا تُرْتُبَا(٢)
لَخَيْرُنَا عَمّاً وَأُمّاً وَأَبَا ... وَعَامِرٌ خَيْرُهُمَا مُرَكَّبَا

(١) ترتبا: أبداً، أو جميعاً.

* وَعَـامِـرُ أَدْنـي لِـقَـيْـسٍ نَـسَـبـا *

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم، تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سَيِّدٌ كريمٌ.

وعمَدَ بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنحروها حيث أمرهم هرِم عن علقمة عشراً، وعن عامر عشراً، وفَرَّقوا الناسَ، فلم يُفَضِّلْ هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عَمٍّ، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحَيَّيْنِ شَرّاً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معديكرب بما أعطاه طلب الجِوارَ والخُفْرة[1] من علقمة، فلم يكنْ عنده ما طلب، وأجاره وخَفَره عامر، حتى إذا أدَّاه وماله إلى أهله قال: [السريع]

عَـلْـقَـمَ مَـا أَنْـتَ إِلَـى عَـامِـرِ   الـنَّـاقِـضِ الأَوْتَـارِ والـوَاتِـرِ

ثم أتَمَّها بعد النِّفَارِ. فلمّا بلغ علقمةَ ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هرِماً قد فَضَّلَ عامراً، توعَّد الأعشى، فقال الأعشى:

* لَعَمْري لَئِنْ أُمْسِي مِنَ الحَيِّ شَاخِصَا *

قال ابن الكلبي: حدّثني أبي قال: فعاش هرِم حتى أدركَ سلطانَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أيَّ الرجلين كنت مفضّلاً لو فضّلتَ؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة، ولبلغتْ شِعافَ هَجَر. فقال عمر: نِعْمَ مستودعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم، مثلُ هذا فليَسُدِ العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضِع القوم أحكامهم.

[إسلام علقمة وردّته ثم إسلامه]

قال مؤلف الكتاب: وقد أدركَ علقمةُ بن عُلاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتدّ فيمن ارتدَّ من العرب. فلمّا وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كلاب

---

(١) الخُفْرَة: المجير والحامي.

ليوقع بهم، وعلقمة يومئذ رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، فأعلمه أنه قد نَزَع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمّنه. هكذا ذكر المدائنيّ.

وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

حَدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال: حَدَّثنا السريّ بن يحيى، قال: حَدَّثنا شعيب بن إبراهيم، عن سَيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال: كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومن لآَفَّها[1]، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتدَّ في حياة النبيّﷺ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مرتدّاً، فلما تُوفّيَ النبيﷺ أقبل مسرعاً، حتى عسكر في بني كعب، مُقَدِّماً رجلاً ومؤخراً أُخرى، وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فبعث إليه سريّة، وأمّر عليها القَعقاع بن عمرو، وقال: يا قعقاع، سِرْ حتى تغير على علقمة بن علاثة، لعلك تأخذه لي أو تقتله. واعلم أن شفاء النفس الحُوص، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السَّرِيّةِ حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل، فسابقهم على فرسه مراكضةً، وأسلم أهله وولده، واستبى القعقاعُ امرأة علقمة وبناتِه ونساءه ومَنْ أقام من الرجال، فاتَّقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، فجحدتْ زوجته وولده أن يكونوا مالأُوا علقمة على أمره، وكانوا مقيمين في الدار، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك، وقالوا لأبي بكر: ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه.

أخبرنا الحَرَمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: كان رسول اللهﷺ ربما حدّث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويُصغِي إليهم ويتبسَّمُ، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة، علقمةَ بن عُلاثة، ومديحه عامر بن الطفيل: [السريع]

عَلْقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ … النَّاقِضِ الأَوْتَارِ والوَاتِرِ
إِنْ تَسُدِ الحُوصَ فَلَمْ تَعْدُهُمْ … وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وأَلْفَى رَهْطَهُ سَادَةً … وَكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

فقال رسول اللهﷺ: **«كُفَّ عن ذِكره يا حسان، فإنَّ أبا سفيان لما شَعَّثَ منّي**

(١) مَنْ لافَّها: من والاها.

عند هرقل، رَدَّ عليه علقمة»، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يدُه فقد وجبَ علينا شكره.

[ابن علقمة يجزي الحطيئة عن أبيه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثنا المدائني، عن أبي بكر الهذليّ قال:

لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة، لأقصده به، فقد منعتني التكسّبَ بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثمَ، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع لي إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله: [الطويل]

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... بِحَوْرانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لا أَمْلَلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ ... فَمَا في حَياةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيتُكَ سَالِماً ... وَبَيْنَ الغِنَى إلاّ لَيالٍ قَلاَئِلُ

فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننتَ أن علقمة يعطيك؟ قال: مِئة ناقة. قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها.

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير بن بكار قال: حدَّثني عمر بن أبي بكر قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا: لما قدمَ علقمة بن عُلاثة المدينة، وكان قد ارتدَّ عن الإسلام، وكان لخالد بن الوليد صديقاً، لَقِيَهُ عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عنه في المسجد في جوف اللّيلِ، وكان عمر يُشَبَّهُ بِخالد، وذلك أن أمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلَّم عليه، وظنَّ أنه خالد، فقال: أَعَزَلَكَ؟ قال: كان ذلك. قال: والله ما هو إلاّ نفاسةٌ[1] عليك، وحسدٌ لك. فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: مَعاذ الله، إنَّ لِعمرَ علينا سمعاً وطاعة، وما نخرج إلى خلافه. فلمَّا أصبحَ عمر رَضِيَ الله عنه أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى

(١) نفاسة عليك: حقد وحسد.

جنب خالد، فالتفتَ عمرُ إلى علقمة فقال: إيهِ يا علقمة، أأنتَ القائلُ لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال: يا أبا سليمان، أفعلتها؟ قال: وَيْحَكَ والله ما لَقِيتُكَ قبل ما ترى، وإني لأراك لقيتَ الرجل. قال: أُراه والله. ثم التفت إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما سمعتَ إلاَّ خيراً. قال: أجل فهل لك أن أُوَلِّيكَ حَوْران؟ قال: نعم. فولاَّه إيَّاها، فمات بها. فقال الحطيئة يرثيه: [الطويل]

لَعَمْري لَنِعْمَ الحَيُّ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... بِحَوْران أَمْسَى أَقْصَدَتْهُ الحَبَائِلُ
لَقَدْ أَقْصَدَتْ جُوداً وَمَجْداً وَسُؤْدَداً ... وَحُلماً أَصيلاً خَالَفَتْهُ المَجَاهِلُ
فَإِنْ تَحيَ لاَ أَمْلَلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ ... فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وفي أول هذه القصيدة التي رَثَى بها الحطيئة علقمة غِناء نسبْته:

صوت

[الطويل]

أَرَى العِيسَ تَخْدِي بَيْنَ قَوٍّ فَضَارِجٍ ... كَمَا لاحَ في الصُّبْحِ الأشاءُ الحَوَاملُ[1]
فَأَتْبَعْتُهُمْ عَيْنَيَّ حَتَّى تَفَرَّقَتْ ... مَعَ اللَّيْلِ عَنْ ساقِ الفَرِيدِ الجَمَائِلُ
فَلأْياً قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ ... أَمُونٍ إذا وَاكَلْتُهَا لا تُوَاكِلُ[2]

غَنَّى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوُسْطى، من رواية حَمَّاد بن إسحاق والهشامي.

❀ ❀ ❀

صوت

[الخفيف]

لَيْتَ شِعْري أَفَاحَ رائِحَةُ المِسْـ ... ـكِ وَمَا إِنْ إِخَالُ بِالخَيْفِ إِنْسِي[3]
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهَالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ
خُطَبَاءُ عَلَى المَنَابِرِ فُرْسا ... نٌ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

(١) قَوّ: وادٍ بين فيد والنباج (معجم البلدان ٤: ٤١٥). وضارج: بين المدينة واليمن (معجم البلدان ٣: ٤٥٠). والأشاء: جمع أشاءة: صغار النخل.
(٢) اللأيُ: الشدّة والضّيق. والجَسْرة: الضخمة من الجمال. والأمون: المطيّة المأمونة.
(٣) الخيف: هو خيف بني كنانة بمنى (معجم البلدان ٢: ٤١٢).
(٤) جمع: اسم للمزدلفة.

إخالُ: أظنُّ. خِلْت كذا وكذا، فأنا إخاله: إذا ظَنَنْتُه، وخال عَلَيَّ الشَّيءُ يَخِيلُ: إذا شككتُ فيه. وليت شِعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبُّ علمه، وتسأل عنه.

وأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال: حَدَّثني عُمَر بن شَبَّة قال: سأل رجل أبا عبيدة: ما أصل «ليت شِعري»؟ فقال: كأنه قال: ليتني شَعَرْتُ بكذا وكذا، ليتني علمتُ حقيقته.

الشعر لأبي العباس الأعمى، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالبنصر في مَجراها.

أخبار أبي العباس الأعمى

[توفي نحو ١٤٠ هـ/ نحو ٧٥٧ م]

[نسبه وروايته الحديث]

هو السائب بن فَرُّوخ مولى بني لَيث، وقيل إنه مولى بني الدِّيل، وهذا القول هو الصحيح.

ذكر محمد بن معاوية الأسَديّ، عن المدائنيّ والواقديّ: أنَّ أبا العبَّاس الأعمى الَّذي يَروي عنه حَبيب بن أبي ثابت، مولى جَذِيمة بن عليّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أميةَ المعدودين، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: [الوافر]

لَـعَـمْـرُكَ إنَّـنِـي وَأَبَـا طُـفَـيـلٍ ... لَـمُـخْـتَـلِـفَـانِ، واللهُ الـشَّـهِـيـدُ
أَرَى عُـثْـمَـانَ مُـهْـتَـدِيـاً وَيَـأْبَـى ... مُـتَـابَـعَـتِـي وآبَـى مَـا يُـرِيـدُ

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

وقد رَوَى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد

الله بن عمر، قال: إنما جَمْعٌ[١] منزل تُدْلِجُ منه إذا شئت.

قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن دَلان الخَيشي، قال: حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو ضمرة قال: حدّثني أبو الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي ذئب، عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي بن أبي طالبعليه السلام: قال رسول اللهﷺ: **«إسباغُ الوضوءِ على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسلُ الخطايا غسلاً»**[٢].

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدّثنا أبو قِلابة قال: حدّثنا بشر بن عمر قال: حدّثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت أبا العباس السَّائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدّث عن عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبيﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: **«أحيٌّ والداك؟»** قال: نعم. قال: **«فيهما فجاهدْ»**.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجيّ بجُرجان قال: حدّثني مسلم بن الوليد الأنصاريّ قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهديّ يقول: سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشأم أيام مَروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني: **[الخفيف]**

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةُ الـمِسـ ... ـكِ وَمَا إِنْ إِخَالُ بِالخَيْفِ إِنْسِي
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهَالِيلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ
خُطَبَاءُ عَلَى المَنَابِرِ فُرْسَا ... نَ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ
لا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإِنْ قَا ... لوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولوا بِلَبْسِ[٣]
بِحُلُومٍ إذا الحُلُومُ تَقَضَّتْ ... ووجوهٍ مِثْلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ[٤]

---

(١) الحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٢: ٣٠١ و ٥: ٢٧٠، وابن ماجة في سننه ٤٢٧، وابن كثير في تفسيره ٢: ١٧٠.

(٢) اللَّبْس: الشبهة وعدم الوضوح.

(٣) الحلوم: العقول.

(٤) زرود: جبل بين ديار بني عبس وديار بني يربوع (معجم ما استعجم ص ٦٩٦).

ويروى مكان «تقضت»: اضمحلت. قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهّمتُ أن العَمَى قد أدركني، وافترقنا. فلمّا أفضتِ الخلافةُ إليّ خرجت حاجاً، فنزلت أمشي بِجَبَلَيْ زَرُود[1]، فبصُرت بالضرير، ففرّقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت: أتعرفني؟ قال: لا. فقلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان. فقال: أَوَّهْ: [الكامل]

آمَتْ نِسَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْهُمُ ... وَبَنَاتُهُمْ بِمَضِيعَةٍ أَيْتَامُ[2]
نَامَتْ جُدودُهم وَأَسْقِط نَجْمُهُمْ ... والنَّجْمُ يَسْقُط والجُدودُ تَنامُ[3]
خَلَتِ المَنَابِرُ والأَسِرَّةُ مِنْهُمُ ... فَعَلَيْهِمُ حَتَّى المَمَاتِ سَلامُ

فقلت: وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة، فأمسكت عنه، وغاب عن عيني، فبدا لي فيه، فأمرت بطلبه، فكأنما البيداء بادت به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: هَوِيَ أبو العباس الأعمى أمرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أطمعيه. فأطمعته. ثم قال: أرسلي إليه فليأتكِ. فأرسلت إليه، فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك قد وُصِفْتِ لنا وما نراك، فألمسينا. فأخذت يده، فوضعتها على أير زوجها، فنفر، وعلم أنْ قد كِيدَ، فنهض من عندها، وقال:

صوت

[الوافر]

عَلَيَّ أَلِيَّةٌ مَا دُمْتُ حَيًّا ... أَمَسُّك طَائِعاً إلاّ بِعُودِ
وَلاَ أُهدِي لأَرْضٍ أَنْتِ فِيهَا ... سَلامَ اللهِ إلاَّ مِنْ بَعِيدِ
رَجَوْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَفِّي ... عَلَى أَيْرٍ أَشَدَّ مِنَ الحَدِيدِ
فَخَيْرٌ مِنْكِ مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ ... وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكُمْ قُعُودِي

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعيّ غيرَ مذكور راويها عنه. وزعم أن

(١) آمت المرأة: فقدت زوجها.
(٢) الجدود: جمع الجدّ: الحظ.
(٣) ضَرَّها: قصّرها.

بشاراً صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسمّيه البَرَدان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشقَ هذه المرأة وقد سمع كلامها. ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيه: فلما وصل إليها أنشأ يقول: [الوافر]

مُلَيْكَةُ قَدْ وُصِفْتِ لَنَا بِحُسْنٍ ... وَإِنَّا لا نَراكِ فَألْمِسِينا

فأخذ زوجها يده، فوضعها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات، لحناً من خفيف الثقيل، بالسبابة في مجرى الوسطى، ولم ينسبه إلى أحد. ووجدته في غناء عَمْرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال: قال أبو العباس الأعمى، مولى بني الدِّيل بن بكر، يَحضُّ بني أميةَ على عبد الله بن الزُّبير: [الكامل]

أَبَنِي أُمَيَّةَ لا أَرَى لَكُمْ ... شِبْهاً إذا مَا الْتَفَّتِ الشِّيَعُ
سَعَةً وأحْلاماً إذا نَزِعَتْ ... أَهْلُ الحُلُومِ فَضَرَّها النَّزَعُ[1]
وَحَفِيظَةً فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... شَهْبَاءَ لا يُنْهَى لَهَا الرُّبَعُ
اللهُ أَعْطَاكُمْ وَإِنْ رغِمَتْ ... مِنْ ذاكَ أَنْفُ مَعَاشِرٍ رَتَعُوا
أَبَنِي أُمَيَّةَ غَيْرَ أَنَّكُمُ ... والنَّاسُ فيمَا أُطمِعُوا طَمِعُوا
أَطْمَعْتُمُ فيكمْ عَدُوَّكُمُ ... فَسَمَا بِهِمْ فِي ذاكُمُ الطَّمَعُ
فَلَوَ انَّكُمْ كُنْتُمْ لِقَوْلِكُمُ ... مِثْلَ الَّذي كَانوا لَكُمْ رجَعوا
عَمَّا كَرِهْتُمْ أَوْ لَرَدَّهُمُ ... حَذَرُ العُقُوبَةِ إِنَّهَا تَزَعُ

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية، وهجاء آل الزُّبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، ليس ذكرها مما قصدنا له.

[هجاؤه لابن الزبير والمجاشعي]

ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحْرز قال: حَدَّثنا المدائنيّ، عن جُوَيْرية بن أسماء: أن ابن الزبير رأى رجلاً من حُلفاء بني أسد بن عبد العُزَّى في حالة رَثَّة،

---

(١) الحمالة: الدية أو الغرامة يحملها قوم عن قوم.

فكساه ثوبين، وأمر له بِبُرٍّ وتمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

صوت

[الطويل]

كَسَتْ أَسَدٌ إِخوانَها ولَوَ أنّني   بِبَلْدةِ إخوانِي إذاً لَكُسِيتُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ حيٍّ تَحَمَّلوا   إلى الشَّأمِ مَظْلومينَ مُنْذُ بُرِيتُ

غَنَّى في هذين البيتين دُحمان ثقيلَ أول بالبنصر، من رواية ٱبن المكي، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضاً.

وقال محمد بن معاوية: حدّثني المدائنيّ قال: قدِم البَعِيثُ المجاشعيّ مكة، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه، وتَقَرُّباً إلى بني أميّة بِبرِّه. قال: فصلّى البعيثُ مع الناس، وسأل في حمالة[1] كانت عليه، وكان سَؤُولاً ملحًّا شديد الطمع، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه، فيقول: لا أقبله إلاّ أن تجيءَ معي إلى الصرَّافِ حتى ينقده ويزنه، فإن لم يفعل ذَمَّهُ وهجاه. فشكوه إلى أبي العباس الأعمى، فقال: قودوني إليه، ففعلوا. فلمّا عرفَ مجلسه رفع عصاه، فضرب بها رأسه، ثم قال له:

[الطويل]

فَهَلْ أَنْتَ إلاَّ مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ   نَفاكَ جَرِيرٌ فَاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

* نفاك جريرٌ بالهجاءِ إلى نجدِ *

ويروى:

تَظَلُّ إذا أُعْطيتَ شَيْئاً سَأَلْتَهُ   تُطالبُ مَنْ أَعْطَاكَ بالوَزْنِ والنَّقْدِ
فَلاَ تَطْمَعَنْ مِنْ بَعْدِ ذا في عَطِيّةٍ   وَثِقْ بِقَبيحِ المَنْعِ والدَّفْعِ والرَّدِّ
فَلَسْتَ بِمُبْقٍ في قُريشٍ خِزَايَةً   تُذَمُّ وَلَوْ أبْعَدْتَ فيه مَدَى الجَهْدِ

قال فتضاحكَ به مَن حضر، واستحيا ولم يُحِرْ جواباً. فلما جَنَّ اللَّيلُ عليه هربَ من مكة.

---

(١) الخِرق: السيّد الكريم.

وقال قعنب بن المحرز: حدّثني المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدِّيل: أنشدني مديحك مُصْعَباً. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمتَ أن هوايَ أمويّ. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فأنشده. [الخفيف]

يَرْحَمُ اللهُ مُصْعَباً فَلَقَدْ مَا ... تَ كريماً وَرَامَ أَمْراً جَسِيمَا

فقال عبد الملك: أَجَلْ، لقد مات كريماً. ثم تمثل: [الطويل]

وَلكِنَّهُ رَامَ الّتي لا يَرومُهَا ... مِنَ النَّاس إلاَّ كُلُّ خِرْقٍ مُعَمَّمِ(١)

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزبان. قال: حدّثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لمَّا حَجَّ عبدُ الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلّموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مَرْحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر المُلْحِدِ المُحِلِّ حيث كسا أشياعه ولم يكسُك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ٱبن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم، إلاَّ كسا أبا العباس.

فخُلِعت والله حُلَلُ الوشي والخز والقُوهِيّ، وجُعِلَتْ تُرمَى عليه، حتى إذا غَطَّتْهُ نهضَ فجلس فوق ما ٱجتمع منها وطُرِحَ عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما سَتَر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حَدَّثني علي بن محمد بن سليمان النوفليّ. قال: حدّثني أبي وأهلي: أن عبد الله بن الزبير لمّا غلبَ على الحِجازِ، جعل يتتبعُ شيعة بني مروان، فينفيهم عن المدينة ومكّة، حتى لم يبقَ بهما أحدٌ منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نَبْذٌ من كلام، وأنه يكاتب بني

(١) بعيدات: من ظروف الزمان ومعناه: بعد حين.

مروان بِعَوراته، ويمدح عبد الملك، وتجيئه جوائزه وصِلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، وهَمَّ به، ثم كُلِّمَ فيه، وقيل له: رجل مضرورٌ. فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير: [الطويل]

بَنِي أَسَدٍ لا تَذْكُروا الفَخْرَ إنَّكُمْ ... مَتَى تَذْكُروهُ تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا
بُعَيْداتِ بَيْنٍ خَيْرُكُمْ لِصَديقِكُمْ ... وَشَرُّكُمْ يَغْدو عَلَيْهِ وَيَطْرُقُ[1]
مَتَى تُسْأَلُوا فَضْلاً تَضَنُّوا وَتَبْخَلُوا ... وَنيرانُكُمْ بالشَّرِّ فيها تَحَرُّقُ
إذا اسْتَبَقَتْ يَوْماً قُرَيشٌ خَرَجْتُمُ ... بَني أَسَدٍ سُكْتاً وَذُو المَجْدِ يَسْبِقُ
تجيئونَ خَلْفَ القَوْمِ سُوداً وجُوهُكُمْ ... إذا مَا قريشٌ للأَضامِيم أَصْفَقُوا[2]
وَمَا ذاكَ إلاَّ أَنَّ لِلُّؤمِ طَابَعاً ... يَلُوح عَلَيْكُمْ وَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ

[أبو العباس وعمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني عمي مُصْعَب قال:

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن [الرمل]

أَفْتِني إنْ كُنْتَ ثَقْفاً شَاعِراً ... عَنْ فتىً أَعْرَجَ أَعْمَى مُخْتَلِفْ[3]
سَيِّىءِ السَّحْنَةِ كَابٍ لَوْنُهُ ... مِثْلِ عُودِ الخِرْوَعِ البَالي القَصِفْ[4]

فقال أبو العباس يرد عليه: [الطويل]

أَنْتَ الفَتَى وابْنُ الفَتَى وَأَخُو الفَتَى ... وَسَيِّدُنا لَوْلا خَلائِقُ أَرْبَعُ
نُكُولُكَ في الهَيْجَا وَتَقْوالُكَ الخَنَا ... وَشَتْمُكَ لِلْمَوْلَى وَأَنَّك تُبَّعُ[5]

قال الزبير: يقال رجل تبْعُ نساءٍ وتُبَّعُ نساءٍ: إذا كان كَلِفاً بهن.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي قال: حدّثني المكيّون: أن عمر بن أبي ربيعة كان يُرامي جارية لأبي العباس الأعمى ببنادق[6] الغالية فبلغ ذلك أبا العباس، فقال لقائده: قفني على باب بني مخزوم، فإذا مَرَّ عمر بن أبي

(١) الأضاميم: جمع إضمامة: الجماعة. وأصفقوا لهم: جاءوهم بطعام يشبعهم.
(٢) الثَّقف: الحاذق.
(٣) السَّحنة: اللون.
(٤) النُّكول: الجبن. والخنا: الفحش في الكلام.
(٥) البنادِق: جمع البندقة، كل ما يُرص به من رصاص كرويّ وسواه (فارسيّة).
(٦) الحُجزَة: موضع شدّ الإزار من وسط الإنسان.

ربيعة، فضع يدي عليه، فلما مَرَّ عمر وضع يده عليه، فأخذ بِحُجْزته[١]، وقال:

[الوافر]

أَلاَ مَـنْ يَـشْـتَـرِي جَـاراً نَـؤوماً   بِـجَـارٍ لا يَـنَـامُ ولا يُـنِـيـمُ
وَيَـلْـبَـسُ بِـالـنَّـهـارِ ثِـيَـابَ نَـاسٍ   وَشَـطْـرَ الـلَّـيـلِ شَـيْـطَـانٌ رَجِـيـمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكوا فمه، وضَمِنُوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه.

صوت

[الطويل]

أَلاَ حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الحَبيبِ المَغانيا   لَبِسْنَ البلَى لَمّا لَبِسنَ اللَّيالِيَا
إذا مَا تَـقَـاضـى الـمَـرْءَ يَـوْمٌ وَلَـيْـلَـةٌ   تَـقَـاضَـاهُ شَـيءٌ لا يَـمَـلُّ الـتَّـقَـاضِـيَـا

الشعر لأبي حيَّةَ النُّميريّ، والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ، خفيفُ رَمَل بالبنصر، عن الهشاميّ.

(١) نبا السيفُ عن المضروب: لم يُصِبْهُ.

أخبار أبي حَيَّة النُّمَيرِيِّ ونسبه

[توفي نحو ١٨٣ هـ/ نحو ٨٠٠ م]

[اسمه ونسبه ومكانته في الشعر]

أبو حَيَّة: الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار.

وكان يقال لمالك الأصقع. وقال قوم: إنَّ الأصقعَ هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب.

وأبو حَيَّة شاعرٌ مُجِيدٌ مُقدَّمٌ، من مُخَضْرمي الدّولتين: الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً، من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً بخيلاً كَذَّاباً، معروفاً بذلك أجمع، وكان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه، وقيل إنه كان يُصْرَعُ.

[سيفه لَعَّاب المنيّة، وبعض طرائف من أخباره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قالوا: كان لأبي حَيَّةَ سيف يسميه لعابَ المَنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان من أجبن الناس.

قال: فحدّثني جارٌ له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنه لصّاً، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفَه لَعّابَ المَنِيَّة، وهو واقفٌ في وسط الدار وهو يقول: أيها المغترّ

بنا، والمجترىء علينا، بِئْسَ والله ما اخترتَ لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعّاب المنيّة الذي سمعت به، مشهورة ضربْتُه، لا تُخاف نَبوته[1] اخرجْ بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إنِّي والله إن أدْعُ قيساً إليك لا تَقُمْ لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً، سبحانَ الله! ما أكثرها وأطيبها! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال: حدّثني أبو عثمان المازنيُّ قال: حدّثني سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال: قال أبو حَيَّة النميريّ: أتدري ما يقول القَدَرِيّون؟ قلت: لا. قال: يقولون: الله لا يكلّفُ العبادَ ما لا يُطيقون، ولا يسألهم ما لا يَجدون، وصدق والله القَدَريّون، ولكني لا أقول كما يقولون.

قال محمد بن علي بن حمزة: وحدّثني أبو عثمان قال: قال سَلَمة بن عياش لأبي حية النُّميريّ: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إني أشعر منك. قال: إنا لله! هلكَ والله الناس!

قال: وكان أبو حَيَّة النميريّ مجنوناً يُصْرع، وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: سمعت عَمّي يقول: أبو حَيَّة في الشعراء كالرجل الرَّبْعة، لا يُعَدُّ طويلاً ولا قصيراً.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر في عُظْم الشعر من الرَّاعي.

أخبرني الحسن بن عليّ وعليّ بن سليمان الأخفش، قالا: حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حدّثني عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل. وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم، قالوا: كان أبو حَيَّة النميريّ من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حَيَّة، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتكَ، فما نصنع بك؟ قال: أبعدها الله إذن!

قال: وحَدَّثنا يوماً قال: عَنَّ لي ظَبْيٌ يوماً فرميته، فراغ[2] عن سهمي،

(١) راغ الصيد: ذهب هنا وهناك في سرعة وخداع.
(٢) القُذَذُ: جمع القُذَّة: ريش السهم.

فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجَبَّانات.

قال: وقال يوماً: رميتُ والله ظبية، فلَمّا نفذ سهمي عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدَوتُ خلفَ السّهم، حتى قبضتُ على قُذَذه[1] قبل أن يدركها.

وذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: قال الرياشيّ، عن الأصمعيّ قال: وفد أبو حيّة النميريّ على المنصور وقد امتدحه، وهجا بني حسن بقصيدته التي أولها: [البسيط]

عُوجَا نُحَيِّ دِيَارَ الحَيِّ بالسَّنَدِ ... وَهَلْ بِتِلْكَ الدِّيارِ اليومَ مِنْ أَحَدِ[2]

يقول فيها:

أَحِينَ شِيمَ فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ تِرَةً ... سَيْفٌ تَقَلَّدَهُ الرِّئْبَالُ ذو اللِّبَدِ[3]
سَلَلْتُمُوهُ عَلَيْكُمْ يا بَنِي حَسَنٍ ... مَا إِنْ لَكُمْ مِنْ فَلاحٍ آخِرَ الأَبَدِ
قَدْ أَصْبَحَتْ لبَنِي العَبَّاسِ صَافِيَةً ... لِجدْعِ آنَافِ أَهْلِ البَغْيِ والحَسَدِ
وَأَصْبَحَتْ كَلَهاةِ اللَّيثِ فِي فَمِهِ ... ومَنْ يُحَاوِلُ شيئاً في فَمِ الأَسَدِ؟[4]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل؛ فاحتجن لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة، فشرب عند خَمّارة بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، وأحب أن يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة[5]، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القوّاد، ففعلت وشَرِهَتْ إلى فضل النسيئة، وكان لأبي حَيَّةَ أير كعنق الظليم[6]، فأبرز لها عنه، فتدلَّهَتْ، وكانت كلما سقته خَطَّتْ في الحائط؛ فأنشأ أبو حَيَّة يقول: [الوافر]

إذا أَسْقَيْتِنِي كُوزاً بِخَطٍّ ... فَخُطِّي ما بَدا لَكِ في الجِدَارِ
فَإِنْ أَعْطَيْتِنِي عَيْناً بِدَيْنٍ ... فَهَاتي العَيْنَ وانتظِرِي ضِمَارِي[7]

---

(١) السَّنَد: ماء لبني سعد، وقيل: قرية من قرى هراة (معجم البلدان ٣:٢٦٨).
(٢) شام السيفَ: أدخله في غمده. والتِّرَة: الثأر والعداوة. والرِّئبال: الأسد.
(٣) اللَّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٤) النسيئة: التأخير في دفع الثمن.
(٥) الظليم: ذَكَر النعام.
(٦) الضِّمار: الدين الذي لا يُرجى حصوله.
(٧) العُجَر: جمع العجرة: العروق المتعقّدة في الجسد.

خَرَقْتُ مُقَدّماً مِنْ جَنْبِ ثَوْبِي ... حِيَال مَكَانِ ذاكَ مِنَ الإزارِ
فَقَالَتْ وَيْلَها: رَجُلٌ وَيَمْشِي ... بِمَا يَمْشِي بِهِ عُجَرُ الحِمَارِ[1]
وَقَالَتْ: مَا تريدُ؟ فَقُلْتُ: خَيْراً ... نَسِيئَةَ مَا عَلَيّ إلى يَسَارِي
فَصَدَّتْ بَعْدَمَا نَظَرَتْ إلَيْهِ ... وَقَدْ أَلْمَحْتُها عُنُقَ الحُوارِ

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: لَقِيَ ابنُ مناذر أبا حَيَّة، فقال له: أنشدني بعضَ شعرك. فأنشده:

* ألاَ حَيِّ مِنْ أَجْلِ الحَبيبِ المَغَانِيَا *

فقال له ابنُ مناذر: وهذا شعر؟ فقال أبو حَيَّة: ما في شِعري عيبٌ هو شَرّ من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حَيَّة: قد عرفتك ما قصتك.

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، ويذكر يوم النَّشَّاش[2]، وهو يوم لبني نُمَير.

---

(١) النَّشَّاش: وادٍ كثير الحمض كانت فيه وقعة بين بني نمير وأهل اليمامة (معجم البلدان ٥: ٢٨٦).
(٢) الخَيْم: جمع الخيمة: بيت من شعر أو نحوه من النسيج. والسُّفع: حَبّ الحنظل.

أخبار أحمد بن يحيى المكّي

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكيّ، ويكنى أبا جعفر، وكان يلقب ظنيناً. وقد تقدَّم ذكر أبيه وأخباره. وهو أحد المحسنين المبرّزين، الرُّواة للغناء، المحكمي الصنعة. وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره، ويُشيدُ بِذكره، ويَجهر بتفضيله، وكتابه «المجرد» في الأغاني ونِسَبها أصل من الأصول المعمول عليها، (وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا، يقارب كتابه، ولا يقاس به)، وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته، أحد الضُّرَّابِ الموصوفين المتقدِّمين.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ، عن محمد بن أحمد المكيّ: أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونِسَبه وجنسه، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت.

أخبرني جحظة قال: حَدَّثني عليّ بن يحيى، ونسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكيّ قال: حدثني عليّ بن يحيى قال: قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً، كم كان يساوي؟ فقال: أُخبرك عن ذلك.

انصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلمَّا قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار. قال: ثم رجع فغَنَّى صوتاً، فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد، أضعفها. قال: ثم تغنّى صوتاً آخر، فقلت للحسن: يا أبا عليّ أضعفها. ثم أردت الانصراف، فقلت لأحمد: غَنِّني:

صوت

[البسيط]

لَولاَ الحياءُ وَأنَّ السَّتْرَ مِنْ خُلُقِي إذَنْ قَعَدْتُ إلَيْكَ الدَّهْرَ لَمْ أَقُمِ
أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكرٌ للّتي جَعَلَتْ مَا ابْيَضَّ مِنْ قَادِمَات الرَّأْسِ كالحُمَمِ

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك، وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشاميّ ودنانير وغيرهما.

قال: فغنّاه أحمد بن يحيى المكي، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا أبا عليّ، أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه، ولست أدري ما معناه. قال: نحن نبيعك ونشتريك منذُ الليلة وأنت لا تدري.

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ بن يحيى، عن أخيه أحمد بن عليّ، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم، قال:

كان إسحاق عندنا في منزل أبي عليّ الحسن بن وهب، وعندنا ظنِين بن المكيّ، وذكر الحديث مثله، وقال فيه: إنه قوَّمَهُ مِئةَ ألفِ درهم، وذكر أن الصوت الذي غناه آخِراً:

صوت

[الوافر]

أَمِنْ دِمَنٍ وَخَيْمٍ بَالِيَاتِ وَسُفْعٍ كالحَمَائِم جَاثِمَاتِ[1]
أَرِقْتَ لَهُنَّ شَطْرَ اللَّيلِ حَتَّى طَلَعْنَ مِنَ المَنَاقِبِ مُنجِداتِ

وأن إسحاق لمّا سمعه قال: كم كنت قَوَّمته؟ قال: مئة ألف درهم. قال: أضعفوا القيمة. قيمته مِئتا ألفِ درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بالسبابة في مجرى الوسطى، ينسب إلى ابن مِسجح، وإلى ابن محرز. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو. وللغريض خفيف ثقيل عن الهشاميّ.

---

(١) التلاحي: التنازُع.

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: ناظر أبي بعضَ المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم، وطال تلاحيهما[١] في الغناء، فقال أبي للمعتصم: يا أمير المؤمنين، مَنْ شاءَ منهم فَلْيُغَنِّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أُغنّي عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتاً منها. فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين. واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله. فأمر له بعشرين ألف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مُمَاظَّتِهِ[٢] يوماً، فقال له: قد دعوتك إلى النَّصَفة، فلم تقبلْ، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم منها صوتاً واحداً، كلها من الغناء القديم، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً، وأسكت المغنّين له، واستعاده مرات عدّة، ولم يزلْ يشربُ عليه سحابة يومه، وأمر ألاّ يراجعَ أحداً من المغنين كلاماً، ولا يعارضَه أحدٌ منهم، إذ كان قد أبرَّ عليهم، وأوضح الحجّة في انقطاعهم، وإدحاض حُجَجهم.

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه، وأمر له لما سمعه بألفي دينار:

صوت

[الخفيف]

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَلُومُ مُحِبًّا ... وَلَحَى اللهُ مَنْ يُحَبُّ فيَابَى
رُبَّ إِلْفَيْنِ أَضْمَرَا الحُبَّ دَهْراً ... فَعَفَا اللهُ عَنْهُمَا حينَ تَابا

الغناء ليحيى المكي رَمَل.

قال محمد، قال أبي: وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مَمَاطر[٣] لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن عليّ أن أرد عليه هذا الصوت، وجعل لي مِمْطره، فغنيته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا، أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني، فسلموه إليهم.

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن

(١) المُمَاظّة: المخاصمة والمشاتمة.
(٢) المَمَاطِر: جمع الممطرة: ما يُلبَس في المطر.
(٣) بخ: اسم فعل للمدح وإظهار الرضى ويكرَّر للمبالغة.

مالك قال: سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً: مَنْ بقي من المُغنين؟ قلت: وجْه القَرْعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر. فقال: صالح كَيِّس. ومَن أيضاً؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي. قال: بَخٍ بَخٍ[١]! ذاك المحسن المُجمل الضَّارب المغنّي القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المَجلس إلى غيره. ومن بأبي أنت؟ قلت: ابن مقامرة. قال: لا والله ما سمعت بهذا قَطُّ. فمن مُقامرة هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا. ولكنها من الناس، وليست من أهل صناعته. قال: ومن أيضاً بأبي أنت؟ قلت: يحيى بن القاسم ابن أخي سَلَمة. قال: الذي كان له أخ يغني مرتجِلاً؟ قلت: نعم. قال: لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قَطُّ، ولا أشك أن هذا كذلك، لأنهما مؤدِّباه.

وذكر ابن المكي عن أبيه قال: قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده: خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، ووليته المَصِيصَة[٢] ونواحيها. فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالدُ بن يزيد بن مَزْيد. فقال عَلُّويْهِ: يا أحمد غَنِّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه. فقال المعتصم: ما لكَ لا تجيبه؟ فقلت يا أمير المؤمنين، ليس هو مما يغنَّى بحضرة الخليفة. فقال: ما من أن تغنّيه بُدٌّ. قال: فغنيته صنعة لي في هذا الشعر:

صوت

[الخفيف]

عَلَّمَ النَّاسَ خَالِدُ بْنُ يَزيدٍ ... كُلَّ حُلْمٍ وَكُلَّ بَأْسٍ وَجُودِ
فَتَرى النَّاسَ هَيْبَةً حينَ يَبْدو ... مِنْ قِيَامٍ ورُكَّعٍ وَسُجُودِ

فقال المعتصم: يا سمانة، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال: وغَنَّى أبي يوماً محمداً الأمين:

(١) المصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام، وأيضاً قرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٥: ١٤٤).
(٢) لقحت الحرب: هاجت بعد سكون. وحالت الأنثى: لم تحملْ.

صوت [الطويل]

فَعِشْ عُمرَ نُوحٍ في سُرورٍ وَغِبْطَةٍ ... وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ في طُولِهِ إِثْمُ
تُسَاعِدُكَ الأَقْدَارُ فيهِ وَتَنْثَنِي ... إِلَيْكَ وَتَرعَى فَضْلَكَ العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخمس مئة دينار.

وتُوُفِّيَ أحمد بن يحيى المكّيّ في خلافة المستعين في أوّلها.

أخبرني بذلك جَحظة البرمكيّ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي: أن أباه تُوُفِّي في هذا الوقت.

انقضت أخباره.

صوت [الكامل]

إنَّ الذينَ غَدَوا بِلُبِّكَ غَادَروا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ مَا يَزَال مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي: ... مَاذا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينَا؟

غادروا: تركوا. والوشَل: الماء القليل. والمَعين: الماء الصافي الجاري. وغَيَّضْنَ من عبراتهن: أي كَفَفْنَها ومَسَحْنَها حتى تغيضَ.

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رَمَل بالوسطى، عن عمرو. وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ وعمرو. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملاً آخر، وذكر عيسى أن الثقيل الأوّل لإبراهيم، وأن فيه للهُذلِيّ ثاني ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضاً ماخوريّ بالبنصر.

[من غزل جرير]

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أن هذين البيتين لِلمَغْلوط، وأن جريراً سرقهما منه، وأدخلهما في شعره.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي

وغيره قالوا: غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ على أبي السَّائب المخزوميّ في منزله، فلما خرج إليه أبو السَّائب أنشده قول جرير: [الكامل]

إنَّ الـذيـنَ غَـدَوا بِـلُـبِّـكَ غَـادَروا وَشَـلاً بِـعَـيْـنِـكَ لا يَـزالُ مَـعـيـنـا

البيتين. فحلف أبو السَّائب ألاَّ يَردُ على أحد سلاماً، ولا يكلِّمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله. فخرجا، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاض، وكانا يُدْعيان القرينين لملازمتهما، فلمّا رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب ابن جندبَ: أن أخبرْه بالقصّة، وابن جُندَب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره بيميني. قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم ودخل منزله مغتماً. فلما أتى أبو السائب منزله، وبَرَّت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يردَّ شهادتي. فاستأذنا عليه، فأذن لهما فقال له أبو السائب: قد علمت ـ أعزَّكَ اللهُ ـ غرامي بالشعر؛ وإن هذا الضالّ جاءني حين خرجت من منزلي، فأنشدني بيتين، فحلفت ألاَّ أردَّ على أحد سلاماً، ولا أُكلّمه إلاَّ بهما، حتى أرجع إلى منزلي. فقال ابن المطلب: اللهم غَفْراً! ألا تترك المجون يا أبا السائب.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب قول جرير: [الكامل]

غَـيَّـضْـنَ مِـن عَـبَـراتِـهِـنَّ وقُـلْـنَ لِـي مـاذا لَـقـيـتَ مِـنَ الـهَـوَى وَلَـقـيـنـا!

فقال: يابن أخي، أتدري ما التَّغييض؟ قلت: لا. قال: هكذا، وأشار بأصبعه إلى جفنه، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

أخبرني الحَرَمي قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا المدائنيّ. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائنيّ قال: شهد رجلٌ عند قاضٍ بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عَتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدلٌ رِضاً. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد: [الكامل]

غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـراتِـهِـنَّ وقُـلْـن لِـي مـاذا لـقـيـتَ مِـنَ الـهَـوَى وَلَـقِـيـنـا!

فعلمت أن هذا لا يرسَخُ إلاّ في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا: كان أبو السائب المخزوميّ واقفاً على رأس بئر، فأنشده ابن جندب: [الكامل]

إنَّ الَّـذيـن غَـدَوْا بِـلُـبِّـكَ غَـادَروا وَشَـلاً بِـعَـيْـنِـكَ لا يَـزال مَـعِـيـنـا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأيٍ ما أخرجوه.

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا محمد بن الحسن الزُّرَقيّ قال: حدّثنا العلاء بن عمرو الزُّبَيريّ، من ولد عَمْرو بن الزبير، قال: حدّثنا يحيى بن أبي قُتيلة قال: حدّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن عليّ عليه السلام، عن أشعب قال: جاءني فِتيةٌ من قريش: فقالوا لي: نحبُّ أن تُسْمِعَ سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء، وتُعلِمنا ما يقول لك، وجعلوا لي في ذلك جُعْلاً. فدخلتُ عليه، فقلت: يا أبا عَمْرو، لي مجالسة وحرمة، ومودّة وسِنّ، وأنا مولع بالترنم. قال: وما الترنم؟ قلت: الغناء. قال: وفي أي وقت؟ قلت: في الخلوة، ومع الإخوان في الخارج. وأُحِب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكتُ عنه. ثم غنيته، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: وما غنيته؟ فقلت غنيته: [الخفيف]

قَـرِّبَـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعَـامَـةِ مِـنِّـي لَـقِـحَـتْ حَـرْبُ وائِـلٍ عَـنْ حِـيـالِ[1]

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، ولسنا نرضى. فلما رأيت دفعهم إياي، وخفت ذهاب ما جعلوا لي، رجعت إليه، فقلت، يا أبا عمرو، آخَر. قال: ما لي ولك؟ ولم أُملّكه أمره حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم فأعلمتهم قالوا: وما غنيته؟ قلت: [الخفيف]

لَـمْ يُـطِـيـقـوا أَنْ يَـنْـزِلـوا وَنَـزَلْـنـا وَأَخُـو الـحَـرْبِ مَـنْ أَطَـاقَ الـنُّـزُولاَ

قالوا: وليس هذا بشيء. فرجعت إليه، فقلت: آخَر. فاستكفَّني، فلم أُمَلِّكه

(١) الأبدة: الأمر الغريب.

القول حتى غنيته: [الكامل]

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذا لَقيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينا؟

فقال: مَهْلاً مَهْلاً. قلت: لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر. فقال: هو لك. فخرجت عليهم به، وأنا أخطِر. فقالوا: مه. فقلت: أطربتُ الشيخ حتى أعطاني هذا، وقال مرة أُخرى: حتى فرض لي هذا. قال: ووالله ما فعل، وإنما كان فِدْية لأصمت، وأخذت منهم الجُعْل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حُدِّثْتُ عن حمَّاد بن إسحاق قال: حدّثني عَلُّويه الأعسر قال: أتيت أباك في داره هذه يوماً وقد بنى إيوانَها وسائرها خراب، فجلسنا على تلٍّ من تراب، فغناني لحنه في: [الكامل]

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي مَاذا لقيتَ مِنَ الهَوَى وَلَقِينَا!

فسألته أن يعيده عليّ، ففعل. وأتانا رسول أبيه بطبقِ رُطَبٍ، فقال للرسول: قلْ له: سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثتَ به إليّ، فأبلغه الرسول ذلك، فقال له: ومن عنده؟ فأخبره أنني عنده. فقال: ما أخلقه أن يكون قد أتاني بآبدة[1]، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما آنَ لِرطبكم أن يأتينا؟ فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت، فغنيته إياه، فقال: أجاد والله. أألام على هذا وحبّه، والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته، فكيف وهو ابني؟

صوت

أَلَسْتَ تَرى يا ضَبُّ بِاللهِ أَنَّنِي مُصَاحِبَةٌ نَحْوَ المدينةِ أَرْكُبا
إذا قَطَعُوا حَزْناً تَخُبُّ رِكابُهم كَمَا حرَّكَتْ ريحٌ يَرَاعاً مُثَقَّبا[2]

عروضه من الطويل، والشعر لنائلة بنت الفَرافِصة، والغناء لابن عائشة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة.

(١) الحَزْن من الأرض: الغليظ في ارتفاع، واليراع: جمع اليراعة: القصب.
(٢) أي الشعر الذي سبق ذكره.

أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

[نسبها وزواجها من عثمان ولقاؤها به]

هي نائلة بنت الفَرافِصة بن الأحوص بن عمرو، وقيل: ابن عَفْر بن ثعلبة، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عديّ بن جَناب الكَلْبية، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقوله[1] لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه.

«بسم ٱلله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوّجتَ امرأةً من كَلْب، فاكتبْ إلَيَّ بنسبها وجمالها».

فكتب إليه:

«أما بعد، فإنَّ نسبها أنها بنت الفَرافصة بن الأحوص. وجمالُها أنها بيضاء مديدة القامة».

فكتب إليه: «إن كانت لها أخت فزوِّجْنيها».

---

(١) أي الشعر الذي سبق ذكره.

فبعث سعيد إلى الفَرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان. فأمر الفَرافصة ٱبنه ضبّاً، فزوجها إياه. وكان ضب مسلماً، وكان الفَرافصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها إليه، قال لها أبوها: يا بنيّة، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش، هُنَّ أقدر على الطِّيبِ منك، فاحفظي عني خَصلتين، تكحّلي، وتطيّبي بالماء، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر.

فلما حُمِلَتْ كرهت الغربة، وحزِنَتْ لِفراق أهلها، فأنشأت تقول: [الطويل]

أَلَسْتَ تَرى يَا ضَبُّ باللهِ أَنَّنِي مُصَاحِبَةٌ نَحْوَ المدينةِ أَركُبا
إذا قَطَعُوا حَزْناً تَخُبُّ رِكَابُهُمْ كَمَا زَعْزَعَتْ رِيحٌ يَرَاعاً مُثَقَّبا
لَقَدْ كَانَ في أَبْنَاء حِصْنِ بْنِ ضَمْضَمٍ لَكَ الوَيلُ ما يُغْنِي الخِباءَ المُطَنَّبَا[2]

فلمَّا قَدِمَتْ على عثمان رَضِيَ الله عنه، قعد على سريره، ووضع لها سريراً حِيالَه، فجلست عليه، فوضع عثمان قُلَنسِيته، فبدا الصَّلَع، فقال: يابنة الفَرافصة، لا يهولنّكِ ما ترين من صَلَعِي، فإن وراءه ما تحبّين. فسكتت. فقال: إمّا أن تقومي إليّ، وإمّا أن أقوم إليك. فقالت: أمَّا ما ذكرت من الصلَع، فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السّادة الصُّلْع. وأما قولك: إما أن تقومي إليّ، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشّمتُ من جَنباتِ السَّمَاوة أبعدَ مما بيني وبينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، ودعا لها بالبركة، ثم قال لها: اطرحي عنك رداءَكِ، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انْزعي دِرْعَكِ[3]، فنزعته؛ ثم قال: حُلِّي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحَلَّ إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حدّثنا علي بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبي الجَرّاح مولى أم حبيبة، قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فما شَعَرْتُ وقد خرج محمد بن أبي بكر، ونحن نقول: هم في الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من

(١) الشّن: القِربة الصغيرة.
(٢) الخِباء: الخيمة. والمُطَنَّب: المشدود بالأطناب، والأطناب: جمع الطُّنُب: حبل طويل يشدّ به سرادق البيت.
(٣) الدِّرع: الثوب الذي تلبسه المرأة في البيت.

الخَوْخة(١)، ونزلوا بأمراس الحِبال من سُور الدار. معهم السيوف، فرميتُ بسيفي، وجلست عليه، وسمعت صياحهم، فكأني أنظر إلى مصحف في يدِ عثمان، وإلى حمرة أديمه، فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك. وأهوى رجلٌ إليه رضي الله عنه بالسيف، فاتَّقَتْهُ نائلةُ بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، وخرجوا يُكَبِّرونَ، ومَرَّ بي محمد بن أبي بكر، فقال: ما لكَ يا عبد أم حبيبة؟ ومضى فخرجت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: لمّا قُتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفَرافصة: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ بـعـدَ ثَـلاثَـةٍ قَتِيلُ التُّجِيبيِّ الَّذي جَاءَ مِن مِصْرِ
ومَـا لِـيَ لا أبـكـي وتَـبْـكِـي قَـرَابَـتِـي وقـد غُـيِّبَـتْ عَـنَّـا فُـضُـولُ أَبـي عَـمْـرِو

هكذا في هذه الرّواية، وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عُقْبة.

[كتاب نائلة إلى معاوية تصف مقتل عثمان]

أخبرني أحمد قال: حدّثني عمر قال: حدّثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن نُمير بن وَعْلة، عن الشعبيّ ومَسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية: أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النُّعمان بن بشير، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتعة:

«من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإنّي أُذكِّركم بالله الذي أنعمَ عليكم، وعلَّمَكم الإسلام، وهداكم من الضَّلالةِ، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة؛ وأَنْشُدكم بالله، وأُذَكِّركم حَقّه وحقّ خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم، فإنه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وإنْ طَائِفَتان مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إحْدَاهما عَلَى

(١) الخوخة: الممرّ يسلك بين الدارين.

الأخرى فَقاتِلوا الَّتي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾(١). وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه، ولو لم يكنْ له عليكم حقّ إلاّ حقّ الوِلاية، ثم أُتِيَ إليه بما أُتِيَ، لَحَقٌّ على كلّ مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لِقدمِه في الإِسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعيَ الله، وصدّق كتابه، والله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة.

وإنّي أقصُّ عليكم خبره، لأني كنت مشاهدة أمره كله، حتى أُفْضِي إليه:

وإن أهل المدينة حصروه في داره، يحرسونه ليلهم ونهارهم. قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قَدَروا عليه، حتى منعوه الماء، يُحْضِرونه الأذَى، ويقولون له الإِفك. فمكثَ هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة، ولم يقاتلْ مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به. فظلّتْ تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة، وأنباطِ يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكني سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أول أمره وآخره. ثم إنه رُمِيَ بالنَّبل والحجارة، فقُتِلَ ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال، فنهاهم عنه، وأمرهم أن يَرُدُّوا عليهم نبلَهم، فردّوها إليهم، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءةً، وفي الأمر إلا إغراءً. ثم أحرقوا باب الدار، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه، فقالوا: إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، وأسلحة القوم مُطلة عليه من كل ناحية، وما أرى أحداً يعدل، فدخل الدار، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس دِرعه، وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست درعاً، فوثبَ عليه القوم، فكلّمَهم ابن الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة، بعث بها إلى عثمان: إن عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تَعُرُّوه بشيء، فكلّموه وتحرّجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلاّ وَضْعه، حتى دخل عليه القوم يَقْدُمهم ابن أبي بكر، حتى أخذوا بِلحيته، ودَعَوْه بِاللَّقَب. فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم،

(١) سورة الحجرات: الآية ٩١.

فسقطتُ عليه وقد أثخنوه وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه، ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة، فألقت نفسها معي عليه، فوُطِئنا وَطْئاً شديداً، وعُرِّينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم. فقتلوه رحمة الله عليه في بيته، وعلى فراشه. وقد أرسلت إليكم بثوبه، وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أَثِمَ مَنْ قَتَله، لمَا يَسْلَم مَن خَذَله. فانظروا أين أنتم من الله جلَّ وعزَّ، فإنا نَشْكِي ما مَسَّنا إليه، ونستنصر وَلِيّه وصالحَ عباده. ورحمة الله على عثمان، ولعنَ اللَّهُ مَنْ قتله، وصرعهم في الدّنيا مصارعَ الخزيِ والمذلّةِ وشَفَى منهم الصدور».

فحلف رجال من أهل الشام ألاَّ يطأوا النساءَ حتى يقتلوا قتلته، أو تذهبَ أرواحهم.

صوت

[الطويل]

فيا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
أَبَا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِما ... وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لم تَرَا قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيا
أَقولُ وقد شَدُّوا لِسَاني بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيا[1]

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثي، والغناء لإسحاق، ثقيل أول.

(١) النِّسْعة: سير من جلد عريض تُشَدُّ به الرِّحال.

أخبار عبد يغوث ونسبه

[توفي نحو ٤٠ ق. هـ/ نحو ٥٨٤ م]

[نسبه ومنزلته في قومه وشاعريته]

هو عبد يغوثَ بن صَلاءة. وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وَقَّاص بن صلاءة ـ وهو قول ابن الكلبيّ ـ بن المغَفَّل، واسم المغفل: ربيعة بن كعب الأَرَتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَدَ بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن الكلبيّ: قحطان بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح قال: وكان يقال ليعرب: المُرَعَّف.

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سَيِّداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني، إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أُسِر فقتل. وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللَّجلاج الحارثيّ، وهو طُفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح. ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارساً شاعراً صُعلوكاً، أُخذ في دمٍ، فحُبِسَ بالمدينة، ثم قتل صَبْراً[1] وخبره يذكر منفرداً، لأن له شعراً فيه غناء.

---

(١) قُتِلَ صبراً: أي حُبِسَ على القتل حتى يُقتل.

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله في يوم الكُلاب الثاني، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم، فظفِرت به بنو تميم، وأسروه وقُتل يومئذ.

[حديث يوم الكلاب وشعره فيه]

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبيّ، عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبيّ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن العنبريّ، قالوا: لمّا أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بِالمشقَّر[1]، فقتل المقاتلة، وبقيت الأموال والذراريّ، بلغ ذلك مَذحِجاً، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنّهم يسيرون أغباباً[2] ويردون مياهاً جِباباً، فتكون غنيمتكم تراباً. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّهَا اثنا عشر ألفاً، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرّح، ورئيس كندة البَرَاء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعداً والرِّباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثَم بن صيفيّ، وهو قاضي العرب يومئذ، فاستشاروه، فقال لهم: أَقِلُّوا الخِلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصّياح من الفَشَل، والمرء يعجز لا محالة. يا قوم تَثَبَّتوا، فإنَّ أحزمَ الفريقين الرَّكين، ورُبَّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً. واتَّزِروا للحرب، وادّرِعوا اللَّيْلَ، فإنَّه أخفى لِلويل، ولا جماعة لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أكثم تَهيَّأُوا، واستعدّوا للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرِّم، ويزيد بن الطيثم بن المأمور، ويزيد بن هَوْبر، حتى إذا كانوا بتَيمن[3] نزلوا قريباً من الكُلاب، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مُشَمِّت بن زنباع في إبل له، عند خال له من بني سعد، يقال له زهير بن بوّ، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير: دونك الإبل، وتنحّ عن طريقهم، حتى آتِيَ الحيّ فأُنذرهم. قال: فركب المشمِّت ناقة، ثم

(١) المشقّر: حصن بين نجران والبجرين، وقيل وادٍ بأجأ (معجم البلدان ٥: ١٣٤).
(٢) أغباباً: أي يسيرون منقلتين في منقلة واحدة.
(٣) تيمن: ما بين نجران وبلاد بني تميم (معجم البلدان ٢: ٦٨).

سار حتى أتى سعداً والرِّباب وهم على الكُلاب، فأنذرهم، فأعدّوا للقوم، وصَبَّحوهم، فأغاروا على النَعَمِ(١) فطردوها، وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول: [الرجز]

فـي كُـلِّ عَـامٍ نَـعَـمٌ نَـنْـتَـابُـهُ عـلـى الـكُـلابِ غُـيَّـبـاً أَرْبَـابُـهُ

قال فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم، على فرس له، فقال: [الرجز]

عَـمَّـا قَـلـيـلٍ سَـتُـرَى أَرْبَـابُـهُ صُـلْـبَ الـقَـنَـاةِ حَـازِمـاً شَـبَـابُـهُ

* عـلـى جِـيـادٍ ضُـمَّـرٍ عِـيـابُـهُ *(٢)

قال: فأقبلت سعد والرِّباب، ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسَاس، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المِنقريّ. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كانَ يومئذٍ قَيْسُ بن عاصم. فقال ضبِّي حين دنا من القوم: [الرجز]

فـي كُـلِّ عَـامٍ نَـعَـمٌ تَـحْـوُونَـهُ يُـلْـقِـحُـهُ قـومٌ وَتَـنْـتِـجُـونَـهُ
أَرْبَـابُـهُ نَـوْكَـى فـلا يَـحْـمُـونَـهُ ولا يـلاقـونَ طِـعَـانـاً دُونَـهُ(٣)
أَنَـعَـمَ الأَبْـنَـاءِ تَـحْـسِـبُـونَـهُ هَـيْـهَـاتَ هَـيْـهَـاتَ لـمـا تَـرْجُـونَـهُ

فقال ضَمرة بن لَبيد الحِماسِيّ: انظروا إذا سقتم النَّعم، فإن أتتكم الخيل عُصَباً(٤) عُصَباً، وثبتت الأولى للأخرى، حتى تَلْحَقَ، فإن أمر القوم هَيِّنٌ. وإن لحق بكم القوم، فلم ينظروا إليكم حتى يرُدُّوا وجوه النَّعم، ولا ينتظر بعضهم بعضاً، فإن أمر القوم شديد. وتقدَّمت سعدٌ والرِّباب، فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النَّعَم من قِبَل وجوهها، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم، واختلط القوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم، حتى إذا كان من آخر النهار قُتل النعمان بن جِسَاس، قتله رجل من أهل اليمن، كانت أمه من بني حنظلة، يقال له عبد الله بن كعب، وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحَنْظَليّة. فقال النعمان: ثَكلتكَ أُمُّكَ، رُبَّ حَنظلية قد غاظتني. فذهبت مثلاً، وظَنَّ أهل اليمن أن بني تميم سيَهُدّهم قتل النعمان، فلم يزدهم ذلك إلا جَراءةً

(١) النَّعَم: الإبل والغنم والبقر.
(٢) العِياب: الصدور والقلوب.
(٣) نوكى: حَمقى.
(٤) عُصَباً: جماعات.

عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم اللَّيل، فباتوا يحرسُ بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غدَوا على القتال، فنادى قيس بن عاصم: يالَ سعد، ونادى عبد يغوث: يالَ سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة. فلما سمع ذلك قيس نادى: يال كعب، فنادى عبد يغوث: يالَ كعب. قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث، قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دَعَوا بمثله. فنادى قيس: يال مُقاعس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، وكان يلقب مُقاعِساً، فلمَّا سمعَ وَعْلة بن عبد الله الجَرْميّ الصوت، وكان صاحب اللّواء يومئذ، طرحه، وكان أول من انهزم من اليمن، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب، فهزموهم أفظع هزيمة، وجعل رجل منهم يقول: [الرجز]

يـا قـومُ لا يُـفْـلِـتْـكُـمُ الـيَـزِيـدَانْ مُـخَـرِّمـاً أَعْـنِـي بِـهِ والـدَّيَّـانْ

وجعل قيس بن عاصم ينادي: يالَ تميم: لا تقتلوا إلا فارساً، فإن الرجّالة لكم، وجعل يرتجز ويقول: [الرجز]

لَـمَّـا تَـوَلَّـوا عُـصَـبـاً شَـوازِبَـا[1] أقـسـمـتُ لا أَطْـعَـنُ إلاَّ رَاكِـبَـا

* إنِّـي وَجَـدْتُ الـطَّـعْـنَ فـيـهـم صَـائِـبـا *

وجعل يأخذ الأسارى، فإذا أخذ أسيراً قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني زَعْبل، وهو زَعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم، دفعه إلى من يليه من بني تميم، ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أُخرى، فذهبت مثلاً. فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسِرون، حتى أُسِر عبدُ يغوث، أسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس. وقُتِلَ يومئذ علقمة بن سَبّاع القُرَيعيّ، وهو فارس هَبُّود، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المراديّ وكان علقمة قتل عَمْراً وأخذ فرسه من تحته، وأسرَ الأهتم، واسمه سنان بن سُميّ بن خالد بن مِنْقر ويومئذ سُمِّي الأهتم - رئيسَ كندة البراءَ بن قيس، وقَتَلَتِ التَّيمُ الأوبرَ الحارثيّ، وآخر من بني الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جِسَاس، وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو

---

(١) الشوازب: جمع الشازب: الشاحب الضامر.

ضَبّة ضَمرَةَ بن لَبيد الحِماسيّ الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبيّ.

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبْشَميّ إلى أهله، وكان العبشميّ أهوج فقالت له أمه - ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيماً -: من أنت؟ قال: أنا سَيّدُ القوم. فضحكت، وقالت: قَبّحَكَ اللّهُ من سَيِّدِ قومٍ حين أسرك هذا الأهوَج. فقال عبد يغوث: [الطويل]

وتَضْحَكُ مِنّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لم تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيا

ثم قال لها: أيتها الحُرَّة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أُعطي ابنكِ مِئَةً من الإبل وينطلق بي إلَى الأهتم، فإني أتخوّفُ أن تنتزعني سعد والرِّباب منه، فضمن له مِئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث، فوجَّهُوا بها إليه، فقبضها العبشميّ، فانطلق به إلى الأهتم، وأنشأ عبد يغوث يقول: [الطويل]

أَأَهْتَمُ يا خَيْرَ البَرِيَّةِ وَالِدَا ... ورَهْطاً إذا ما النَّاسُ عَدُّوا المَسَاعِيا
تَدَارَكْ أَسِيراً عَانِياً في بِلادِكُمْ ... ولا تَثْقِفَنِّي التَّيْمُ أَلْقَى الدَّوَاهِيا[1]

فمشت سعد والرِّباب فيه. فقالت الرباب: يا بني سعد، قُتِلَ فارسُنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عِصْمة بنُ أُبير التيميّ، فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني قِتلة كريمة. فقال له عصمة: وما تلك القِتلة؟ قال: اسقوني الخمر، ودعوني أنحْ على نفسي، فقال له عصمة: نَعَم. فسقاه الخمر، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل[2]، وتركه يَنْزِف، ومضى عنه عصمة، وترك معه ابنين له، فقالا: جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا، فكيف رأيت اللّهَ صنع بك؟ فقال عبد يغوث في ذلك: [الطويل]

أَلاَ لاَ تَلوماني كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيا ... فما لَكُما في اللَّوْمِ نَفْعٌ ولا لِيَا
أَلم تَعْلَمَا أَنَّ المَلامَةَ نَفْعُها ... قَليلٌ وما لَوْمِي أَخِي مِن شِمَالِيَا
فيا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لا تَلاقِيا
أَبَا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِما ... وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمانيا

(١) ثقفه: ظفر به.
(٢) الأكحل: عرق في وسط الذراع إذا قُطِعَ مات صاحبه.

جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالكُلابِ مَلامةً ... صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوالِيا[١]
ولو شِئْتُ نَجَّتْني مِنَ الخَيْلِ نَهْدَةٌ ... تَرَى خَلْفَها الحُوَّ الجِيادَ تَوَالِيا[٢]
ولَكِنَّني أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمُ ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المَحَامِيا
وتضحكُ مِنّي شَيْخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لم تَرَا قبلي أسيراً يَمَانِيا
وقد عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي ... أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوّاً عليه وعَادِيا
أقولُ وقد شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيا
أَمَعْشَرَ تَيْمٍ قد مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا ... فَإِنَّ أَخَاكُم لَم يكنْ مِنْ بَوَائِيا[٣]
فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلوا بِيَ سَيِّداً ... وإنْ تُطْلِقُوني تَحْرُبُوني بِمَالِيا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْت سَامِعاً ... نَشِيدَ الرِّعَاءِ المُعْزِبِينَ المَتَالِيا[٤]
وقد كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الْـ ... ـمَطِيِّ وأَمْضَى حَيْثُ لا حَيَّ مَاضِيا
وأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي ... وأصدعُ بين القَيْنَتَيْنِ رِدَائيا
وعَادِيَةٍ سَوْمَ الجَرادِ وَزَعْتُها ... بِكَفِّي وقد أَنْحوا إِلَيَّ العَوَالِيا[٥]
كَأَنِّيَ لم أركبْ جَوَاداً ولم أَقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسِي عن رِجَاليا
ولم أَسْبَأِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أَقُلْ ... لأَيْسَارِ صِدْقٍ أعظموا ضَوْءَ نَارِيا[٦]

قال: فضحكت العبشميّة، وهم آسروه. وذلك أنّه لمّا أسروه شدوا لسانه بنسعة، لِئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جِسَاس.

فقالت صفيّة بنت الخَرِعِ ترثي النعمان: [البسيط]

نِطَاقُهُ هُنْدُوانِيٌّ وجُبَّتُهُ ... فَضْفاضةٌ كَأَضَاةِ النِّهْيِ مَوْضُونَهْ[٧]
لقد أَخَذْنَا شِفَاءَ النَّفْسِ لو شُفِيَتْ ... وما قَتَلْنا به إلاَّ امْرَأً دُونَهْ

(١) الكُلاب: اسم موضع على سبع ليالٍ من اليمامة (معجم البلدان ٤: ٤٧٢) والصّريح: الخالص النسب.
(٢) النَّهْدَة: المرتفعة. والحُوّ من الخيل: التي تضرب إلى الخضرة.
(٣) أسجحوا: سهّلوا ويَسّروا. والبَوَاء: السَّوَاء والنظير.
(٤) المُعْزِب: المنتحي بإبله، والمَتَالي: جمع المتلية: التي يتبعها أولادها.
(٥) العادية: القوم يركضون. وسوم الجراد: أي كسوم الجراد وهو انتشاره في المرعى. ووزعتها: منعتُها. والعوالي: الرماح.
(٦) أسبأ الزّقّ: أشتريه للشرب. والأيسار: جمع ياسر: هو الذي يضرب قداح الميسر.
(٧) الأضاة: مسيل الماء إلى الغدير. والنِّهْيُ: الغدير. وموضونة: مُثنٍ بعضها على بعض لِسعتها.

وقال عَلْقمة بن سباع لعمرو بن الجُعيد: [السريع]

لَـمَّـا رأيـتُ الأمـرَ مَـخْـلُـوجَـةً أكْـرَهْـتُ فـيـه ذابـلاً مَـارِنـا(١)
قـلـتُ لـه: خُـذْهَـا فَـإنِّـي امْـرُؤٌ يَـعْـرِفُ رمـحـي الـرَّجُـلَ الـكَـاهِـنـا

قوله: «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد: أن عمرو بن الجُعيد كان كاهناً. وهو أحد بني عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصى بن عبد القيس، ولم يزل ذلك في ولده. ومنهم الرَّبَاب بن البَرَاء، كان يتكهن، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية، فصار على دين المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في اللّيل، وذلك قبل مَبعث النبيﷺ: خير أهل الأرض رَبَابُ الشَّنِّيّ، وبَحِيرا الراهب، وآخر لم يأتِ بعد. قال: وكان لا يموت أحد من ولد الرَّباب إلاَّ رأوا على قبره طَشاً(٢). ومن ولده مَخْرَبة، وهو أحد أجواد العرب، وإنما سُمِّيَ مَخْربة لأن السلاح خَرَّبه، لكثرة لبسه إياه؛ وقد أدرك النبيَّﷺ، فأسلم، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدي العُمانِيّ. وابنُه المُثَنَّى بن مَخْرَبة أحد وجوه أصحاب المختار، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها، فحاربه عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه، وكان ابنه بَلْجُ بن المُثَنَّى جواداً، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس: [الوافر]

ألاَ يـا بَـلْـجُ بَـلْـجَ بَـنِـي الـمُـثَـنَّـى وأنـتَ لِـكُـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ كِـفَـاءُ
ألُـومُـكَ طَـائِـعـاً مـا دُمْـتُ حَـيًّـا عَـلَـيَّ إذَنْ مِـنَ الـلَّـهِ الـعَـفَـاءُ
كَـفَـى قَـوْمـاً مَـكَـارِمَ ضَـيَّـعُـوهـا وأَحْـسَـنَ حِـيـنَ أَبْـصَـرَهُـمْ أَسَـاؤوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال: فأمَّا وَعْلة بن عبد الله الجرميّ، فإنه لحقه رجل من بني سعد، فعقَر به، فنزل؛ وجعل يُحضِر على رجليه، فلحق رجلاً من بني نهد يقال له سَلِيط بن قَتَب، من بني رفاعة، فقال له لما لحقه: أَرْدفني، فأبى، فطرحه عن فرسه، وركب عليها، وأدركت الخيلُ النهديَّ فقتلوه، فقال وَعْلة في ذلك: [الطويل]

ولَـمَّـا سَـمِـعْـتُ الـخَـيْـلَ تَـدْعُـو مُـقَـاعِـساً عَـلِـمْـتُ بِـأنَّ الـيَـوْمَ أَغْـبَـرُ فَـاجِـرُ
نَـجَـوْتُ نَـجَـاءً لَـيـسَ فـيـه وَتِـيـرَةٌ كَـأنِّـي عُـقَـابٌ دونَ تَـيْـمَـنَ كَـاسِـرُ

(١) مخلوج: غير مستقيم. والذابل: الرمح، والمارن: الليّن في صلابة.
(٢) الطشّ: المطر الضعيف.

خُدَارِيَّةٌ صَقْعَاءُ لَبَّدَ رِيشَها ... بِطَخْفَةَ يَوْمٌ ذو أَهَاضِيبَ مَاطِرُ(١)
وقد قلتُ لِلنَّهْدِيِّ: هل أنتَ مُرْدِفِي ... وكيفَ رِدَافُ الفَلِّ أمكَ عاثِرُ(٢)
فإنْ أستطعْ لا تَبْتَئِسْ بي مُقَاعِسٌ ... ولا يَرَنِي بَادِيهُمُ والحَواضِرُ
فِدًى لَكُمَا رِجْلَيَّ أُمِّي وخَالَتي ... غَدَاةَ الكُلاب إذ تَحُزُّ الحناجرُ
فَمَنْ كَانَ يَرْجُو في تميمٍ هَوَادَةً ... فليسَتْ لِجَرمٍ في تميمٍ أواصرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجعَيد: [الطويل]

أَشَابَ قَذَالَ الرَّأْسِ مَصْرَعُ سَيِّدِ ... وفَارِسُ هَبُّودٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا(٣)

وقال محرز بن مُكَعْبَر الضَّبِّيّ: [البسيط]

فِدًى لِقَوْمِيَ ما جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ ... إذ سَاقَتِ الحَرْبُ أقواماً لأقوام(٤)
قد حَدَّثَتْ مَذْحِجٌ عَنَّا وقد كَذَبَتْ ... أنْ لا يُوَرِّعَ عن نسوانِنا حَامِ(٥)
دَارَتْ رَحَاهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ وَاجَهَهُمْ ... ضَرْبٌ يُصَبِّحُ منهم مَسْكَنَ الهَام
سَارُوا إلينا وهم صِيدٌ رُؤوسُهُمُ ... فقد جَعَلْنَا لَهُمْ يَوماً كَأَيَّامِ(٦)
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجِيرَاتٍ يَعُدْنَهُمُ ... وأَلْحَمُوهُنَّ مِنْهُمْ أَيَّ إلْحَامِ
ظَلَّتْ تدوسُ بَنِي كَعْبٍ بِكَلْكَلِها ... وهَمَّ يومُ بني نَهْدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغْراء: [الوافر]

وفي يومِ الكُلابِ إِذِ اعْتَرَتْنَا ... قَبَائِلُ أقْبَلوا مُتَنَاسِبِينا(٧)
قَبَائِلُ مَذْحِجَ اجْتَمَعَتْ وجَرْمٍ ... وهَمْدَانٍ وكِنْدَةَ أَجْمَعِينا
وحِمْيَرَ ثُمَّ سَارُوا في لُهَامٍ ... على جُرْدٍ جَمِيعاً قَادِرِينا
فَلَمَّا أَنْ أتونا لم نُكَذِّبْ ... ولم نَسْأَلْهُمُ أَنْ يُمْهِلُونا

(١) الخداريّة: العقاب لسوادها. والصّقعاء: التي في وسط رأسها سوادٌ. وطخفة: موضع بعد النباج في طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ٤:٢٣) والأهاضيب: جمع أهضوبة: الدفعة من المطر.
(٢) الفَلّ: المنهزم.
(٣) القذال: ما بين الأذنين من موخّر الرأس.
(٤) النَّشب: المال الأصيل من نقود وماشية.
(٥) يورّع: يكفّ.
(٦) الصِّيد: جمع الأصيد: الذي يرفع رأسه تكبُّراً.
(٧) اعترتنا: جاءتنا وغزتنا.

قَـتَـلْـنَـا مِـنـهـمُ قَـتْـلَـى ووَلّـى شَـرِيـدُهُـم شَـعَـاعـاً هَـارِبِـيـنـا(١)
وفَـاظَـتْ مِـنْـهُـمُ فِـيـنـا أُسَـارَى لَـدَيْـنَـا مِـنْـهُـمُ مُـتَـخَـشِّـعِـينـا(٢)

وقال ذو الرُّمَّة غَيلان بن عُقْبة في ذلك: [الطويل]

وعَمِّي الَّذي قادَ الرِّبَابَ جَمَاعَةً وسَعْدُهُمُ الرَّأْسُ الرَّئِيسُ المُؤَمَّرُ
عَشِيَّةَ أَعْطَتْنَا أَزِمَّةَ أَمْرِهَا ضِرَارٌ بَنُو القَرْمِ الأَغَرِّ ومِنْقَرُ
وعَبْدُ يَغُوثٍ تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَه قَدِ احْتَزَّ عُرْشَيْهِ الحُسَام المُذَكَّرُ

العُرْشان: عِرقان في العنق.

عَشِيَّةَ فَرَّ الحَارِثِيونَ بَعْدَما قَضَى نَحْبَهُ في مَعْرَكِ الخَيْلِ هَوْبَرُ
وَقَالَ أَخُو جَرْمٍ ألا لا هَوَادَةٌ ولا وَزَرٌ إلاَّ النَّجَاءُ المُشَمِّرُ
أَبَى اللَّهُ إلاَّ أَنَّنَا آلَ خِنْدِفٍ بِنَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ الأَنَامُ ويُبْصِرُ
إذا ما تَمَضَّرْنا فلا نَاسَ غَيْرُنا ونُضْعِفُ أَحْيَاناً ولا نَتَمَضَّرُ

وقال أيضاً: [الطويل]

فما شَهِدَتْ خَيْلُ امْرِىءِ القَيْسِ غَارَةً بِثَهْلاَنَ تَحْمِي عَنْ ثُغورِ الحَقَائِقِ(٣)
أَثَرْنا بِهِ نَقْعَ الكُلابِ وأَنْتُمُ تُثِيرونَ نَقْعَ المُلْتَقَى بِالمَعَازِقِ
أَدَرْنَا عَلى جَرْمٍ وأَفْنَاءِ مَذْحِجٍ رَحَى المَوتِ فوقَ العَاملاتِ الخَوَافِقِ
صَدَمْنَاهُمُ دُونَ الأَمَانِيِّ صَدْمَةً عَمَاساً بِأَطْوادٍ طوالٍ شَوَاهِقِ(٤)
إذا نَطَحَتْ شَهْبَاءُ شَهْبَاءَ بينها شُعَاع القَنا والمَشْرِفيِّ البَوَارِقِ

وقال البَرَاء بن قيس الكِنديّ: [الخفيف]

قَتَلَتْنا تَمِيمُ يَوماً جَدِيدَا قَتْلَ عَادٍ وذاكَ يَوْمُ الكُلابِ
يومَ جِئْنا يَسُوقُنا الحَيْنُ سَوْقاً نحو قَومٍ كَأَنَّهُمْ أُسْدُ غَابِ(٥)
سِرْتُ في الأَزْدِ والمَذَاحِجِ طُرًّا بَيْنَ صِلٍّ وكَاشِرِ الأَنيابِ
وبَنِي كِنْدَةَ المُلوكِ ولَخْمٍ وجُذَامٍ وحِمْيَرَ الأَرْبابِ

(١) شَعاعاً: متفرِّقين في كلّ جهة.
(٢) فاظت: هلكت.
(٣) ثهلان: من مياه بني نمير ببطن الكلاب (معجم البلدان ٢: ٨٨).
(٤) عماساً: قويَّة شديدة. الأطواد: جمع الطَّوْد: الجبل العظيم المرتفع.
(٥) الحَيْن: الموت.

ومُــرَادٍ وخَــثْــعَــم وزُبَــيْــدٍ وبَنِي الحارثِ الطُّوالِ الرِّغَابِ
وحَشَدْنا الصَّمِيمَ نَزْجُو نِهَاباً فَلَقِينَا البَوارَ دونَ النِّهَابِ[1]
لَقِيَتْنا أُسُودُ سَعْدٍ وسَعْدٌ خُلِقَتْ في الحروبِ سَوْطَ عَذابِ
تَرَكُوني مُسَهَّداً في وَثاقٍ أَرْقُبُ النَّجْمَ ما أُسِيغُ شَرَابِي
خَائِفاً لِلرَّدَى ولَوْلاَ دِفَاعِي بِمِئِينٍ عن مُهْجَتِي كَالهِضَابِ[2]
لَسُقِيتُ الرَّدَى وكنتُ كَقَومِي في ضَرِيحٍ مُغَيَّباً في التُّرابِ
تذرفُ الدَّمعَ بِالعويلِ نِسَائي كَنِسَاءٍ بَكَتْ قَتِيلَ الرِّبَابِ
فَلِعَيْنِي على الأُلَى فارَقوني دِرَرٌ من دموعِها بِانْسِكَابِ
كيف أَبْغِي الحياةَ بعد رِجَالٍ قُتِلُوا كَالأُسُودِ قتلَ الكلابِ
منهمُ الحَارِثِيُّ عَبْدُ يَغُوثٍ ويَزِيدُ الفِتيانِ وابنُ شِهَابِ
في مِئِينٍ نَعُدُّها ومِئِينٍ بعدَ ألفٍ مُنُوا بِقوم غِضَابِ
بِرجالٍ مِنَ العَرَانِينَ شُمٍّ أُسْدِ حَرْبٍ مَمْحُوضَةِ الأَنسابِ[3]

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْميّ: [الخفيف]

عَذَلَتْنِي نَهْدٌ فقلتُ لِنَهْدٍ حين حَاسَتْ على الكُلابِ أخاها[4]
يومَ كُنَّا عَلَيهِمُ طَيْرَ مَاءٍ وتَمِيم صُقورَها وبُزَاها
لا تَلُومُوا على الفِرارِ فَسعْدٌ يَالَ نَهْدٍ يَخافُها مَنْ يَرَاها
إِنَّمَا هَمُّها الطِّعَان إذا ما كَرِهَ الطَّعْنَ والضِّرَابَ سِوَاها
تَرَكوا مَذْحِجاً حَدِيثاً مَشاعاً مِثلَ طَسْمٍ وحِمْيَرٍ وصُدَاها
يَالَ قَحْطَانَ وَادِعُوا حَيَّ سَعْدٍ وابْتَغُوا سَلْمَها وفَضْلَ نَدَاها
إنَّ سعدَ السُّعودِ أُسْدُ غِيَاضٍ بَاسِلٌ بَأْسُها شديدٌ قُوَاها
فُضِحت بِالكُلابِ حَارِ بنُ كَعْبٍ وبَنُو كِنْدَةَ المُلُوكُ أَبَاها
أَسْلَمُوا لِلْمَنُونِ عَبْدَ يَغُوثٍ ولِعَضِّ الكبولِ حَوْلاً يَرَاها
بعدَ ألفٍ سُقُوا المَنِيَّةَ صِرْفاً فأصابَتْ في ذاكَ سَعْدٌ مُنَاهَا
لَيْتَ نَهْداً وجَرْمَها ومُرَاداً والمَذَاحِيجَ ذو أَنَاةٍ نَهَاها

(١) البَوَار: الهلاك.
(٢) في نسخة ثانية: كالضِّباب.
(٣) ممحوضة: خالصة.
(٤) حاست: وطئت.

عـن تَـمـيـم فـلـم تَـكُـنْ فَـقْـعَ قَـاعٍ تَـبْـتَـدِرْهَـا رِبَـابُـهـا ومـنَـاهـا(١)
قُـلْ لِـبَـكْـرِ الـعِـرَاقِ تَـسـتُـرُ عَـمْـراً عَـمْـرَو قَـيْـسٍ فَـرَأيُ عَـمْـرٍو قَـراهـا
عَـنْ تـمـيـمٍ ولـو غَـزَتْـهَـا لَـكَـانَـتْ مِـثْـلَ قَـحْـطَـانَ مُـسْـتَـبـاحاً حِـمَـاهـا

صوت

ما بَالُ شَمْسِ أبي الخَطَّابِ قد حُجِبَتْ أَظُنُّ يـا صَـاحِـبَـيَّ الـسَّـاعَـةَ ٱقْـتَـرَبَـتْ
أَوْ لا فـمـا بَـالُ رِيـحٍ كـنـتُ آنَـسُـهـا عَـادَتْ عَـلَـيَّ بِـصِرٍّ بعد ما جَـنَـبَـتْ(٢)
أَشْـكُـو إلـيـكَ أَبَـا الـخَـطَّـابِ جَـاريـةً غَـرِيـرَةً بـفـؤادي الـيـومَ قـد لَـعِـبَـتْ
وأَنْـتَ قَـيِّـمُـهَـا فـانْـظُـرْ لِـعَـاشِـقِـهَـا يـا لَـيْـتَ قـد قَـرَّبَـتْ مِـنِّـي ومـا بَـعُـدَتْ

عروضه من البسيط، الشعر والغناء لإبراهيم الموصليّ، رَمَلٌ بالبنصر، عن الهشاميّ وعلي بن يحيى، وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجاً بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصليّ أيضاً.

وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم في شعره هذا: رجل نَخَّاس يعرف بقرين، مولى العباسة بنت المهديّ، وكان إبراهيم يهوى جارية له، يقال لها خُنْث، وكانت من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وكانت تعرف بذات الخال، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة، نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله.

(١) الفقع: نوع من الكمأة يضرب بها المثل في الذّلّة والحقارة.
(٢) الصِّرّ: البرد. وجنبت الريح: هَبَّتْ جنوباً.

أخبار ذات الخال

[حُبّ إبراهيم لها وشراء الرشيد إيّاها]

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حَدَّثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي أنَّ جَدّي كان يتعشّق جارية لِقرين، المكنّى بأبي الخطاب النخّاس، وكان يقول فيها الشعر ويُغَنِّي فيه، فشَهَرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرها، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم. فقال لها ذات يوم: أسألكِ عن شيء، فإن صَدَقْتِني وإلاّ صَدَقَني غَيْرُك وكَذَّبْتُكِ. قالت له: بل أَصْدُقُكَ. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصليّ شيء قَطّ، وأنا أُحْلِفُه أن يَصْدُقني. قال: فتلكَّأَتْ ساعة، ثم قالت: نعم، مرّة واحدة. فأبغضها وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كَشْخاناً[1]، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حَمّويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم: [الطويل]

أَتَحْسِبُ ذاتَ الخَالِ رَاجِيَةً رَبَّا ... وقد فَتَنَتْ قَلْباً يَهِيمُ بِها حُبَّا

ومَا عُذْرها نَفْسِي فِدَاها ولم تَدَعْ ... على أَعْظُمِي لَحْماً ولم تُبْقِ لي لُبَّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى.

وذكر أحمد بن أبي طاهر: أن الرشيدَ اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حَمّويه كما ذكرها حماد، وقال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوماً بعد ما وهَبها لحَمّويه، فقال له: ويْلَك يا حَمّويه، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها

(١) الكشخان: الديّوث.

وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غداً. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريّين بَدَنَةً[1] وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها؛ فلما رآها أنكره، وقال: ويلكَ يا حَمَّويه! من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ولا وَصَل إليك مني هذا القدر! فصَدَقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، واشترى الجوهر منهم، ووهبه لها، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئاً إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها، فسألته أن يُوَلِّي حَمَّويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، وكتب له عهده به، وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتمَّ في حياته.

[قصة الخال بخدِّها وشعر العباس بن الأحنف فيها]

حَدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال: حَدَّثني أحمد بن عبد الله طَمّاس، عن عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصُّولي قالا: كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوماً، فوعدها أن يصير إليها، وخرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشقّ ذلك على ذات الخال، وقالت: والله لأطلبنَّ له شيئاً أغيظه به، وكانت أحسن الناس وجهاً، ولها خال على خَدِّها لم يرَ النَّاسُ أحسنَ منه في موضعه، فدعت بِمِقْراض، فقصّت الخال الذي كان في خَدِّها، وبلغ ذلك الرشيد، فشقَّ عليه، وبلغ منه، فخرج من موضعه، وقال للفضل بن الربيع: أُنظر مَنْ بالباب من الشعراء، فقال: الساعةَ رأيت العباس بن الأحنف. فقال: أدخله. فأدخله، فعرَّفه الرشيد القِصّة وقال: اعْمَل في هذا شيئاً، على معنًى رسمه له، فقال:

صوت

[الطويل]

تَخلَّصْتُ مِمَّنْ لم يَكُنْ ذا حَفِيظَةٍ ... ومِلْتُ إلى مَنْ لا يُغَيِّرُهُ حَالُ
فَإنْ كَانَ قَطْعُ الخالِ لما تَطَلَّعَتْ ... إلى غَيْرِها نَفْسِي فقدْ ظُلِمَ الخَالُ

غَنَّاه إبراهيم، فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها، وجعل

(١) البَدَنة: ثوب للنساء مشقوق لا كُمّ له.

هذين البيتين سبباً، وأمر للعباس بألفَيْ دينار، وأمر إبراهيم الموصليّ فغناه في هذا الشعر.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدّثني محمد بن الفضل قال: كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر، ويُشغَفُ بِجيِّدِ الأشعار، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب:

صوت

أَيَا بَعْلَ لَيلَى كيف تَجْمَعُ سَلْمَها ... وحَرْبِي وفيما بيننا شَبَّتِ الحَرْبُ
لها مِثْلُ ذَنْبِي اليَوْمَ إنْ كُنتُ مُذْنِباً ... ولا ذنبَ لي إن كان ليسَ لها ذَنْبُ

عروضه من الطويل، والشعر لِنُصَيْب، ويروى للمجنون، ويروى لكعب بن مالك الخَثْعَمِيّ، والغناء لمالك، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

قال: وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعباس بن الأحنف:

صوت

[الطويل]

أَلاَ لَيْتَ ذاتَ الخَالِ تَلْقَى مِنَ الهَوَى ... عَشِيرَ الَّذي أَلْقَى فيَلْتَئِمَ الشَّعْبُ[1]
إذا رَضِيَتْ لم يَهْنِني ذلك الرِّضَا ... لِعِلْمِي به أَنْ سَوفَ يَتْبَعُهُ العَتْبُ
وأَبْكي إذا ما أَذْنَبَتْ خَوْفَ صَدِّها ... وأَسْأَلُها مَرْضَاتَها ولها الذَّنْبُ
وِصَالُكُمُ صُرْمٌ وحُبُّكُمُ قِلًى ... وعَطْفُكُمُ صَدٌّ وسَلْمُكُمُ حَرْبُ[2]

ويقول: ما أحسن ما قسّم، حتى جعل بإزاء كل شيء ضدّه، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس.

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ، ثاني ثقيل بالوسطى، عن الهشامي.

---

(١) العشير: جزء من عشرة أجزاء.
(٢) الصُّرْم: القطيعة. والقِلى: البغض.

[الرشيد وحُبّه لها]

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللَّواتي كان الرشيد يَهواهُنّ، ويقول الشعر فيهن، وهن سِحْر، وضياءٌ، وخُنث؛ وفيهن يقول الرشيد: [الرمل]

إنَّ سِحْراً وضِيَاءً وخُنُثْ ... هُنَّ سِحْرٌ وضِيَاءٌ وخُنُثْ[١]
أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذَنْبَ لَهَا ... ثُلُثَيْ قَلْبِي وتِرْبَاهَا الثُّلُثْ

حَدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُويد بن مَنْجوف السَّدُوسِيّ قال: حدّثني محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال: وَجَّهَ الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة، ثم جاءته من الغَد، فقال الرشيد: [الهزج]

أَيَا مَنْ رَدَّ وُدّي أمـ ... ـسِ لا أُعْطِيكَهُ اليَومَا
ولا والـلَّـهِ لا أُعْطِيـ ... ـكِ إلا الصَّدَّ واللَّوْمَا
وإنْ كان بِقَلْبِي مِنـ ... ـك حُبٌّ يَمْنَعُ النَّوْما
أَيَا مَنْ سُمْتُهُ الوَصْلَ ... فَأَغْلَى المَهْرَ والسَّوْما

قال: وفيهن يقول، وقد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

صوت

[الكامل]

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنِسَاتُ عِنَانِي ... وحَلَلْنَ مِنْ قَلبي بِكُلِّ مَكَانِ
ما لِي تُطَاوِعُني البَرِيَّةُ كُلُّها ... وأُطِيعُهُنَّ وهُنَّ في عِصْيَانِي
ما ذَاكَ إلاّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى ... وبهِ عَزَزْنَ أَعَزّ مِنْ سُلطاني

غَنَّته عَريبُ خفيف ثقيل الأول بالوسطى.

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال: وَجَّهَ الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر اللَّيل، فحضرت، فأخرج إليّ جارية كأنها المَهاة، فأجلسها في

---

(١) الخنث: التكسّر والتثنّي.

حجره، ثم قال: غَنِّني، فغنَّته: [السريع]

جِئْنَ مِنَ الرُّومِ وقَالِيقَلا يَرْفُلْنَ في المِرْطِ ولِينِ المُلا(١)
مُقَرْطَقَاتٌ بِصُنوفِ الحُلَى يا حَبَّذَا البِيْضُ وتلكَ الحُلَى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استُؤذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كلّ خير يا أمير المؤمنين، ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجزْ لي كتمانُه أميرَ المؤمنين. قال: وما ذاك؟ قال: أُخرِجَ إليّ في هذا الوقت ثلاثُ جَوارٍ لي: مكيّة، ومَدِينيّة، وعراقيّة. فَقَبَضَتِ المَدِينية على ذَكَري، فلما أَنْعَظْتُ وثبت المكية فقعدت عليه، فقالت لها المدينية: ما هذا التعدّي؟ ألم تعلَمي أن مالكاً حدَّثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد: أن النبيﷺ قال: «من أحيا أرضاً مَيّتة فهي له»؟ فقالت الأُخرى: أو لم تعلمي أن سفيان حدّثنا، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبيﷺ قال: «الصَّيْدُ لِمَنْ صَادَهُ لا لمن أثاره». فدفعتهما العراقيّة عنه، ووثبت عليه، وقالت: هذا لي، وفي يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، وأمره بحملهن إليه، ففعل، وحَظِينَ عنده، وفيهن يقول: [الكامل]

مَلَكَ الثَّلاَثُ الآنِسَاتُ عِنَانِي وحَلَلْنَ من قلبي بِكُلِّ مَكَانِ

حَدَّثنا محمد بن يحيى قال: حَدَّثنا الغَلاَبيّ قال: حَدَّثني مهديّ بن سابق قال: حَجَجْنا مع الرشيد آخر حِجَّةٍ، فكان الناس يتناشدون له في جواريه: [الوافر]

ثَلاثٌ قد حَلَلْنَ حِمَى فُؤَادي ويُعْطَيْنَ الرَّغائِبَ من وِدادي
نَظَمْتُ قُلُوبَهُنَّ بِخَيطِ قَلْبي فَهُنَّ قَرَابَتِي حَتَّى التَّنَادِي
فَمَنْ يَكُ حَلَّ مِنْ قلبٍ مَحَلاً فهنَّ مع النَّوَاظِرِ والسَّوَادِ

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغَنَّى فيه:

---

(١) قاليقلا: من نواحي أرمينية العظمى (معجم البلدان ٤:٢٩٩).
والمِرْط: كل ثوب غير مخيط. والمُلاء: جمع المُلاءة: ثوب من قطعة واحدة ذو شقّين متضامّين.

صوت [الهزج]

أَذَاتَ الـخَـالِ أَقْـصَـيْـتِ مُـحِـبًّـا بِـكُـمُ صَـبَّـا
فَـلا أنْـسَـى حَـيَـاتِـي مـا عَـبَـدْتُ الـدَّهْـرَ لـي رَبَّـا
وقـد قُـلْـتُ أَنِـيـلِـيـنـي فـقـالَـتْ أَفْـرَقُ الـذَّنْـبَـا

الشعر والغناء لإبراهيم، هزَج بالوُسطَى عن عمرو. ومنها:

صوت [الهزج]

أذاتَ الـخَـالِ قـد طَـالَ بِـمَـنْ أَسْـقَـمْـتِـهِ الـوَجَـعُ
ولـيـسَ إلـى سِـوَاكُـمُ فـي الْـ لَـذِي يَـلْـقَـى لـه فَـزَعُ
أَمَـا يَـمْـنَـعُـكِ الإسـلا مُ مِـنْ قَـتْـلـي ولا الـوَرَعُ
ومَـا يَـنْـفَـكُّ لـي فِـيـكِ هَـوًى تَـغْـتَـرُّهُ خُـدَعُ

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى، عن عمرو. ومنها:

صوت [الرجز]

تَـغْـلَـبُ يَـا هـذا الـكَـثِـيـرُ الـعَـبَـثِ بـالـلَّـهِ لَـمَّـا قُـلْـتَ لـي عـن خُـنُـثِ
عـن ظَـبْـيَـةٍ تَـمِـيـسُ فـي مِـشْـيَـتِـهـا أَحْـسَـنُ مَـنْ أَبْـصَـرْتُـهُ فـي شَـعَـثِ
فـقـالَ: قـالـتْ قُـلْ لـه أنـتَ امـرؤٌ مُـوَكَّـلٌ فـيـمـا تَـرَى بِـالـعَـبَـثِ
والـلَّـهِ لـولا خَـصْـلَـةٌ أَرْقُـبُـهـا لَـقَـلَّ فـي الـدُّنـيـا لـمـا بـي لَـبَـثِـي

الشعر لإبراهيم، وله فيه لحنان: أحدهما ثقيل الأوّل، عن أبي العنبس. والآخر هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعريب ثقيل أول آخَرُ. وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى.

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أن ثعلباً هذا، كان مملوكاً لإبراهيم، فقال هذه الأبيات في خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول الموصليّ، وكانت مغنية محسنة، وخاطب ثعلباً فيها مستخبراً له.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه أنه قال في خُنُث جارية جَزْء بن مِغْول المؤصلي، وخاطب في شعره غلاماً يقال له

ثعلب، وكانت خُنْث مغنية محسنة، وكانت تعرف بذات الخال.

[ومنها][1]:

صوت [الرمل]

تَـغْـلَـبُ يـا هـذا الـكَـثِـيـرُ الـخُـبُـثِ ... بـالـلَّـهِ إلاَّ قـلـتَ لـي عـن خُـنُـثِ

وذكر الأبيات.

قال: وقال له أيضاً:

صوت [السريع]

أَبْـدِ لِـذَاتِ الـخـالِ يـا تَـغْـلَـبُ ... قَـوْلَ امـرىءٍ فـي الـحُـبِّ لا يَـكْـذِبُ

إنِّـي أقـولُ الـحَـقَّ فـاسْـتَـيْـقِـنِـي ... كُـلُّ امْـرِىءٍ فـي حُـبِّـهِ يَـلْـعَـبُ

الشعر والغناء لإبراهيم، له فيه لحنان: رمَل وخفيف ثقيل، عن ابن المكيّ.

ومنها: صوت [الطويل]

جَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ كَلِفْتُ بِحُبِّهِ ... وَلَـيْـسَ بِـهِ إلاَّ الـمُـمَـوَّهُ مِـنْ حُـبِّـي

وَقَالُوا: قلوبُ العَاشِقِينَ رَقِيقَةٌ ... فَمَا بَالُ ذَاتِ الخَالِ قَاسِيَةُ القَلْبِ؟

وَقَالُوا لَهَا هذا مُحِبُّك مُعْرِضاً ... فَقَالَتْ: أرى إعْرَاضَهُ أَيْسَرَ الخَطبِ

فَـمَـا هُـوَ إلاَّ نَـظْـرَةٌ بِـتَـبَـسُّـمٍ ... فَتَنْشَبَ رِجْلاه وَيَسْقُطَ لِلْجَنْبِ

ومنها: صوت [البسيط]

إنْ لَمْ يَكُنْ حُبُّ ذَاتِ الخَالِ عَنَّاني ... إِذَنْ فَحُوِّلْتُ فِي مَسْكِ ابْنِ زَيدانِ[2]

فَإنَّ هذي يَمِينٌ مَا حَلَفْتُ بِهَا ... إلاَّ عَلَى الحَقِّ في سِرِّي وَإِعْلاَنِي

الشعر والغناء لإبراهيم، هزج بالبنصر.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) المَسْك: الجلد.

ومنها: **صوت** [مجزوء الوافر]

لَـقَـدْ أَخْـلُـو بِـذَاتِ الـخَـا لِ والـحُـرَّاسُ قَـدْ هَـجَـعُـوا
فَـمَـنْ يُـبْـصِـرْ أَبَـا الـخَـطَّـا بِ يَـطْـلُـبُـهَـا وَيَـتَّـبِـعُ
أَلاَ لَـمْ تَـرَ مَـحْـزونـاً تَـسَـنَّـم صَـبْـرَهُ الـجـزَعُ
وَقَـارَعَـنـي فَـفُـزْتُ بِـهَـا وَحَـازَتْـهـا لِـيَ الـقُـرَعُ

غَنَّاه إبراهيم، من رواية بَذْل عنه، ولم تذكر طريقته.

[إبراهيم الموصلي وذات الخال]

قال عليّ بن محمد الهشاميّ: حدّثني جدي، يعني ابن حمدون، قال: حدّثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصليّ ومعي ابن زَيدان صاحب البرامكة، وإبراهيم يلاعبه بالشَّطْرَنْج، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دُنْيا ودينا. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره. قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضلُ من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول:

صوت [البسيط]

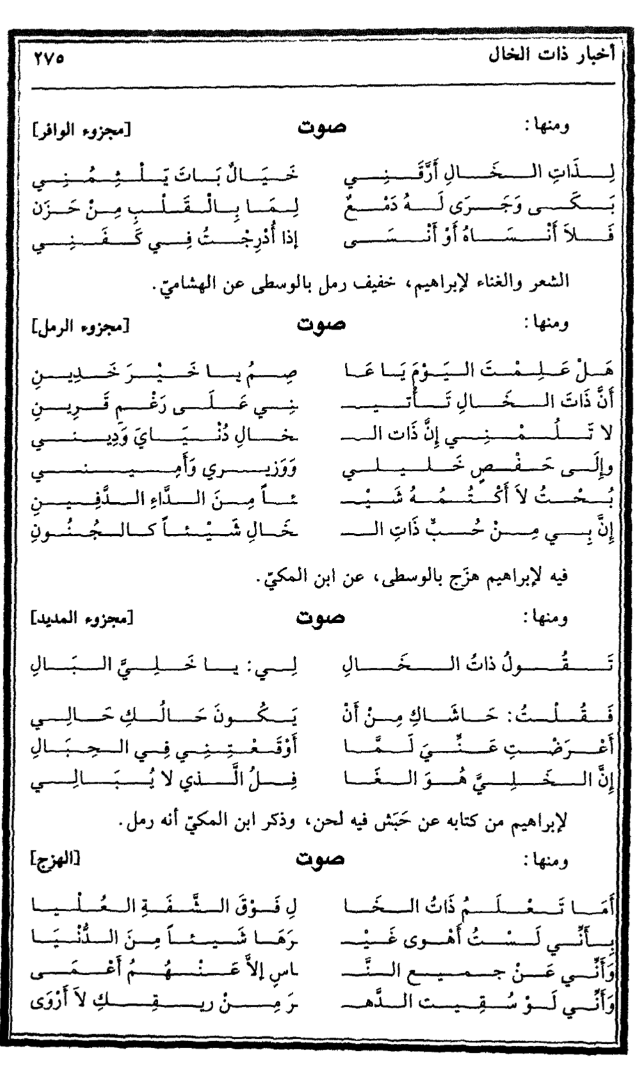
إنْ لَمْ يَكُنْ حُبُّ ذَاتِ الخَال عَنَّاني إذاً فَحُوِّلْتُ فِي مَسْك ابْنِ زَيْدَانِ
فَإِنَّ هٰذي يمينٌ مَا حَلَفْتُ بِهَا إلاَّ عَلَى الصِّدْقِ في سِرِّي وَإِعْلاَني

قال: وله في هذين البيتين صنعة، وهي هَزج.

ومنها: **صوت** [الهزج]

مَـنْ يَـرْحَـمُ مَـحْـزونَـا بِـذَاتِ الـخَـالِ مَـفْـتُـونَـا
أَبَـى فـيـهـا فَـمَـا يَـسْـلُـو وَكُـلُّ الـنَّـاسِ يَـسْـلُـونـا
فَـقَـدْ أَوْدَى بِـهِ الـسُّـقْـمُ وَقَـدْ أَصْـبَـحَ مَـجْـنُـونَـا
فَـإِنْ دَامَ عَـلَـى هـذا ثَـوَى فـي الـلَّـحْـدِ مَـدْفُـونَـا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشاميّ.



ومنها : **صوت** [مجزوء الوافر]

لِـــذَاتِ الـــخَـــالِ أَرَّقَـــنِـــي   خَـيَـــالٌ بَـــاتَ يَـلْـثِـمُـنِـي
بَـــكَـــى وَجَـــرَى لَـــهُ دَمْـــعٌ   لِـمَـــا بِـالْـقَـلْـبِ مِـــنْ حَـــزَنِ
فَـــلاَ أَنْـــسَـــاهُ أَوْ أَنْـــسَـــى   إذا أُدْرِجْـــتُ فِـــي كَـــفَـــنِـــي

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ.

ومنها : **صوت** [مجزوء الرمل]

هَـــلْ عَـلِـمْـتَ الـيَـوْمَ يَـــا عَـــا   صِـــمُ يَـــا خَـيْـرَ خَـدِيـــنِ
أَنَّ ذَاتَ الـــخَـــالِ تَـــأْتِـــيـ   ـنِـي عَـلَـى رَغْـمِ قَـرِيـــنِ
لا تَـــلُـــمْـــنِـــي إنَّ ذَاتَ الـــ   ـخَـــالِ دُنْـيَـــايَ وَدِيـــنِـــي
وإِلَـــى حَـفْـصٍ خَـلِـيـلِـي   وَوَزِيـــرِي وَأَمِـيـــنِـــي
بُـــحْـــتُ لاَ أَكْـــتُـــمُـــهُ شَـــيْـــ   ـئــاً مِـــنَ الـــدَّاءِ الـــدَّفِـيـــنِ
إِنَّ بِـــي مِـــنْ حُـــبِّ ذَاتِ الـــ   ـخَـــالِ شَـيْـئـاً كَـالـجُـنُـونِ

فيه لإبراهيم هزَج بالوسطى، عن ابن المكيّ.

ومنها : **صوت** [مجزوء المديد]

تَـــقُـــولُ ذاتُ الـــخَـــالِ   لِـــي: يَـــا خَـلِـيَّ الـبَـــالِ
فَـــقُـــلْـــتُ: حَـــاشَـــاكِ مِـــنْ أَنْ   يَـــكُـــونَ حَـــالُـــكِ حَـــالِـــي
أَغْـــرَضْـــتِ عَـــنِّـــيَ لَـــمَّـــا   أَوْقَـعْـتِـنِـي فِـي الـحِـبَـالِ
إِنَّ الـــخَـــلِـــيَّ هُـــوَ الـــغَـــا   فِـــلُ الَّـــذي لا يُـــبَـــالِـــي

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن، وذكر ابن المكيّ أنه رمل.

ومنها : **صوت** [الهزج]

أَمَـــا تَـــعْـــلَـــمُ ذَاتُ الـــخَـــا   لِ فَـــوْقَ الـــشَّـــفَـــةِ الـعُـلْـيَـا
بِـــأَنِّـــي لَـــسْـــتُ أَهْـــوى غَـــيْـــ   ـرَهَـــا شَـــيْـــئـــاً مِـــنَ الـــدُّنْـيَـا
وَأَنِّـــي عَـــنْ جـــمـــيـــع الـــنَّـــ   ـاسِ إلاَّ عَـــنْـــهُـــمُ أَعْـــمَـــى
وَأَنِّـــي لَـــوْ سُـــقِـــيـــت الـــدَّهْـــ   ـرَ مِـــنْ رِيـــقِـــكِ لاَ أَرْوَى

الشعر والغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى، عن عمرو وابن المكيّ وغيرهما. وقد روي «أما تعلم يا ذا الخال»، وهذا هو الصحيح.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَا لَيْتَ شِعريَ كَيْفَ ذَاتُ الخَالِ ... أَمْ أَيْنَ تَحسِبُ حَالَهَا مِنْ حَالِي
هَلْ أَنْسَيَنْ مِنْهَا وضَمَّتْ مَرَّةً ... رَأْسِي إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ: مَا لِي
أَلِزَلَّةٍ أَقْصَيْتَنِي نَفْسِي الفِدَا ... لَكَ أَمْ أَطَعْتَ مَقَالَةَ العُذَّالِ
واللَّهِ مَا اسْتَحْسَنْتُ شَيْئاً مُونِقاً ... أَلْتَذُّهُ إِلاَّ خَطَرَتْ بِبَالِي

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان: هزج بالأصابع كلها، عن ابن المكيّ، وثقيل أول بالوسطى، عن حبش.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَا لَيْتَ شِعريَ وَالنِّسَاءُ غَوَادِرٌ ... خُلْفُ العِدَاتِ وَفَاؤُهن قَليلُ[1]
هَلْ وَصْلُ ذاتِ الخَالِ يَوْماً عَائِدٌ ... فَتَزُولَ لَوْعَاتي وَحَرُّ غَلِيلي
أَمْ قَدْ تَنَاسَتْ عَهْدَنا وَأَحَالَها ... عَنْ ذاكَ مَلْكُ حَالَ دونَ خَلِيلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه، ثقيل أوّل بالبنصر، عن إسحاق بن إبراهيم، وابن المكي والهشاميّ.

انقضت أخبارها.

صوت [الخفيف]

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ ... بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرورُ
حُلْوَةُ القَوْلِ والِلّسَانِ وَمُرٌّ ... كُلُّ شَيْءٍ أَجَنَّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا ... آيَةُ الحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ[2]

الشعر لِحُجْر بن عمرو آكل المُرار، والغناء لِحُنين، ثاني ثقيل بالبنصر، عن الهشاميّ، وفيه لِنُبيه ثقيل أوّل بالوسطى، عن حَبَش، وفيه رمل له.

---

(١) في البيت إقواء.

(٢) الخيتعور: الذي لا يدوم على حال.

نسب حُجر بن عمرو، والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

[نسبه وقتاله لابن الهبولة]

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور بن مُرْتِع، واسمه عمرو بن ثور، وقيل: ابن معاوية بن ثور، وهو كِندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن ادَد بن زيد بن يَشْجُب بن عرِيب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان.

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة، قال: حدّثني عمي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن الشَّرْقي بن القُطاميّ قال: أقبل تُبَّع أيَّامَ سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو، وهو آكل المرار، فلم يزل ملكاً حتى خَرِف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن. ثم إن زياد بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعيّ، أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار، ومنزله بغَمر[1] ذي كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين. فبلغ زياداً غزاته، فأقبل حتى أغار في مملكة حُجْر، فأخذ مالاً كثيراً، وسبى امرأة حُجْر، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل.

فلمّا بلغ حُجراً وبكر بن وائل مُغَارُه[2] وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذ

(١) غمر ذي كندة: موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين (معجم البلدان ٤: ٢١١).

(٢) المُغَار: الغارة.

أشرافُ بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان، وصُلَيْع بن عبد غَنْم بن ذهل بن شيبان، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلِّم، قالا لحجر: إنا متعجِّلان إلى الرجل، فلعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا. فلقياه دون عين أُباغ[1]، فكلَّمه عوف بن محلّم، وقال: يا خير الفتيان. اردد عليّ ما أخذته مني. فأعطاه إياه. وكلّمه عمرو بن معاوية في فحل إبله، فقال: خذه، فأخذه عمرو؛ وكان قويّاً. فجعل الفحلُ ينزع إلى الإبل، فاعتقله عمرو، فصرعه. فقال له ابن الهبولة: أما والله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم. فقال عمرو: أما والله لقد وهبت قليلاً، وشتمت جليلاً ولقد جررت على نفسك شراً، ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر.

فأقبل حُجْر في أصحابه، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفِير»[2] بالبرّ، وهو دون عين أُباغ، بعث سَدوساً وصُلَيعاً يتجسّسان له الخبر، ويعلمان له علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره، وقد أوقد ناراً، ونادى منادٍ له: مَنْ جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة[3] من تمر. وكان ابن الهَبولة قد أصاب في عسكر حُجْرٍ تمراً كثيراً، فضَرب قِبابه، وأَجَّجَ نارَه، ونثر التمرَ بين يديه، فمن جاء بحطب أعطاه تمراً. فاحتطبَ سَدوس وصُلَيع، ثم أتيا به ابن الهَبولة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر، وجلسا قريباً من القُبَّة. فأما صليع فقال: هذه آية وعلَم ما يريد، فانصرف إلى حُجْر، فأعلمه بعسكره، وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بِأمر جَلِيٍّ. فلمَّا ذهب هزِيعٌ من اللَّيل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، وقد تفرّق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سَدُوس بيده إلى جَلِيس له، فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر. فقال: أنا فلان ابن فلان. قال: نعم. ودنا سَدوس من القُبَّة، فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر، فقبَّلها وداعبها، ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن بِحُجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظَنِّي به والله أنه لن يدعَ طلبك حتى يطالع القصور الحُمر، وكأني أنظر إليه في

(١) عين أباغ: وادٍ وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام (معجم البلدان ١: ٦١).
(٢) الحفير: اسم يطلق على عدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٢: ٢٧٦).
(٣) الفدرة: القطعة.

فوارس من بني شيبان يُذَمِّرهم ويذمِّرونه، وهو شديد الكَلَب، سريع الطَّلب، يزبد شدقاه كأنه بعير آكلُ مُرار. فسُمِّيَ حُجْر آكلَ المُرار يومئذ. قال: فرفع يده فلطمها. ثم قال: ما قلتِ هذا إلاَّ من عُجْبك به، وحُبِّك له. فقالت: والله ما أبغضتُ ذا نَسمة قطُّ بغضي له، ولا رأيتُ رجلاً قطُّ أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حيٌّ لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسًّا[1] مملوءاً لبناً، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه، فنحَّى رأسه، فمال إلى يديه، وإحداهما مقبوضة، والأخرى مبسوطة، فأهوى إليها فقبضها، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة، وبسط الأخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العُسِّ: شربه ثم مَجَّهُ، فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت، فأستريح منه. فانتبه من نومه، فقال: عليّ بالإناء، فناولته، فشمَّهُ فاضطربت يداه، حتى سقط الإناء فأُهريق. وذلك كلّه بِأُذن سَدُوس. فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته، حتى صَبَّح حُجراً. فقال: [الوافر]

أَتَـاكَ الـمُـرْجِـفُـونَ[2] بِـرُجْـمِ غَـيْـبٍ ... عَـلَـى دَهَـشٍ وَجِـئْـتُـكَ بـالـيَـقِـيـنِ

فَـمَـنْ يَـكُ قَـدْ أَتَـاكَ بِـأَمْـرِ لَـبْـسٍ ... فَـقَـدْ آتِـي بِـأَمْـرٍ مُـسْـتَـبِـيـنِ

ثم قصّ عليه جميع ما سمع.

فأسف ونادى في الناس: الرحيل. فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة، وعرفه سدوس، فحمل عليه، فاعتنقه وصرعه فقتله. وبصر به عمرو بن معاوية، فشدّ عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سَلَبه، وأخذ حُجْر هنداً فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قَطَّعاها قطعاً.

هذه رواية ابن الكلبيّ.

وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهَبولة لما غنم عسكر حُجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيباني، وهي أم الحارث بن حُجر وهند بنت حجر، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو، وله يقول

(١) العُسّ: القدح الضخم.

(٢) المرجِفون: الذين يأتون بالأخبار السيّئة ويذكرون الفتن.

بشر بن أبي خازم: [الكامل]

فَإلَى ابْنِ أُمِّ أُنَاسَ أُعْمِلُ نَاقَتِي عَمْرٍو فَتَنْجَحُ حَاجتِي أَمْ تُرْجَفُ
مَلِكٌ إذا نَزلَ الوُفُودُ بِبَابِهِ غَرَفُوا غَوارِبَ مُزْبِدٍ مَا يُنزَفُ

قال: وبنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللَّخميّ. قال: وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السّبايا والنَّعَم، ويتصيد في المسير، ولا يمرّ بوادٍ إلا أقام به يوماً أو يومين، حتى أتى على ضَرِيَّة[١]، فوجدها مُعْشِبة، فأعجبته، فأقام بها أياماً، وقالت له أم أُناس: إنّي لأَرى ذات وَدَك[٢]، وسوء دَرَكٍ، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير آكِل مُرَار قد أخذ برقبته، فسُمِّيَ حُجْر آكلَ المُرار بذلك. وذكر باقي القصة نحو ما مضى.

وقال في خبر ابن الهَبولة: إن سَدوساً أَسَرَه، وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله، فغضب سَدوس لذلك، وقال: قتلت أسيري وديتُه دية الملوك. وتحاكما إلى حُجْر، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك؛ وأعانهم في ذلك بماله. وقال سَدُوس في ذلك يعاتب بني شيبان: [الكامل]

مَا بَعْدَكُمْ عَيْشٌ وَلاَ مَعْكُمُ عَيْشٌ لِذِي أَنَفٍ وَلاَ حَسَبِ
لَوْلاَ بَنُو ذُهْلٍ وجَمْعُ بَنِي قَيْسٍ وَمَا جَمَّعْتَ مِنْ نَشَبِ
مَا سُمْتُمُونِي خُطَّةً غَبَناً وَعَلَى ضَرِيَّةَ رُمْتُمُ غَلَبِي

قال: وقد رُويَ أن حُجْراً ليس بآكل المُرار، وإنّما أبوه الحارث آكل المُرار. ورُوِيَ أيضاً أنه إنما سُمِّيَ آكلَ المُرار لأن سَدوساً لما أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند، وأنَّ رأسه كان في حجرها، وحَدَّثه بقولها وقوله، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بِالمُرار، وهو نبت شديد المرارة، وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدةُ الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك، ووجد طعمه، فسُمّي يومئذ آكل المُرار.

---

(١) ضَرِيَّة: قرية عامرة في طريق مكة من البصرة من نجد (معجم البلدان ٣:٤٥٧).

(٢) الوَدَك: الدسم من اللّحم والشحم.

قال ابن الكلبي: وقال حُجْر في هند: [الخفيف]

لِـمَـنِ الـنَّـارُ أُوقِـدَتْ بِـحَـفـيـرِ ... لَـمْ تَـنـمْ عِـنْـدَ مُـصْـطَـلٍ مَـقْـرُورِ
أَوْقَـدَتْـهـا إِحْـدَى الـهُـنـودِ وقَـالَـتْ ... أَنْـتَ ذا مُـوثَـقٌ وَثَـاقَ الأَسِـيـرِ
إِنَّ مَـنْ غَـرّهُ الـنِّـسَـاءُ بِـشَـيْءٍ ... بَـعْـدَ هِـنْـدٍ لَـجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدّماً وفيها الغناء.

صوت

[الكامل]

طَـرِبَ الـفُـؤَادُ وَعَـاوَدَتْ أَحْـزَانُـهُ ... وَتَـفَـرَّقَـتْ فِـرَقـاً بِـهِ أَشْـجَـانُـهُ
وَبَـدَا لَـهُ مِـنْ بَـعْـدِ مَـا انْـدَمَـلَ الـهَـوى ... بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِـنـاً لَـمَـعَـانُـهُ
يَـبْـدو كَـحَـاشِـيَـةِ الـرِّدَاءِ وَدُونَـهُ ... صَـعْـبُ الـذُّرَى مُـتَـمَـنِّـعٌ أَرْكَـانُـهُ
فَـالنَّـارُ مَـا اشْـتَـمَـلَـتْ عَـلَـيْـه ضُـلُـوعُـهُ ... والـمَـاءُ مَـا جَـادَتْ بِـهِ أَجْـفَـانُـهُ

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِيّ، والغناء لرذاذ، ويقال إنه لبنان. خفيف ثقيل، وفيه ثقيل أوّل، يقال إنه لأبي العنبس، ويقال إنه للقاسم بن زُرزور، وفيه لعمرو الميداني رمل طُنبوريّ، وهو لحن مشهور.

أخبار محمد بن صالح العلويّ ونسبه

[نسبه ومنزلته الشعرية وخروجه على المتوكّل]

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازيّ ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين. وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ٱبنيْ عبد الله بن حسن بن حسن الحِجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعاً هند بنت أبي عُبيدة.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء والطوسِيّ قالا: حَدّثنا الزُّبير بن بكار، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العَلوِيّ. قال: حدّثني الزبير بن بكار: أن هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستّون سنة. قال: ولا تحمل لستين إلاّ قرشيّة، ولا تحمل لخمسين إلاَّ عربية. قال: وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة، وله تقول أُمُّه هند: [الرجز]

إِنَّـكَ أَنْ تَـكُـونَ جَـوْنـاً أَنْـزَعَـا ... أَجْـدَرُ أَنْ تَـضُـرَّهُـمْ وَتَـنْـفَـعَـا

وَتَسْلُكَ العَيْشَ طَرِيقاً مَهْيعا ... فَرْداً مِنَ الأَصْحَابِ أَوْ مُشَيَّعا[1]

وكان موسى ٱستترَ بعد قتل أخويه زماناً، ثم ظَفر به أبو جعفر، فضربه بالسوط، وحبسه مدّة، ثم عفا عنه وأطلقه.

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها.

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكّل مع من بَيّض في تلك السنة، فظفر

(١) الطريق المهيع: الواسع الواضح البيّن.

به وبجماعة من أهل بيته أبو السّاج، فأخذهم وقيّدهم، وقتل بعضهم، وأخرب سُويقة[١]، وهي منزل للحسَنِيِّين، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، وَقَعَر[٢] بها نخلاً كثيراً، وحَرَّقَ منازلَ لهم بها، وأثَّرَ فيهم وفيها آثاراً قبيحة، وحُملَ محمد بن صالح فيمن حُملَ منهم إلى سُرَّ مَنْ رأى، فحُبِسَ ثلاث سنين، ثم مدح المتوكِّل، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غُنِّيَ في شعره المذكور فطربَ، وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

وأخبرني محمد بن خلف وكِيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خَيْثمة قال: أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم، في شيء من أمور السلطان، وكان محمد بن صالح قد خرج بسُويقة، فصار أبو الساج إلى سُويقة، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه، ونزل إليه فقيَّده، وحمله إلى سُرّ من رأى، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين، ثم أُطلق، وأقام بها إلى أن مات. وكان سبب موته أنه جُدِر، فمات في الجُدَرِيّ، وهو الذي يقول في الحبس:

[الكامل]

طَـرِبَ الـفُـؤَادُ وَعَـاوَدَتْ أَحْـزَانُـهُ ... وَتَـشَـعَّـبَـتْ شُـعَـباً بِـهِ أَشْـجَـانُـهُ
وَبَدَا لَـهُ مِـنْ بَـعْـدِ مـا انْـدَمَـلَ الـهَـوى ... بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِـنـاً لَـمَـعَـانُـهُ[٣]
يَـبْـدُو كَـحَـاشِـيَـةِ الـرِّدَاءِ وَدُونَـهُ ... صَـعْـبُ الـذُّرَا مُـتَـمَـنِّـعٌ أَرْكَـانُـهُ
فَـدَنَـا لِـيَـنْـظُـرَ كَـيْـفَ لاحَ فَـلَـمْ يُـطِـقْ ... نَـظَـراً إِلَـيْـهِ وَرَدَّهُ سَـجَّـانُـهُ
فـالـنَّـارُ مَـا اشْـتَـمَـلَـتْ عَـلَـيْـه ضُـلوعُـهُ ... والـمَـاءُ مَـا سَـحَّـتْ بِـهِ أَجْـفَـانُـهُ
ثُـمَّ اسْـتَـعَـاذَ مِـنَ الـقَـبِـيـحِ وَرَدَّهُ ... نَـحْـوَ الـعَـزَاءِ عَـن الـصِّـبـا إِيـقَـانُـهُ
وَبَـدا لَـهُ أَنَّ الَّـذي قَـدْ نَـالَـهُ ... مَـا كَـانَ قَـدَّرَهُ لَـهُ دَيَّـانُـهُ
حَـتَّـى اطْـمَـأَنَّ ضَـمِـيـرُهُ وَكَـأَنَّـمَـا ... هَـتَـكَ الـعَـلائِـقَ عَـامِـلٌ وَسِـنَـانُـهُ[٤]
يـا قَـلْـبُ لا يَـذْهَـبْ بِـحِـلْـمِـكَ بَـاخِـلٌ ... بِـالـنَّـيْـلِ بَـاذِلُ تَـافِـهٍ مَـنَّـانُـهُ

(١) سُويقة: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب ﷺ (معجم البلدان ٣:٢٨٦).
(٢) قَعرَ الشجرة: قلعها من قعرها.
(٣) المَوهِن من الليل: نحو نصفه أو بعد ساعة منه.
(٤) عامل الرمح: صدره، وهو ما يلي السّنان.

يَعِدُ القَضاءَ وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِداً وَيَكُونُ قَبْلَ قَضَائِهِ لَيَّانُهُ(١)
خَدِلُ الشَّوَى حَسَنُ القَوامِ مُخَصَّرٌ عَذْبٌ لَمَاهُ طَيِّبٌ أَرْدَانُهُ(٢)
واَقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الإلهُ فَأَمْرُهُ مَا لا يَزَالُ عَلَى الفَتَى إتْيَانُهُ
والبُؤْسُ مَاضٍ مَا يدومُ كَمَا مَضَى عَصْرُ النَّعِيمِ وزالَ عَنْكَ أَوَانُهُ

أخبرني عَمّي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن انتصف الليل، وأنا أرى أنه يبيت، فإذا هو قد قام، فتقلَّدَ سيفه وخرج، فأشفقتُ عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسألته المُقام والمبيت، وأعلمته خوفي عليه، فالتفت إليّ مبتسماً وقال:

[الطويل]

إذا مَا اشْتَمَلْتُ السَّيفَ واللَّيلَ لَمْ أَهَلْ لِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْرَعْ فُؤَادي القَوَارِعُ

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: مَرَّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكّل، فرأى الجواري يلطمنَ عنده، فأنشدني لنفسه: [الطويل]

رَأَيْتُ بِسَامَرَّا صَبِيحَةَ جُمْعَةٍ عُيوناً يَروقُ النَّاظِرِينَ فُتورُهَا
تَزُورُ العِظامَ البَالياتِ لَدَى الثَّرَى تَجاوزَ عَنْ تِلْكَ العِظَامِ غَفُورُها
فَلَوْلاَ قضاءُ اللّهِ أَنْ تَعْمُرَ الثَّرَى إلى أَنْ يُنادَى يَوْمٌ يُنْفَخُ صُورُهَا
لَقُلْتُ عَسَاهَا أَنْ تَعِيش وَأَنَّهَا سَتُنْشَرُ مِنْ جَرّا عُيُونٍ تَزُورُهَا(٣)
أَسيلاتِ مَجْرى الدَّمْعِ إمَّا تَهلَّلتْ شُؤونُ المَآقِي ثُمَّ سَحَّ مَطِيرُهَا(٤)
بِوَبْلٍ كَأَتْوام الجُمَانِ يُفِيضُهُ عَلَى نَحْرِهَا أَنْفَاسُها وَزَفِيرُهَا
فيا رَحْمَةً مَا قَدْ رَحِمْتِ بَواكِياً ثِقَالاً تواليها لِطافاً خُصُورُهَا

[أخبار زوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

---

(١) اللّيّان: المخلف موعده.
(٢) خَدِلُ الشّوى: ممتلىء الأطراف. واللّمى: سمرة في باطن الشفة مستحسنة.
(٣) الأسيل: الأملس اللّيّن. والشؤون: جمع الشّأن: عِرْقُ الدموع.
(٤) النبعة: الأصل.

حدّثني إبراهيم بن المدبِّر قال: جاءني محمد بن صالح الحسنيّ، فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرْبِيّ، أو أخته حَمدونة. ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى، فسألته أن يجيبه؛ فأبى، وقال لي: لا أكذبك، والله ما أردُّه لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره، ولكني أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتي ونفسي. فرجعت إليه، فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدّة، ثم عاودني بعد ذلك، وسألني معاودته، فعاودته ورَفَقْت به، حتى أجاب، فزوّجه أخته، فأنشدني بعد ذلك محمد: [الطويل]

خَطَبْتُ إلَى عيسى بْنِ مُوسى فَرَدَّني ... فَلِلَّهِ وَالِي حُرَّةٍ وعَلِيقُهَا
لَقَدْ رَدَّنِي عيسى وَيَعْلَمُ أنَّنِي ... سَليلُ بَنَاتِ المُصْطَفَى وَعَرِيقُهَا
وَإِنَّ لَنَا بَعْدَ الوِلاَدَةِ نَبْعَةً ... نَبيُّ الإِلٰه صِنْوُهَا وَشَقِيقُهَا[1]
فَلَمَّا أَبَى بُخْلاً بِهَا وَتَمَنُّعاً ... وَصَيَّرني ذا خُلَّةٍ لا يُطيقُهَا
تَدَارَكَنِي المَرْءُ الَّذي لَمْ يَزَلْ لَهُ ... مِنَ المَكْرُمَاتِ رَحْبُها وَطَلِيقُهَا
سَمِيُّ خَلِيلِ الله وابْنُ وَلِيِّهِ ... وَحمّالُ أَعْبَاءِ العُلاَ وَطَرِيقُهَا
وَزوَّجَهَا والمَنُّ عِنْدِي لِغَيْرِهِ ... فَيَا بَيْعَةً وفَّتْنِي الرِّبْحَ سوقُهَا
وَيَا نِعْمَةً لابْنِ المُدَبِّر عِنْدَنَا ... يَجِدُّ عَلَى كَرِّ الزَّمَانِ أنيقُهَا

قال ابن مهرويه: قال لي إبراهيم بن المدبر: فلما نُقِلَتْ حمدونة إليه شُغف بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدني لنفسه فيها: [السريع]

لَعَمْرُ حَمْدونَةَ إنِّي بِهَا ... لَمُغْرَمُ القَلْبِ طَويلُ السَّقَامْ
مُجَاوِزٌ لِلْقَدْرِ فِي حُبِّهَا ... مُبَايِنٌ فِيهَا لأهْلِ المَلاَمْ
مُطَّرِحٌ لِلْعَذْلِ مَاضٍ عَلَى ... مَخَافَةِ النَّفْسِ وَهَوْلِ المَقَامْ
مُشَايِعي قَلْبٌ يَخَافُ الخَنَا ... وَصَارِمٌ يَقْطَعُ صُمَّ العِظَامْ
جَشَّمَنِي ذلك وَجْدي بِهَا ... وَفَضْلُها بَيْنَ النِّسَاءِ الوِسَامْ
مَمْكُورَةُ السَّاقِ رُدَيْنِيَّةٌ ... مَعَ الشَّوَى الخَدْلِ وَحُسْنِ القَوَامْ
صَامِتَةُ الحِجْلِ خَفُوقُ الحَشَا ... مَائِرَةُ السَّاقِ ثَقَالُ القِيَامْ
سَاجِيَةُ الطَّرْفِ نَؤومُ الضُّحَى ... مُنِيرَةُ الوَجْهِ كَبَرْقِ الغَمَامْ[2]
زَيَّنَهَا اللَّهُ وَمَا شَانَهَا ... وَأُعْطِيَتْ مُنْيَتَها مِنْ تَمَامْ

(١) الردينيّة: تشبيه بالرمح الردينيّ.
(٢) الحِجل: الخلخال. ومائرة الساق: خفيفة في سيرها.

تِـلْـكَ الَّـتـي لَـوْلاَ غَـرامـي بِـهَـا كُـنْـتُ بِـسَـامـرًا قَـلـيـلَ الـمُـقَـامْ

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر، في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة.

[قصته مع زوجته حمدونة ومدحه لإبراهيم بن المدبر]

وحَدّثني عَمّي عن أبي جعفر بن الدِّهقانة النديم قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: جاءني يوماً محمد بن صالح الحَسَني العلويّ بعد أن أُطلِقَ من الحبس، فقال لي: إنّي أريد المُقام عندك اليوم على خلوة، لأبُثّكَ من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفتُ مَنْ كان بحضرتي، وخلوت معه، وأمرت بردِّ دابّته، وأخذ ثيابه؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا، قال لي: أُعلمكَ أني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفُلانيَّة، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزُها وأنيخُ الجِمالَ، إذ طلعت عليّ امرأة من العَمَارِيّة، ما رأيت قَطّ أحسن منها وجهاً، ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى، إن رأيتَ أنِ تدعوَ لي بالشريف المتولّي أمر هذا الجيش، فقلت: وقد رأيتِه وسمع كلامك. فقالت: سألتك بحقّ الله وحق رسولهﷺ أنت هو؟ فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرّي، ولأبي مَحَلٌّ من سُلْطانه، ولنا نِعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ، وما أسألك إلاّ أن تصونني وتسترني، وهذه ألف دينار معي لنفقتي، فخذها حلالاً، وهذا حَلْيٌ عليّ من خمسِ مئة دينار، فخذه وضَمِّنِّي ما شئت بعده، خذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهلِ الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني، واحمني من أصحابك، ومن عار يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً، فقلت لها: قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجتُ فناديت في أصحابي، فاجتمعوا، فناديت فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخَفَرتها وحَمَيْتُها، ولها ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّتي، فمن أخذ منها خيطاً أو عِقالاً فقد آذنته

---

(١) الطَّرْفُ السّاجي: الفاتر الساكن.

بحرب. فانصرفوا معي وانصرفت.

فلما أُخِذْتُ وحُبِسْتُ، بينا أنا ذات يوم في مَحْبِسي إذ جاءني السَّجّان وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حُظِرَ عليّ أن يدخل عليك أحد، إلاَّ أنهما أعطتاني دُمْلُج[1] ذَهب، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذِنتُ لهما، وهما في الدهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكّرتُ فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب، لا أعرف أحداً، ثم قلت: لعلّهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتي، فلمّا رأتني بكتْ لما رأت من تغيّر خَلْقي، وثقل حديدي، فأقبلت عليها الأُخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إيْ والله، إنه لهو هو، ثم أقبلت عليّ فقالت: فِداكَ أبي وأمي، والله لو استطعت أن أَقِيكَ مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت، وكنتَ بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركتُ المعاونة لك، والسَّعي في حاجتك، وخلاصك بكلّ حيلةٍ ومال وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطِيب، فاستعنْ بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك، حتى يُفَرِّجَ الله عنك. ثم أخرجت إلي كِسوةً وطِيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كلّ يوم بطعام نظيف، وتواصلُ برَّها بالسَّجّان، فلا يمتنع من كلّ شيء أُريده.

فمنّ الله بخلاصي، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبي. فأتيته، فخطبتها إليه، فردَّني، وقال: ما كنت لأُحقّقَ عليها ما قد شاعَ في الناس عنك في أمرها، وقد صَيَّرْتَها فضيحة، فقمت من عنده مُنكِّساً مُسْتَحِياً، وقلت له في ذلك: [الطويل]

رَمَوْني وَإِيَّاهَا بِشَنْعَاءَ هُمْ بِهَا ... أَحَقُّ أَدَالَ اللَّهُ مِنْهُمْ فَعَجَّلاَ
بِأَمْرٍ تَرَكْنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ... عِيَاناً فَإِمَّا عِفَّةً أَوْ تَجَمُّلا

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيع، وأنا أكفيك أمره.

فلمّا كان من الغد لَقِيتُ عيسى في منزله، وقلت له: قد جئتك في حاجة لي؛ فقال: مقْضيّة، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبّه لأمرتني فجئتك، وكان أسرَّ إليّ. فقلت له: قد جئتك خاطباً إليك ابنتك. فقال: هي لك أَمَة، وأنا لك عبد، وقد أجبتكَ. فقلت: إنّي خطبتها على مَنْ هو خير مني أباً وأماً، وأشرف لك صهراً ومُتَّصلاً: محمد بن صالح العَلوِيّ. فقال لي: يا سيدي، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنَّةٌ،

(١) الدّملج: السُّوار.

وقيلت فينا أقوال. فقلت: أفليست باطلة؟ قال: بلى، والحمد لله. قلت: فكأنها لم تُقَلْ، وإذا وقع النكاح زالَ كلُّ قولٍ وتشنيع، ولم أَزَلْ أرفُقُ به حتى أجاب، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته، وما برحتُ حتى زَوَّجْتُه، وسُقْتُ الصَّدَاقَ عنه.

قال أبو الفرج الأَصْبهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولِصداقة كانت بينهما، فمن جَيِّدِ ما قاله فيه قوله: [الوافر]

أَتُـخْـبِـرُ عَـنْـهُـمُ الـدِّمَـنُ الـدَّثُـورُ ... وَقَـدْ يُـنْـبِـي إذا سُـئِـلَ الـخَـبِـيـرُ
وَكَـيْـفَ تُـبَـيِّـنُ الأَنْـبَـاءَ دارٌ ... تَـعَـاقَـبَـهَـا الـشَّـمَـائِـلُ وَالـدَّبُـورُ[1]

يقول فيها في مدحه:

فَـهَـلاً فـي الَّـذي أَوْلاكَ عُـرْفـاً ... تُـسَـدِّي مِـنْ مَـقَـالِـكَ مَـا تُـنِـيـرُ
ثَـنَـاءَ غَـيْـرَ مُـخْـتَـلَـقٍ وَمَـدْحـاً ... مَـعَ الـرُّكْـبَـان يُـنْـجِـدُ أَوْ يَـغُـورُ
أَخٌ واسَـاكَ فِـي كَـلَـبِ الـلَّـيـالِـي ... وَقَـدْ خَـذَلَ الأَقَـارِبُ والـنَّـصِـيـرُ[2]
حِـفَـاظـاً حـيـنَ أَسْـلَـمَـكَ الـمَـوالـي ... وَضَـنّ بِـنَـفْـسِـهِ الـرَّجُـلُ الـصَّـبـورُ
فَـإِنْ تَـشْـكُـرْ فَـقَـدْ أَوْلـى جَـمِـيـلاً ... وَإِنْ تَـكْـفُـرْ فَـإِنَّـكَ لَـلْـكَـفُـورُ
وَمَـا فِـي آلِ خَـاقَـانَ اعْـتِـصَـامٌ ... إذا مَـا عُـمِّـمَ الـخَـطْـبُ الـكَـبِـيـرُ
لِـئَـامُ الـنَّـاسِ إِثْـراءً وَفَـقْـراً ... وَأَعْـجَـزُهُـمْ إذا حَـمِـيَ الـقَـتِـيـرُ[3]
قُـوَيْـمٌ لا يُـزَوِّجُـهُـمْ كَـرِيـمٌ ... وَلاَ تُـشْـنَـى لِـنِـسْـوَتِـهِـمْ مُـهـورُ

وإنما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قَصَّر به وتحامل عليه، وكان يقول ما يكره، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه، وكان فيه وفي ولده نَصْب شديد.

ولمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حَدّثني عبد الله بن طالب الكاتب قال: كان محمد بن صالح العلويّ حُلْو اللسان، ظريفاً أديباً، فكان بِسُرَّ مَنْ رأى مخالطاً لِسَرَاةِ الناس، ووجوه أهل البلد، وكان لا يكاد يفارق

(١) الشمائل: الرياح الشمالية. والدَّبور: الريح الغربية.
(٢) كَلَبُ الليالي: شدّتها وأذاها.
(٣) القتير: الدرع.

سعيد بن حُمَيد، وكانا يتقارضان الأشعار، ويتكاتبان بها. وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلويّ: [الطويل]

أُصَاحِبُ مَنْ صَاحَبْتُ ثُمَّتَ أَنثَنِي إِلَيْكَ أَبَا عُثْمَانَ عَطْشَانَ صَادِيَا
أَبَى القَلْبُ أَنْ يُرْوى بِهِمْ وَهْوَ حَائِمٌ إِلَيْكَ وَإِنْ كَانُوا الفُرُوعَ العَوَالِيَا
ولكنْ إذا جِئْنَاكَ لَمْ نَبْغِ مَشْرَباً سِواكَ وَرَوَّيْنا العِظَامَ الصَّوادِيَا

قال عبد الله بن طالب: وكان بعض بني هاشم دعاه، فمضى إليه، وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأُخبر بموضعه عند الهاشميّ، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن حُميد، فسكر محمد بن صالح قبله، فقام لينصرف، والتفت إلى سعيد وقال له: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لَمَّا افْتَرَقْنَا أَخُو ضِنٍّ بِخُلْصَانِي سَعِيدِ[1]
تَبَقَّتْهُ المُدَامُ وَأَزْعَجَتْنِي إِلى رَحْلِي بِتَعْجِيلِ الوُرُودِ

[سعيد بن حميد يرثيه]

قال: وتُوفّيَ محمد بن صالح بسُرّ من رأى، وكان يَجْهد في أن يُؤذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلى ذلك، فقال سعيد يرثيه: [الطويل]

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا أَبَانَ يَدِي عَضْبُ الذُّبَابَيْنِ قَاضِبُ
وَهَاضَ جَناحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ وَسُدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الجميلِ المَذَاهِبُ
وَمِنْ عَادَةِ الأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا إذا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ[2]
لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدَ أَنَّنَا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الغَيْثِ والعَامُ جَادِبُ
فَمَا أَعْرِفُ الأَيَّامَ إِلاَّ ذَمِيمَةً ولا الدَّهْرَ إِلاَّ وَهْوَ بالثَّأْرِ طالِبُ
ولا لِيَ مِنَ الإِخْوانِ إلاَّ مُكَاشِرٌ فَوَجْهٌ لَهُ راضٍ وَوَجْهٌ مُغَاضِبُ
فَقَدْتُ فَتًى قَدْ كانَ لِلأَرضِ زِينَةً كَمَا زَيَّنَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ الكَواكِبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي وَكُلُّ امرِىءٍ يَوْماً إِلى اللَّهِ ذَاهِبُ
لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي النَّوائِبُ حُكْمَها فَمَا تَرَكَتْ حَقّاً عَلَيَّ النَّوائِبُ

---

(١) خُلصاني: خالصتي الذي صدقت مودّته.

(٢) الصّروف: المصائب.

ولا تَـرَكَـتْـنِـي أرْهَـبُ الـدَّهْـرَ بَـعْـدَهُ ... لَـقَـدْ كَـلَّ عَـنِّـي نَـابُـهُ والـمَـخَـالِـبُ
سَقَى جَدَثاً أَمْسَى الكَرِيمُ ابْنُ صَالِحٍ ... يَحُلُّ بِهِ، دَانٍ مِنَ المُزْنِ سَاكِبُ(١)
إذا بَـشَّـرَ الـرُّوادَ بِـالـغَـيْـثِ بَـرْقُـهُ ... مَرَتْهُ الصَّبا واسْتَحْلَبَتْهُ الجَنَائِبُ(٢)
فَـغَـادَرَ بـاقِـي الـدَّهْـرِ تَـأْثِـيـرُ صَـوْبِـهِ ... رَبِيعاً زَهَتْ مِنْهُ الرُّبَا والمَذَانِبُ(٣)

[إطلاقه من الحبس]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدّثني المبرّد قال: لم يزلْ محمد بن صالح محبوساً حتى تَوَصَّلَ بُنان له، بأن غَنَّى بين يدي المتوكّل في شعره: [الكامل]

وبَـدَا لَـهُ مِـنْ بَـعْـدِ مَـا انْـدَمَـلَ الـهَـوَى ... بَـرْقٌ تَـألَّـقَ مَـوْهِـنـاً لَـمَـعَـانُـهُ

فاستحسن المتوكّل الشعرَ واللَّحن، وسأل عن قائله، فأُخبر به، وكُلِّمَ في أمره، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه، وقام الفتح بأمره قياماً تاماً. فأمر بإطلاقه من حبسه، علي أن يكون عند الفتح وفي يده، حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألاّ يبرح من سُرَّ مَنْ رأى، فأُطلِق، وأخَذ عليه الفتحُ الأيمان الموثّقة ألا يبرح من سُرَّ من رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه.

[مَدْحٌ وهجاءٌ]

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جِياد كثيرة، منها قوله في المتوكل: [الكامل]

أَلِـفَ الـتُّـقَـى وَوَفَـى بِـنَـذْرِ الـنَّـاذِرِ ... وَأَبَـى الـوُقُـوفَ عَـلَـى المَـحَـلِّ الـدَّاثِـرِ
وَلَـقَـدْ تَـهِـيـجُ لَـهُ الـدِّيَـارُ صَـبَـابَـةً ... حِيناً وتَـكْـلَـفُ بِـالـخَـلِـيـط الـسَّـائِـرِ
فَـرَأَى الـهِـدَايَـةَ أَنْ أَنَـابَ وَأَنَّـهُ ... قَـصَـرَ الـمَـدِيـحَ عَـلَـى الإِمَـامِ الـعَـاشِـرِ
يـابْـنَ الـخَـلائـف والَّـذيـنَ بِـهَـدْيِـهِـمْ ... ظَـهَـرَ الـوَفَـاءُ وَبَـانَ غَـدْرُ الـغَـادِرِ
وابْـنَ الَّـذيـنَ حَـوَوْا تُـرَاثَ مُـحَـمَّـدٍ ... دونَ الأَقَـارِبِ بِـالـنَّـصِـيـبِ الـوَافِـرِ
نَـطَـقَ الـكِـتَـابُ لَـكُـمْ بِـذَاكَ مُـصَـدِّقـاً ... وَمَـضَـتْ بِـهِ سُـنَـنُ الـنَّـبِـيِّ الـطَّـاهِـرِ
وَوَصَـلْـتَ أَسْـبَـابَ الـخِـلافَـةِ بِـالـهُـدَى ... إِذْ نِـلْـتَـهَـا وَأَنَـمْـتَ عَـيْـنَ الـسَّـاهِـرِ

---

(١) دانٍ من المزن: أي الثقيل من السحاب الذي لا يسرع في سيره.
(٢) مَرَت الريحُ السحابَ: أنزلت مطره.
(٣) الصَّوْب: المطر. والمذانب: جمع المذنب: مسيل الماء والجدول إذا لم يكن واسعاً.

أَحْيَيْتَ سُنَّةَ مَنْ مَضَى فَتَجَدَّدَتْ وَأَبَنْتَ بِدْعَةَ ذي الضَّلالِ الخَاسِرِ
فَافْخَرْ بِنَفْسِكَ أَوْ بِجَدِّكَ مُعْلِناً أَوْ دَعْ فَقَدْ جَاوَزْتَ فَخْرَ الفَاخِرِ
مَا لِلْمَكَارِمِ غَيْرُكُم مِنْ أَوَّلٍ بَعْدَ النَّبِيِّ وَمَا لَهَا مِنْ آخِرِ
إِنِّي دَعَوْتُكَ فَاسْتَجَبْتَ لِدَعْوَتِي وَالمَوْتُ مِنِّي قَيدُ شِبْرِ الشَّابِرِ
فَانْتَشَتَنِي مِنْ قَعْرِ موْرِدة الرَّدَى أَمْناً وَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالَةَ زَاجِرِ
وَفَكَكْتَ أَسْرِي والبَلاءُ مُوَكَّلٌ وَجَبَرْتَ كَسْراً مَا لَهُ مِنْ جَابِرِ
وَعَطَفْتَ بالرَّحِمِ الَّتي تَرْجُو بِهَا قُرْبَ المَحَلِّ مِنَ المَلِيكِ القَادِرِ
وَأَنَا أَعُوذُ بِفَضْلِ عَفْوِك أَنْ أَرَى غَرَضاً بِبَابِكَ لِلْمُلِمِّ الفَاقِرِ[1]
أَوْ أَنْ أُضَيَّعَ بَعْدَمَا أَنْقَذْتَنِي مِنْ رَيْبِ مُهْلِكَةٍ وجَدٍّ عَاثِرِ
وَلَقَدْ مَنَنْتَ فَكُنْتَ غَيْرَ مُكَدِّرٍ وَلَقَدْ نَهَضْتُ بِهَا نُهُوضَ الشَّاكِرِ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا: حدّثنا الفضل بن سعيد بن أبي حَرْب قال: حدّثني أبو عبد الله الجُهَنِيّ قال:

دخلت على محمد بن صالح الحَسَني في حبس المتوكّل، فأنشدني لنفسه يهجو أبا الساج: [الوافر]

أَلَمْ يُحْزِنْكَ يَا ذَلْفَاءُ أَنِّي سَكَنْتُ مَسَاكِنَ الأَمْواتِ حَيّا
وَأَنَّ حَمَائِلِي وَنِجَادَ سَيْفِي عَلَوْنَ مُجَدَّعاً أَشْرُوسَنِيّا[2]
فَقَصَّرَهُنَّ لَمَّا طُلْنَ حَتَّى اسْتَوَيْنَ عَلَيْهِ لا أَمْسَى سَوِيّا
أَما والرّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ تُرِيدُ البَيْتَ تَحْسَبُهَا قِسِيّا[3]
لَوَ اَمْكَنَنِي غَدَاتَئِذٍ جِلادٌ لأَلْفَوْنِي بِهِ سَمْحاً سَخِيّا

قال ابن عمار: وأنشدني عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضاً: [الطويل]

نَظَرْتُ وَدونِي مَاءُ دَجْلَةَ مَوْهِناً بِمَطْروفَةِ الإِنْسَانِ مَحْسُورةٍ جِدّا
لِتُؤْنِس لي نَاراً بِلَيْلٍ تَوَقَّدتْ وَتَاللَّهِ مَا كلَّفتها نَظَراً قَصْدَا
فَلَوْ أَنَّها مِنْهَا لَقُلْتُ كَأَنَّنِي أَرَى النَّارَ قَدْ أَمْسَتْ تُضيءُ لَنَا هِنْدا

(١) المُلِمّ الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.
(٢) أبو الساج الأشروسني: أحد قوّاد المعتمد العباسي (ت ٢٦٦ هـ).
(٣) عِرق: جبل بطريق مكة ومنه ذات عِرق (معجم البلدان ٤: ١٠٨).

تُضيءُ لَنَا مِنهَا جَبِيناً ومَحْجِراً وَمُبْتسَماً عَذْباً وذا غُدَرٍ جَعْدا[١]

انقضت أخباره.

صوت

[الخفيف]

يا عَدِيّا لِقَلْبِكَ المُهْتَاجِ أَنْ عَفَا رَسْمُ مَنْزِلٍ بالنِّبَاجِ[٢]
غَيَّرَتْهُ الصَّبَا وَكُلُّ مُلِثٍّ دَائِمِ الوَدْقِ ذي أهَاضِيبَ داجِ[٣]
وَحَمَلْنَا غُلامَنا ثُمَّ قُلْنَا هَاجِرُ العِيسِ لَيْسَ مِنْكَ بِنَاجِ
فَانْتَحَى مِثْلَ مَا انْتَحَى بَازُ دَجْنٍ جَوَّعَتْهُ القُنَّاصُ لِلدُّرَّاجِ

الشعر لأبي دُواد الإِيادي، والغناء لِحنين، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها، عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة. وفيه لغَريب هزج، وفيه ثقيل أول، ينسب إلى يزيدَ الحَذّاء، وإلى أحمد النَّصيبيّ.

---

(١) الغديرة: الشَّعر المضفور.

(٢) النّباج: في بلاد العرب وهي نباجان الأول نباج بني عامر والثاني نباج بني سعد بالقريتين (معجم البلدان ٥: ٢٥٥).

(٣) المُلِثّ: الليل الأسود.

ذكر أخبار أبي دواد الإياديّ ونسبه

[نسبه وشعره]

هو فيما ذكر يعقوب بن السكِّيت: جارية بن الحجاج. وكان الحجاج يلقب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ. وقال ابن حبيب: هو جارية بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وَصَّافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفَرَس أكثر.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حَمَّاد، عن أبيه، قال: حَدَّثني الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ، عن أبيه، والشَّرْقيّ: أن أبا دُواد الإياديّ مدح الحارث بن همام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن لأبي دُواد وهو في جواره فوداه[1]، فمدحه أبو دُواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلاّ وَدَاه، ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دُواد، وفيه يقول قيس بن زهير: [الوافر]

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِي ... إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوادِ

هذه رواية هؤلاء؛ وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: جاور أبو دُواد الإيادي كعب بن مامة الإياديّ، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، وفيه يقول

(١) وداه: أعطى ديته لوليّه.

طَرَفة يمدح عمرو بن هند:

* جَارٌ كَجَارِ الحُذاقيِّ الَّذي انْتَصَفَا[١] *

وكان لأبي دواد ابن يقال له دُواد شاعر، وهو الذي يقول يرثي أباه:

[البسيط]

فَبَاتَ فينا وَأَمْسَى تَحْتَ هَائِرَةٍ ... مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ مُمْسَى وَإِصْبَاحِ[٢]
لا يَدْفَعُ السُّقْمَ إلاَّ أَنْ نُفَدِّيَهُ ... وَلَوْ مَلَكْنَا مَسَكْنَا السُّقْمَ بِالرَّاحِ

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال: تزوَّجَ أبو دُواد امرأة من قومه، فولدتْ له دُواداً ثم ماتت، ثم تزوج أُخرى، فأُولعت بِدُواد، وأمرت أباه أن يجفوَه ويبعده، وكان يحبّها، فلمَّا أكثرت عليه قالت: أخرجه عني، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمّداً، وقال: أَيْ دُواد، انزل فناولني سَوْطي. فنزل، فدفع بعيره وناداه: [الطويل]

أَدُوَادُ إِنَّ الأَمْرَ أَصْبَحَ مَا تَرى ... فَانْظُرْ دُوَادُ لأَيِّ أَرْضٍ تَعْمِدُ؟

فقال له دُواد: على رِسْلِكَ، فوقف له فناداه: [الطويل]

وَبِأَيِّ ظَنِّكَ أَنْ أُقِيمَ بِبَلْدةٍ ... جَرْدَاءَ لَيْسَ بِغَيْرِهَا مُتَلَدَّدُ[٣]

فرجع إليه وقال له: أنت والله ابني حقاً، ثم رَدَّه إلى منزله، وطَلَّق امرأته.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيباني قال: كانت لأبي دُواد امرأة يقال لها أم حَبْتر، وفيها يقول: [الخفيف]

أَصْبَحَتْ أُمُّ حَبْتَرٍ تَشْكُونِي ... في ثلاثينَ ذعْذَعَتْها حُقوقٌ[٤]
زَعَمَتْ لِي بِأَنَّني أُفسِدُ المَا ... لَ وأَزْوِيهِ عَنْ قَضَاءِ دُيُوني
أَمَّلَتْ أنْ أكونَ عَبْداً لِمَالِي ... وتَهَنَّا بِنَافِعِ المَالِ دُوني

(١) الحذَاقي: هو أبو دواد، نسبة إلى حُذَاق قبيلة من إياد.
(٢) الهائرة: الحفرة في الأرض.
(٣) المُتَلَدَّد: اللّبث في المكان.
(٤) ذعذعتها: فَرَّقتها.

وهي طويلة. قال: ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعْتِبْها، فصرَمته: [مجزوء الكامل]

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتِنِي والمَرْءُ يَعْجَزُ لا مَحَالَهْ
والدَّهْرُ يَلْعَبُ بالفَتَى والدَّهْرُ أَرْوَغُ مِنْ ثُعَالَهْ[1]
والمَرْءُ يَكْسِبُ مَالَهُ والشُّحّ يُورِثُهُ الكَلاَلَهْ
والعَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا والحُرُّ تَكْفِيهِ المَقَالَهْ
والسَّكْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى فالحَيْنُ مِنْ بَعْضِ المَقَالَهْ

[وصفه للخيل]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدَّثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال: ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طُفَيل، وأبو دواد، والجَعديّ. فأما أبو دُواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر. وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أَغْرَل[2] إلى أن كبرَ. وأما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء، فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حَدَّثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: أبو دُواد أوصفُ النَّاسِ للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طُفيل الغنويّ والنابغة الجعدي.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال: لم يصفْ أحدٌ قَطُّ الخيلَ إلاَّ احتاجَ إلى أبي دُواد، ولا وصف الخمر إلا ٱحتاج إلى أوس بن حَجَر، ولا وصف أحد نعامة إلاّ احتاج إلى علقمة بن عَبَدة، ولا ٱعتذر أحد في شعره إلاّ ٱحتاج إلى النابغة الذبياني.

أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثنا عُيينة بن المنهال قال: حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال: حدّثني عبيد الله بن الحرّ العَنَزِيّ القاضي، عن أبي عَرادة قال: كان عليّ صلوات الله عليه يُفْطِر الناسَ في شهر رمضان، فإذا فرغ من العَشاء تكلَّمَ، فأقلَّ وأوجزَ، فأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتى

(١) الثُّعالة: الثعلب.

(٢) الأغرل: الصبيّ قبل أن يُختَن.

ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤلي: قُلْ يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، وكان يتعصّبُ لأبي دُواد الإياديّ: أشعرهم الذي يقول:

[المنسرح]

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي أَحْوَذِيٌّ ذو مَيْعَةٍ إضْرِيجُ[1]
مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ مِنْفَحٌ مِطْرَحٌ سَبوحٌ خَروجُ[2]
سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كَأنَّ رِمَاحاً حَمَلَتْهُ وفي السَّرَاةِ دُموجُ[3]

وكان لأبي الأسود رأيٌ في أبي دُواد، فأقبل عليٌّ عليه السلام على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك، وكلّهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فَضَلَهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر، فإنه كان أصحَّهم بادرة، وأجودهم نادرة.

[مخالفته لمذاهب الشعراء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال: كانت الرواة لا تروِي شعر أبي دواد ولا عديّ بن زيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء، قال: وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني ابن أبي الهَيذام قال: اسم أبي دواد الإياديّ جُوَيرية بن الحجّاج. وكانت له ناقة يقال لها الزَّبّاء، فكانت بنو إياد يتبرّكونَ بها. فلمّا أصابتهم السّنة[4] تفرّقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت في البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن هَمّام.

---

(١) الأحوذيّ: السريع. والميعة: النشاط. والإضريج: السريع.
(٢) المخلط المزيل: الكيّس اللطيف. والمنفح: الذي يرمي بحدّ حوافره ويدفع. والمِطرح: السريع. والخروج: السابق.
(٣) السّلهب الشرجب: الطويل. والسّراة: الظهر. والدموج: الإحكام والملاسة.
(٤) السّنة: القحط والجَدْب.

وكان السببُ في ذلك أنهم أرسلوا الزَّباء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها فحيث توجهت فاتبعوها. وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة[1]. فخرجت تخوض العرب، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن هَمّام، وكان أكرم الناس جِواراً، وهو جار أبي دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزَّباء: [الكامل]

فَإِلَى ابْنِ هَمّام بْنِ مُرّةَ أصعدتْ ظُعُنُ الخليطِ بهم فَقَلَّ زِيالُها
أَنْعَمْتَ نِعْمَةَ مَاجِدٍ ذي مِنَّةٍ نُصِبَتْ عَلَيْهِ مِنَ العُلا أَظْلاَلُها
وَجَعَلْتَنَا دونَ الوَلِيِّ فَأَصْبَحَتْ زَبَّاءُ مُنْقَطِعاً إِلَيْكَ عِقَالُهَا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا يحيى بن سعيد قال: كانت إيادُ تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة، ومنا أشعر الناس أبو دواد، ومنا أنكح الناس ابن أَلْغَز.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدّثني القَحْذميّ قال: كان ابن أَلْغَزَ أَيِّراً، فكان إذا أنعظ احتكّتِ الفِصالُ بأيره، قال: وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن أَلْغزَ، فقالت: يا معشر إياد، أبالرُّكَبِ تجامعون النساء؟ قال: فضرب بيده على أليتها وقال: ما هذا؟ فقالت وهي لا تعقل ما تقول: هذا القمر. فضرب العربُ بها المثل: «أريها اسْتَها وتريني القَمَر». وأنشد، وقد كان الحجّاج مَنع من لحوم البقر خوفاً من قِلّة العِمارة في السواد، فقيل فيه: [المتقارب]

شَكَوْنَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ فَحَرَّمَ فِينَا لُحُومَ البَقَرْ
فَكُنَّا كَمَنْ قَالَ مِنْ قَبْلِنَا أُرِيهَا اسْتَهَا وَتُرِينِي القَمَرْ

[رأي الحطيئة في أبي دواد أنه أشعر الشعراء]

أخبرني عَمّي عن الكراني، عن العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه.

وأخبرني عَمّي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدّثني العُمريّ عن لقيط قال: أخبرني التَّوزي عن أبي عبيدة قال: كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، وفضّلوا بعضهم على بعض وهو ساكت، فقال له: يا أبا

(١) النّجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث.

مُلَيكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم والله أشعر الشعراء، ولا أنشدتم أجود الشعر فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول: [الخفيف]

لا أُعِدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولكنْ ... فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُهُ الإِعْدامُ

والشعر لأبي دواد الإياديّ. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عَبيد بن الأبرص. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم والله بي إذا أخذَتْني رغبة أو رهبة، ثم عَوَيْت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أُمِّه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، قال: حدّثني عمي، وأخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هَجّاس بن مَرِير الإِيادي، عن أبيه، وكان قد أدرك الجاهلية، قال: بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة، وإياد إذ ذاك بالسَّوَاد، إذ خرج ثور من أجمةٍ، فقال أبو دواد: [مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجَّـ ... ـسُ حُرَّةٌ وَأَحَمُّ وَارِدْ[1]
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا ... مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ زَوَائِدْ[2]
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّـ ... ـرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدْ[3]

ثم قال: أنفِذي يا أمَّ دُواد، فقالت: [مجزوء الكامل]

وَبَدَتْ لَهُ أُذُن تَوَجَّـ ... ـسُ حُرَّةٌ وَأَحُمٌّ مُولَقْ
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا ... مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ مُعَلَّقْ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاء لِلضُّـ ... ـرباءِ أَيْديهِمْ تَأَلَّقْ

ثم قال: أنفذْ يا دُواد. فقال: [مجزوء الكامل]

وبَدَتْ لَهُ أُذُن تَوَجَّـ ... ـس حرَّةٌ وأَحَمُّ مرهَفْ
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَا ... مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ مُلَفَّفْ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّـ ... ـرباءِ أَيْدِيهِمْ تَلَقَّفْ

---

(١) تتوجّس: تتسمّع إلى الصوت الخفي. وحرّة: مرهفة السمع. والأحمّ: القرن الأسود. والوارد: الطويل.
(٢) الزَّمع: الشعر في مؤخّرة رجلي الشاة أو الظبي.
(٣) الضُّرباء: الذين يضربون القِداح.

ثم قال: أنفذي يا دُوادة. قالت: وما أقول مع من أخطأ. قالوا: ومن أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له قرناً واحداً، وله قرنان. قالوا: فقولي. قالت:

[مجزوء الكامل]

وَبَــدَتْ لَــهُ أُذُنٌ تَــوَجَّـــ ـسُ حُــرَّةٌ وَأَحَــمَّــتَــانْ
وَقَــوائِــمُ عُــوجٌ لَــهَــا مِنْ خَـلْـفِـهَـا زَمَـعٌ ثَـمـانْ
كَـمَـقَـاعِـدِ الـرُّقَـبَـاءِ لـلـضُّـ ـرَبَـاءِ أَيْـديـهِـمْ دَوَانْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرني عَمِّي عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: كان أبو دُواد الإياديّ الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء، وإن أبا دواد نازع رجلاً بالحِيرة من بهْراء، يقال له رَقَبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة: صالحني وحالفني. فقال أبو دواد: فمن أين تعيش إياد إذاً، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال.

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبي دواد، فخرجوا إلى الشام، فلَقُوهم فقتلوهم. وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً، ثم أتى المنذر، فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً، فأنا أُحبّ أن تتغدّى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينا الجِفان تُرْفَع وتوضع، إذ جاءته جفنة عليها بعض رؤوس بني أبي دُواد، فوثب وقال: أبيت اللّعن! إني جارك، وقد ترى ما صُنع بي، وكان رقبة أيضاً جاراً للمنذر. فوقع المنذر منهما في سَوْأة، وأمر برقبة فحبس، وقال لأبي دواد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتيّ الشهباء والدَّوسر إليهم؟ قال: بلى. قال: قد فعلت. فوجه إليهم بالكتيبتين.

فلما بلغ ذلك رقَبة قال لامرأته: وَيْحك! الحقِي بقومك فأنذريهم. فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تَعرَّتْ من ثيابها، وصاحت وقالت: أنا النذيرُ العُرْيان. فأرسلتها مثلاً. فعرف القوم ما تريد، فصعدوا إلى أعالي الشأم، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دُواد: قد رأيتَ ما كان منهم، وأنا أَدِي كلَّ ابن لك بمئتي بعير، فأمر له بِستّ مِئةِ بعير، فرَضِيَ بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ: [الوافر]

سَـأَفْـعَـلُ مَـا بَـدا لـيَ ثُـمَّ آوِي إِلَــى جَــارٍ كَـجَــارِ أَبِــي دُوادِ

صوت

[الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَطْرافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا واللَّيْلُ دَاجٍ غَيَاهِبُهْ[1]
لأمْرٍ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

الشعر لأبي تمام الطائي، والغناء للقاسم بن زُرْزور، ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر، وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل.

أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثني المظفر بن كَيَغْلَغَ عن القاسم أيضاً: أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة في رقعة، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن. فصنع القاسم هذا اللحن، وصنع جعفر خفيف الثقيل.

(١) غياهب: جمع غَيهب: الظُّلمة.

أبو تمام، اسمه ونسبُهُ وأخباره

[١٨٨ ـ ٢٣١ هـ/ ٨٠٤ ـ ٨٤٦ م]

أبو تمام حبيب بن أَوس الطائيّ، من نفس طَيِّىء صَلِيبة[١]. مولده ومنشؤه مَنْبِج[٢]، بقرية منها يقال لها جَاسِم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غَوّاصٌ على ما يُستصعَبُ منها، ويَعْسُرُ مُتناوله على غيره. وله مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميعَ الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضلَ الإِكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه. والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. وله أشياءُ متوسطة، ورديئة رَذْلة جداً.

وفي عصرنا هذا مَنْ يتعصَّب له فيفرِطُ، حتى يُفَضِّلَه على كلِّ سالف وخالف، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس، وطلَب معايبهم، سبباً للترفُّع، وطلباً للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مُسْقطةً إحسانه؛ ولو كَثُرت إساءته أيضاً ثم أحسن، لم يُقَلْ له عند الإِحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتَّبع.

وقد رُوِيَ عن بعض الشّعراء أنَّ أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك

---

(١) صليبة: محضاً.

(٢) مَنْبِج: بينها وبين حلب عشرة فراسخ (معجم البلدان ٥:٢٠٦).

عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم، ولكن مَثَل شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يَبغض النّاقص، وإن هَوِيَ بقاء المتقدم، لم يهوَ موت المتأخر. واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول: [الكامل]

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلادَةٌ سِمْطَانِ فيها اللُّؤلُؤُ المَكْنُونُ
أَحْذَاكَهَا صَنَعُ اللِّسَانِ يُمِدُّهُ جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكَلامُ مَعِينُ
ويُسِيءُ بِالإِحْسَانِ ظَنّاً لا كَمَنْ هُوَ بابْنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونُ

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره، كنا في غِنًى عن الاعتذار له.

وقد فضَّل أبا تمام من الرُّؤساء والكُبراء والشعراء، من لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه، ولا يدركون ـ وإن جَدُّوا ـ آثاره؛ وما رأى الناس بعده إلى حيث انتَهوا له في جَيِّده نظيراً ولا شكلاً؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رَذْله ودنيئه، لذكرت منه طَرَفاً، ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه.

[أَشْعَرُ أَهْلِ زمانِهِ]

أخبرني عَمّي قال: حدّثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طُرًّا الذي يقول: [البسيط]

وَمَا أُبَالي وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِيَ ماءَ وَجْهي أَوْ حَقَنتَ دَمِي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد، فقلت له: مَنْ أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول: [الكامل]

مَطَرٌ أَبُوك أَبُو أَهِلَّةِ وَائِلٍ مَلأَ البَسِيطَةَ عُدَّةً وعَدِيدَا
نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا
وَرِثُوا الأُبوَّةَ والحُظوظَ فَأَصْبَحُوا جَمَعُوا جُدوداً في العُلاَ وَجُدُودا[1]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

---

(١) جدود الأولى: جمع جدّ وهو أبو الأب أو الأم. والثانية: الحظوظ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيدَ النحوي قال: قدم عمارة بن عَقيل[١] بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هُنا شاعر يزعم [قوم][٢] أنه أشعر الناس طُرًّا[٣]، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه: [الطويل]

غَدَتْ تَسْتَجيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ ... وَعَادَ قَتَاداً عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ[٤]
وأنْقَذَها مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ أنَّهُ ... صُدُودُ فِرَاقٍ لا صُدودُ تَعَمُّدِ
فَأجْرَى لها الإشْفَاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً ... مِنَ الدَّمِ يَجري فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ
هِيَ البَدْرُ يُغْنِيها تَوَدُّدُ وَجْهِها ... إلى كُلِّ مَنْ لاَقَتْ وإنْ لَمْ تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيدَه وقال:

وَلكنَّنِي لَمْ أحْوِ وَفراً مُجَمَّعاً ... فَفُزْتُ بِهِ إلاَّ بِشَمْلٍ مُبَدَّدِ
وَلَمْ تُعْطِنِي الأيَّامُ نَوْماً مُسَكَّناً ... ألَذُّ بِهِ إلاَّ بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة: لله دَرُّه! لقد تقدَّم في هذا المعنى مَنْ سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حَبَّبَ إليّ الاغتراب، هِيه. فأنشده:

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ[٥]
فَإنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إلى النَّاسِ أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ[٦]

فقال عُمارة: كَمَلَ والله، لئن كان الشعر بجودة اللَّفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق الكلام، فإنَّ صاحبكم هذا أشعر الناس.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال: سمعت علي بن الجَهم يصفُ أبا تمّام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان

(١) عُمَارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي: شاعر فصيح من أهل اليمامة (ت ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣ م). ترجمته في (المرزباني ٢٤٧، وتاريخ بغداد ١٢: ٢٨٢).
(٢) طُرًّا: جميعاً.
(٣) ليست في الأصل ويتطلّبها المعنى.
(٤) النوى: البعد. والقتاد: الشوك.
(٥) مُخْلِق: متلفٌ.
(٦) السَّرمد: الدائم الذي لا يزول.

أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول: [الكامل]

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخَاءِ فَإِنَّنَا ... نَغْدو وَنَسْري فِي إخاءٍ تَالِدِ[1]
أَوْ يَخْتَلِفْ مَاءُ الوِصَالِ فَمَاؤُنَا ... عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ واحِدِ
أَوْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَنَا ... أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ الوَالِدِ

[اتّهامه بأنه يسرق معاني الشعراء]

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبيّ قال: كنا في حَلْقة دِعْبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذُها. فقال له رجل في مجلسه: وأيّ شيء من ذلك، أعزّكَ اللَّهُ؟ قال: قولي: [الطويل]

وَإِنَّ امْرأً أَسْدَى إِلَيَّ بِشَافِعٍ ... إِلَيْهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لأَحْمَقُ
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الحَوَائِجِ إِنَّهُ ... يَصُونُكَ عَنْ مَكْروهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال: [الكامل]

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ ... وَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤالِهِ
وَإذا امْرؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنيعَةً ... مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبتَ قَبَحكَ الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلغَه. فغضب دِعبل وانصرف.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مَرْثيته التي أولها:

* أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا *

وقوله: [الكامل]

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ ... وَجِبَاهِهِمْ فَضْلاً عَنِ الأَقْدَامِ

---

(١) أكدى: خاب ولم ينفع. والمُطَّرَف: الجديد المستحدَث. والتالد: القديم.

لكفتاه.

أخبرني عَمّي قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عُمارة بن عَقِيل عندنا يوماً، فسمع مُؤَدِّباً كان لولد أخي يُروِّيهم قصيدة أبي تمام:

* الحَقُّ أبلَجُ والسُّيوفُ عَوارِ *[1]

فلما بلغ إلى قوله: [الكامل]

سُودُ اللِّبَاسِ كَأَنَّما نَسَجَتْ لَهُمْ ... أَيْدِي السَّمُوم مَدَارِعاً مِنْ قَارِ[2]

بَكَرُوا وَأَسْرَوا في مُتُونِ ضَوامِرٍ ... قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبَطِ النَّجارِ

لا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ ... أَبَداً عَلَى سَفَرٍ مِنَ الأَسْفَارِ

فقال عُمارة: لله دَرّه! ما يعتمد معنى إلاّ أصابَ أحسنه، كأنه موقوف عليه.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتَّكَلْتُ في مكاتبتي قَطُّ إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام: [الطويل]

فَإِنْ بَاشَرَ الإِصْحَارَ فَالبِيضُ والقَنَا ... قِرَاهُ وَأَحْواضُ المَنَايَا مَنَاهِلُهُ[3]

وَإِنْ يَبنِ حِيطاناً عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ... أُولئِكَ عُقَّالاتُهُ لا مَعَاقِلُهُ[4]

وَإِلاَّ فَأَعْلِمْهُ بِأَنَّكَ سَاخِطٌ ... عَلَيْهِ، فَإِنَّ الخَوْفَ لا شَكَّ قاتِلُهُ

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يَعقلهم يعتقلهم». قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اختُرِم وما استمتع بخاطره، ولا نزحَ رَكِيَّ فِكره، حتى انقطع رِشَاءُ[5] عمره.

أخبرني محمّد قال: حدّثني أبو الحسين بن السخيّ قال: حدّثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت عَمّي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراءُ الكلامِ رَعِيَّة لإحسانِكَ.

(١) الأبلج: الواضح.
(٢) السَّموم: الريح الحارّة. والقار: الزفت.
(٣) الإصحار: البروز إلى الصحراء.
(٤) عُقَّالات: القيود.
(٥) الرَّكِيّ: البئر. والرِّشاء: الحبل الذي يُستقى عليه من البئر.

أخبرني محمد قال: حدّثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزديّ، وكان يتعصّبُ لأبي تمام: أنشدت دِعبلَ بن عليّ شعراً لأبي تمام ولم أُعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعلّهُ سرقه!

[الشعراء يتكسّبون بعد موته ويتقاسمون نصيبه]

أخبرني محمد قال: حَدَّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال: ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

أخبرني عَمّي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظنُّ أيضاً جحظةَ حَدَّثنا به، قالوا: حَدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

لما قَدِمَ أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً، وستسمعوني. فلما دخل على عبد الله أنشده: [الطويل]

هُنَّ عَوادي يُوسُفَ وصَوَاحِبُهْ ... فعزْماً فقِدماً أدركَ السُّؤْلَ طَالِبُهْ

فلما بلغ إلى قوله:

وقَلقلَ نَأْيٌ مِنْ خراسانَ جَأْشَها ... فَقُلْتُ اطْمَئِنّي أَنْصرُ الرَّوْضِ عَازِبُهْ(١)

ورَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ... على مِثْلِها والـلَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لأمْرٍ عليهم أن تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وليس عَليهِمْ أن تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزّه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ: لي عند الأمير أعزّه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاءً عن قوله للأمير. فقال له: بل نضعفها لك، ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغِلمان، ولم يمسَّ منها شيئاً، فوجَدَ عليه عبد الله وقال: يترفّعُ عن بِرّي، ويتهاونُ بما أكرمته به. فلم يبلغْ ما أراده منه بعد ذلك.

---

(١) العازب: العشب البعيد المطلَب.

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمّي، عن الحَزَنْبَل، عن سعيد بن جابر الكرخيّ، عن أبيه:

أنه حضر أبا دلَف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمام الطائيّ، وقد أنشده قصيدته:

علـى مِـثْـلِـهـا مِـنْ أرْبُـعٍ ومَـلاعِـبِ أُذِيلَـتْ مَصُوناتُ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ

فلما بلغ إلى قوله: [الطويل]

إذا افْـتَـخَـرَتْ يَـوْماً تَـمـيـمٌ بِـقَـوسِـهـا وَزادَتْ عـلـى مـا وَطَّـدَتْ مِـنْ مَـنَـاقِـبِ
فـأنْـتُـمْ بِـذِي قَـارٍ أَمَـالَـتْ سُـيُـوفُـكـم عُروشَ الَّذين اسْتُرْهِنوا قَوْسَ حَاجِبِ
مَـحَـاسِـنُ مِـنْ مَـجْـدٍ مَـتَـى تَـقْـرُنـوا بِـهـا مَـحَـاسِـنَ أَقْـوامٍ تَـكُـنْ كَـالـمَـعـايِـبِ

فقال أبو دُلَف: يا معشرَ ربيعة، ما مُدِحْتُمْ بمثل هذا الشِّعر قَطُّ؛ فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم[1] يَرْمون بها إليه. فقال أبو دُلَف: قد قبلَها وأعاركم لبْسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تَمِّم القصيدة يا أبا تمام. فتمَّمها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذِرنا، فشكره وقام لِيُقَبِّلَ يَدَه، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حُميد:

[الطويل]

ومـا مَـاتَ حتى مَاتَ مَـضْـرِبُ سَـيـفِـهِ مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليه القَنَا السُّمْرُ
وقـد كَـانَ فَـوْتُ الـمَـوْتِ سَـهْـلاً فَـرَدَّهُ إلـيـه الـحِـفَـاظُ الـمُـرُّ والـخُـلُـقُ الـوَعْـرُ
فَـأثْـبَـتَ فـي مُـسْـتَـنْـقَـعِ الـمَـوْتِ رِجْـلَـهُ وقالَ لها مِنْ تَحْتِ أَخْمُصِكِ الحَشْرُ
غَـدَا غَـدْوَةً والـحَـمْـدُ نَـسْـجُ رِدَائِـهِ فـلـم يَـنْـصَـرِفْ إلاَّ وأكْـفَـانُـهُ الأجْـرُ
كَـأَنَّ بَـنِـي نَـبْـهَـانَ يَـوْمَ مُـصَـابِـهِ نُـجُـومُ سَـمَـاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهـا البَـدْرُ
يُـعَـزَّوْن عَـنْ ثَـاوٍ يُـعَـزَّى بِـه الـعُـلَـى وَيَبْكِي عليه البَأسُ والجُودُ والشِّعْرُ

فأنشده إياها، فقال: والله لَوَدِدْتُ أنها فِيَّ. فقال: بل أُفدِّي الأميرَ بنفسي وأهلي، وأكونُ المقدّم، فقال: إنه لم يمتْ مَنْ رُثِيَ بهذا الشعر، أو مثله.

(١) المطارف: جمع المطرف: رداء من خَزّ.

[مدحه لأحمد بن أبي دواد ولخالد الشيباني]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: حدّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطَيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار. قال: لم أفعلْ ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

[الكامل]

فاشْدُدْ بِهَارُونَ الخِلافَةَ إنَّهُ سَكَنٌ لِوَحْشَتِها ودَارُ قَرَارِ
ولَقَدْ عَلِمْتُ بِأنَّ ذلكَ مِعْصَمٌ مَا كُنْتَ تَتْرُكُهُ بِغَيْرِ سِوَارِ

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حَدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأَرْمينيةَ، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره، وقال: تكون العشرة الآلافِ موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجلْ، وإن أردت المُقامَ عندنا فلك الحِبَاءُ والبِرُّ. قال: بل أَشخصُ. فودّعه؛ ومضت أيام، وركب خالد يتصيّدُ، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب، وغلام يغنيه بالطُّنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال:

[المنسرح]

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ
ما مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ كَأنَّ لي قُدْرَةً كَمَقْدرَتِكْ
تُنْفِقُ في اليَوْمِ بِالهِبَاتِ وفي السَّـ ـاعَةِ ما تَجْتَنِيهِ في سَنَتِكْ
فلستُ أدري مِنْ أينَ تنفقُ لو لا أنَّ رَبِّي يَمُدُّ في هِبَتِكْ

فأمر له بعشرة أُخرى، فأخذها وخرج.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حَدّثنا عون بن محمد الكنديّ قال: حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ، وكان يكتب للحسن بن رجاء؛ قال: قَدِمَ أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره،

(١) الزُّكرة: وعاء من جلد يُستخدم للخمر.

فاستنشده الحسن ـ ونحن على نبيذ ـ قصيدته اللاّميّة التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله: [الكامل]

أنا مَنْ عَرَفْتَ فإنْ عَرَتْكَ جَهَالَةٌ فَأنا المُقِيمُ قِيَامَةَ العُذَّالِ
عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حَتَّى تَوَهَّمَ أنَّهُنَّ لَيَالِ

فقال الحسن: والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم. فلما قال:

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلمكانِ العَالِي(١)
وَتَنظَّرِي حَيْثُ الرِّكَابُ يَنُصُّها مُحْيِي القَرِيضِ إلى مُمِيتِ المَالِ(٢)

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتَها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لَمَّا بَلَغْنَا سَاحَةَ الحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَمَلُّكُ دَوْلَةِ الإمْحَالِ
بَسَطَ الرَّجَاءُ لنا بِرغْمِ نَوَائِبٍ كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الآمَالِ
أَغْلَى عَذَارَى الشِّعْرِ إنَّ مُهُورَها عِنْدَ الكِرَامِ وإن رَخُصْنَ غَوَالِ
تَرِدُ الظُّنُونُ بنا على تَصْدِيقِها ويُحَكِّمُ الآمَالَ في الأمْوالِ
أَضْحَى سَمِيُّ أبيكَ فيكَ مُصَدَّقاً بِأَجَلِّ فَائِدَةٍ وَأَيْمَنِ فَالِ
وَرَأيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَيْبَها لِي ثُمّ جُدْتَ وما انْتَظَرْتَ سُؤالِي(٣)
كَالغَيْثِ ليس له ـ أُرِيدَ غمامه أو لم يُرَدْ ـ بُدٌّ من التَّهْطَالِ

فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جَلَوت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحُورِ العِينِ لَكانَ قيامُكَ لها أوفى مُهورها.

قال محمد بن سعد: وأقام شهرين، فأخذ على يَدِي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

أخبرني الصُّولي قال: حدّثني عون بن محمد قال: شهدتُ دِعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضعُ من(٤) أبي تمام، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ، فقال: يا

(١) عَطَلُ الرجل: خلوّه.
(٢) يَنُصُّها: يسوقها، والقريض: الشعر.
(٣) السَّيب: العطاء.
(٤) يضع منه: يحطّ من قدره.

أبا عليّ، اسمعْ مني ما قاله، فإن أنت رضيته فذاك؛ وإلاّ وافقتكَ على ما تَذُمُّه منه، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه، ثم أنشده قوله: [الطويل]

أَمَا إنَّهُ لَولا الخَلِيطُ المُودِّعُ ... وَمَغْنًى عَفَا منه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ

فلما بلغ إلى قوله:

هو السَّيْلُ إنْ وَاجَهْتَهُ انقَدْتَ طَوْعَهُ ... وتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتْبَعُ
ولم أرَ نَفْعاً عندَ مَنْ لَيسَ ضَائِراً ... ولم أرَ ضُرّاً عِنْدَ من ليس يَنْفَعُ
مَعَادُ الوَرَى بعدَ المَمَاتِ وسَيْبُهُ ... مَعَادٌ لنا قَبْلَ المَمَاتِ ومَرجِعُ

فقال له دِعبل: لم ندفعْ فضلَ هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتُقَدِّمونه على مَنْ يتقدّمه، وتنسبُون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صَيَّرَكَ له عائباً، وعليه عاتباً.

أخبرني الصُّولي قال: حدّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال:

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده: [الكامل]

أَسْقَى دِيَارَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ... وغَدَتْ عَلَيهِمْ نضرةٌ ونَعِيمُ[1]

قال: فلمّا فرغَ أمر له بألفِ دينار، وخلَع عليه خِلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غَد كتب إليه أبو تمام: [الخفيف]

قد كَسَانا مِنْ كُسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ ... مُكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمٍ وَمَسَاعِ[2]
حُلَّةً سَابِرِيَّةً ورِدَاءً ... كَسَحا القَيْضِ أو رِدَاءِ الشُّجَاعِ[3]
كالسَّرابِ الرَّقْرَاقِ في الحُسْنِ إلاَّ ... أنَّه ليسَ مِثْلَهُ في الخِدَاعِ
قَصَبِيًّا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحُ مَتْنَيْـ ... ـهِ بِأَمْرٍ مِنَ الهُبُوبِ مُطَاعِ[4]
رَجَفَاناً كَأنَّهُ الدَّهْرَ منه ... كَبِدُ الصَّبِّ أو حَشَا المُرْتَاعِ
لازماً ما يَلِيهِ تَحْسِبُهُ جُزْ ... ءاً مِنَ المَتْنَتَيْنِ والأضلاعِ
يَطْرُدُ اليَومَ ذا الهَجِيرِ ولو شُبِّـ ... ـهَ في حَرِّهِ بيومِ الوَدَاعِ

(١) الهزيم: الرعد، أو هو المطر المندفع.
(٢) الخِرْق: الفتى الظريف الكريم.
(٣) السابريّة: الجيّدة. وسحا القيض: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة. والشجاع: الحيَّة.
(٤) الثياب القصبيّة: الناعمة المصنوعة من الكتان. وتسترجف: تحرّك.

خِلْعَةً من أَغَرَّ أَرْوَعَ رَحْبِ الصَّـ ـدرِ رَحْبِ الفؤادِ رَحْبِ الذِّراع[١]
سوفَ أكسوكَ ما يُعَفِّي عَلَيها مِنْ ثَنَاءٍ كالبُرْدِ بُرْدِ الصَّنَاعِ[٢]
حسنُ هَاتِيكَ في العيونِ وَهَذَا حُسْنُهُ في القُلوبِ والأَسْمَاعِ

فقال محمد بن الهيثم: ومَنْ لا يُعْطِي على هذا مُلكه؟ والله لا بَقِيَ في داري ثوب إلاّ دفعتُه إلى أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عَمّي الفضل قال: لمَّا شَخَص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلَد، وقد كان عبد الله وجَدَ عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثرَ عليه ألف دينار فلم يَمْسَسْهَا بيده، ترفّعاً عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفَّعُ عَلَيّ. فكان يبعث إليه بالشّيء بعد الشّيء كالقوت، فقال أبو تمام: [البسيط]

لم يَبْقَ لِلصَّيْفِ لا رَسْمٌ ولا طَلَلُ ولا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسى ولا سَمَلُ
عَدْلٌ مِنَ الدَّمْعِ أَنْ يُبْكَى المَصِيفُ كَمَا يُبْكَى الشَّبَابُ ويُبْكَى اللّهْوُ والغَزَلُ
يُمْنَى الزَّمَانِ انْقَضَى مَعْرُوفُها وغَدَتْ يُسْرَاهُ وَهْيَ لَنَا مِنْ بَعْدِها بَدَلُ

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله، وتضمَّن له ما يُحِبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيّها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكنْ له ما له من النَّباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شَرِّهِ والتَّوَقِّي لِذَمِّهِ، يُوجِبُ على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن، وفراقه السَّكَن، وقد قصدكَ عاقداً بك أملَه، مُعملاً إليك رِكابه، متعباً فيك فِكره وجسمه، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حَقِّه، حتى ينصرف راضياً؛ ولو لم يأتِ بفائدة، ولا سُمِعَ فيك منه ما سُمِع إلاّ قوله: [البسيط]

تَقُولُ في قُومَسٍ صَحْبِي وقد أَخَذَتْ مِنَّا السُّرى وخُطَا المُهْرِيَّة القُودِ[٣]
أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا فقلتُ كَلاَّ ولَكِنْ مَطْلِعَ الجُودِ

(١) الأغرّ: الكريم. والأروع: الشهم.
(٢) الصَّنَاع: المرأة الحاذقة.
(٣) قومس: كورة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان (معجم البلدان ٤ : ٤١٤).
والمهريّة: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن. والقُود من الخيل: التي تُقاد ولا تُركَب.

فقال له عبد الله: لقد نَبَّهْتَ فأحسنتَ، وشفعتَ فَلَطُفتَ، وعاتبْتَ فأوْجَعْتَ، ولكَ ولأبي تمام العُتْبى، اُدْعُهُ يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفَي دينار، وما يحمله من الظَّهْرِ، وخلَعَ عليه خِلْعةً تامّةً من ثيابه، وأمر ببذْرَقته(١) إلى آخر عمله.

[سرقة معاني القصائد]

أخبرني جَحْظة قال: حَدّثني ميمون بن هارون قال: مرَّ أبو تمام بِمُخَنَّث يقول لآخر: جِئتكَ أمسِ فاُحتجبتَ عَنّي، فقال له: السَّماء إذا احتجبتْ بِالغيم رُجِّيَ خَيْرُها. فتبيّنْتُ في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، لِيُضَمِّنَه في شعره، فما لَبِثنا إلاَّ أياماً حتى أُنْشِدتُ قوله: [البسيط]

لیسَ الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لي أَمَلاً ... إنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عَمّي، قال: حَدَّثنا محمد بن موسى بن حماد قال: كنا عند دِعْبل أنا والقاسم، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشأم، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سَروق للشعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المِخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يَمرُّها على يده، حتى أخرج منها دَفتراً، فقال: اقرأوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مُكْنِف أبو سُلْمى، من ولد زهير بن أبي سُلْمى، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها: [الكامل]

إنَّ الضُّرَاطَ بـه تَصَاعَدَ جدُّكُمْ ... فَتَعَاظَمُوا ضَرْطاً بَنِي القَعْقَاعِ

قال: ثمَّ مات ذُفافة بعد ذلك، فرثاه فقال: [الطويل]

أَبَعْدَ أبي العباس يُسْتَعْذَبُ الدَّهْرُ ... فما بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ حُسْنٌ ولا عُذْرُ
ألاَ أيُّها النَّاعِي ذُفَافَةَ والنَّدَى ... تَعَسْتَ وشَلَّتْ مِنْ أَنَامِلِكَ العَشْرُ
أَتَنْعَى لَنَا مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ صَخْرَةً ... تَفَلَّقَ عنها مِنْ جِبالِ العِدَا الصَّخْرُ
إذا مَا أَبُو العَبَّاسِ خَلَّى مَكَانَهُ ... فلا حَمَلَتْ أُنْثَى ولا نَالَهَا طُهْرُ
ولا أَمْطَرَتْ أَرْضاً سَمَاءٌ ولا جَرَتْ ... نُجُومٌ ولا لَذَّتْ لِشَارِبِها الخَمْرُ
كَأَنَّ بَنِي القَعْقَاعِ يَوْمَ مُصَابِهِ ... نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ من بَيْنِها البَدْرُ

(١) البذرقة: الحراسة.

تُـوُفِّـيَـتِ الآمَـالُ يَـوْمَ وَفَـاتِـهِ وأَصْبَحَ في شُغْلٍ عَنِ السَّفْرِ السَّفْرُ

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته: [الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأَمْرُ ولَيْسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ مَاؤُها عُذْرُ

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال:

كان أبو تمام يعشقُ غلاماً خَزَرياً للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشّقُ غلاماً روميّاً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقتَ[(١)] إلى الروم، لنركُضَنَّ إلى الخَزَر. فقال له الحسن: لو شئتَ حكّمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أُشبهك بداودﷺ، وأُشَبِّه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارِض لا حقيقة له، فقال أبو تمام: [البسيط]

أَبَا عَلِيٍّ لِصَرفِ الدَّهْرِ والغِيَرِ ولِلْحَوَادِثِ والأَيَّامِ والعِبَرِ
أَذْكَرْتَنِي أَمْرَ داودٍ وَكُنْتُ فتًى مُصَرَّفَ القَلْبِ في الأَهْوَاءِ والفِكَرِ
أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ لَمْ يَحظَ المَغيبُ بِهَا وَأَنْتَ مُضْطَرِبُ الأَحْشَاءِ لِلْقَمَرِ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَتْرُكِ السَّيْرَ الحثيثَ إلى جَآذِرِ الرُّومِ أَعْنَقْنَا إلى الخَزَرِ
إِنَّ القَطُوبَ لَهُ مِنِّي مَحَلٌّ هَوًى يَحلُّ مني مَحَلَّ السَّمْعِ والبَصَرِ[(٢)]
وَرُبَّ أَمْنَعَ مِنْهُ جَانِباً وحِمًى أَمْسَى وتِكَّتُهُ مِنِّي عَلَى خَطَرِ
جَرَّدْتُ فيه جُنُودَ العَزْمِ فَانْكَشَفَتْ مِنْهُ غَيَابَتُهَا عَنْ نَيكَةٍ هَدَرِ[(٣)]
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ كُلُّ جَارِحَةٍ ما فيكَ مِنْ طَمَحَانِ الأَيْرِ والنَّظَرِ
أَنْتَ المُقِيمُ فَمَا تَغْدُو رَوَاحِلُهُ وَأَيْرُهُ أَبَداً مِنْهُ عَلَى سَفَرِ

أخبرني الصولِي قال: حدّثني عبد الله بن الحسين قال: حدّثني وهب بن سعيد قال: جاء دِعبِل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا عليّ، أنت الذي تطعُنُ على من يقول: [الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ[(٤)]

(١) الإعناق: ضرب من السير الواسع.
(٢) القَطوب: النفور.
(٣) الهدر: الباطل.
(٤) الوشائع: جمع الوشيع: رسم الثوب.

وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجدِ

فصاح دعبل: أحسن والله! وجعل يردّد «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال: رحمه الله! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا: حَدَّثنا محمد بن يزيد قال: مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

[الكامل]

مَا زَالَتِ الأَيَّامُ تُخْبِرُ سَائِلاً أَنْ سَوفَ تَفْجَعُ مُسْهِلاً أو عَاقِلا[1]
مَجْدٌ تَأَوَّبَ طَارِقاً حَتَّى إذا قُلْنَا أَقَامَ الدَّهْرَ أَصْبَحَ رَاحِلاَ[2]
نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلاَّ يَطْلُعا إلاَّ ٱرْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفِلا
إنَّ الفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِراً لأجلُ منها بالرِّياض ذَوابِلا
لَوْ يُنْسَبَانِ لَكَانَ هذا غَارِباً لِلْمَكْرُمَاتِ وكانَ هذا كَاهِلا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ المَخَايِلِ مِنْهُمَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلا
لَغَدا سكُونُهُمَا حِجًى وَصِباهُمَا حِلْماً وَتِلْكَ الأَرْيَحِيَّةُ نَائِلا
إنَّ الهِلالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدراً كَامِلاً

صوت

[مجزوء الرجز]

بِاللَّهِ قُلْ يَا طَلَلُ أَهْلُكَ مَاذا فَعَلُوا
فَإِنَّ قَلْبِي حَذِرٌ مِنْ أَنْ يَبِينُوا وَجِلُ

عروضه من الرجز، الشعر لأبي الشيص، والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ، خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية، ومن رواية الهِشاميّ.

---

(١) المُسْهِل: النازل في السهل، والعاقل: الممتنع في الجبل.
(٢) تأوّب: ورد ليلاً.

أخبار أبي الشِّيص ونسبه

[توفي ١٩٦ هـ/ ٨١١ م]

[اسمه ونسبه ومنزلته الشعرية ومراثيه في عينيه]

ٱسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نَهشل - وقيل: ٱبن بُهَيْش - ٱبن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزيمة بن سَلامان بن أسلَم بن أفصَى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقيا ابن عامر بن ثعلبة.

وكان أبو الشيص لقباً غلب عليه. وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عَمّ دِعبل بن عليّ بن رَزين لَحّاً[1]. وكان أبو الشِّيص من شعراء عصره، متوسِّط المحلّ فيهم، غير نبيهِ الذِّكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس، فخملَ وٱنقطع إلى عُقْبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ، وكان أميراً على الرَّقَّة، فمدحه بأكثر شعره، فقلما يُرْوَى له في غيره. وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره.

ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً، صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس.

وعَمِيَ أبو الشِّيص في آخر عمره، وله مَراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.

وكان سريعَ الهاجس جداً، فيما ذُكِرَ عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامريّ قال له: مَن أخبرك أنه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشيص فكذّبه. والله لَكانَ الشِّعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصفِ الناس للشَّراب، وأمدحهم للملوك.

وهكذا ذكر ٱبن المعتزّ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سَرَف شديد.

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال: قال لي أبو الشِّيص: لمَّا مدحتُ عُقْبَةَ بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها: [الكامل]

---

(١) لحاً: أي لاصق النَّسَب.

لا تُـنْـكِـرِي صَـدِّي وَلاَ إعْـرَاضِـي ... لَـيْـسَ الـمُـقِـلُّ عَـنِ الـزَّمـانِ بِـرَاضِ

أمر بأن تُعَدَّ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: أنشدت إبراهيم بن المهديّ أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثي بها عينه، يقول فيها: [الوافر]

إذا مَـا مَـاتَ بَـعْـضُـكَ فَـابْـكِ بَـعْـضـاً ... فَـإِنَّ الـبَـعْـضَ مِـنْ بَـعْـضٍ قَـرِيـبُ

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه: [المنسرح]

يـا نَـفْـسُ بَـكِّـي بِـأَدْمُـعٍ هُـتُـنِ ... ووَاكِـفٍ كَـالـجُـمَـانِ فِـي سَـنَـنِ[1]

عَـلَـى دَلـيـلـي وَقَـائِـدي وَيَـدِي ... وَنُـورِ وَجْـهِـي وَسَـائِـسِ الـبـدنِ

أَبْـكِـي عَـلَـيْـهَـا بِـهَـا مَـخَـافَـةَ أَنْ ... تَـقْـرُنَـنِـي والـظَّـلامَ فِـي قَـرَنِ

وقال أبو هِفّان: حدّثني دِعبل أن امرأة لقيت أبا الشِّيص، فقالت: يا أبا الشيص: عَمِيتَ بعدِي. فقال: قَبَحَكِ الله، دعوتني باللّقب، وعيَّرتني بالضَّرر!

[مجلسٌ شعري]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن عُبيد قال: اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبل في مجلس، فقالوا: لِيُنشدْ كلٌّ واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أُخبرْكم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت: [الطويل]

إذا مَـا عَـلَـتْ مِـنَّـا ذُؤَابَـةُ واحِـدٍ ... وَإِنْ كَـانَ ذا حِلـم دَعَـتْـهُ إلى الـجَـهْـلِ

هَلِ الـعَـيْـشُ إلاَّ أَنْ تَـروحَ مَـعَ الـصِّـبـا ... وَتَـغـدو صَـرِيـعَ الـكَّـأْسِ وَالأَعْـيُـنِ الـنُّـجْـلِ

قال: وبهذا البيت لُقِّبَ «صريع الغواني»، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقتَ.

ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا عليّ قد أنشدت: [البسيط]

لا تَـبْـكِ لَـيـلـى وَلاَ تَـطْـرَبْ إلـى هِـنْـدِ ... واشْرَبْ عَلَى الوَرْدِ مِنْ حَمْراءَ كَالْوَرْدِ

---

(١) هَتَنَ الدمعُ: سال وجرى قطرةً قطرة. والواكف: الشديد الانصباب.

تَسْقيكَ مِنْ عَيْنِها خَمْراً وَمِنْ يَدِهَا   خَمْراً فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا عليّ، فكأني بك تنشد قولك:

[الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةً سَلَكَا   لاَ أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمَ مِنْ رَجُلٍ   ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فقال: صدقتَ. ثم أقبل على أبي الشِّيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، فكأنّي بك وقد أنشدتَ قولك: [الكامل]

لا تُنْكِرِي صَدِّي وَلاَ إِعْرَاضِي   لَيْسَ المُقِلُّ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضِ

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أُنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته! قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

صوت

[الكامل]

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي   مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلاَ مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ المَلاَمَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً   حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهمْ   إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمُ

وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِراً   مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ

لِعَرِيب في هذا الشعر لحنان: ثقيلٌ أوّل، ورمل.

قال: فقال أبو نواس، أحسنتَ والله وجَوَّدْتَ! وحياتِكَ لأسرقنَّ هذا المعنى منك، ثم لأغلبنكَ عليه، فيشتهرُ ما أقول، ويموت ما قلت. قال: فسرق قوله:

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي   مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلاَ مُتَقَدَّمُ

سَرَقاً خَفِياً، فقال في الخصيب: [الطويل]

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلاَ حَلَّ دُونَهُ   وَلكِنْ يَسِيرُ الجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص.

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بِخطّه: حدّثني الحسن بن سعد قال: حدّثني رَزِين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال: كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتَك المُخزية. قال: وما هي؟ قال: الضادية. فما

خطر بخَلَدي قولك: [الكامل]

* لَيْسَ المُقِلُّ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضِ *

إلاَّ أخزيتُك استحساناً لها. فإنَّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقَّفها وعَلَّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عُدِّي ليَ المُخْزِيات، فتعدُّ قوله: [البسيط]

أَغَرُّ أَرْوَعُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا

وما أشبَهها من شعره. قال أبو الشِّيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مُفَصَّل، ولكني أُكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:. [الكامل]

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلاَ مُتَقَدَّمُ

الأبيات المذكورة. فقال له أبو نواس: قد أردت صرفَك عنها، فأبيتَ أن تَخَلَّى عن سَلَبك، أو تُدْرَك في هَرِبك. قال: بل أقولُ في طلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نَمَطاً خُسْرُوانياً مُذْهَباً حسناً، فكيف تركت:

فـي رِداءٍ مِنَ الصَّفيحِ صَقِيلٍ وَقَميصٍ مِنَ الحَديدِ مُذَالِ

قال: تركته كما ترك مختار الدُّرّتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، وزُيِّن في ناظره.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبي قال:

حدّثني من قال لأبي نواس: مَنْ أشعر طبقات المُحْدَثين؟ قال: الذي يقول: [المتقارب]

يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا أَحْوَرٌ يَدَاهُ مِنَ الكَأْسِ مَخْضُوبَتَانِ

والشعرُ لأبي الشِّيص.

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوكبيّ قال: حدّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال: حدّثني أبي قال: دخل أبو الشِّيص على أبي دُلَف وهو يُلاعبُ خادماً له بالشِّطْرَنج، فقيل له: يا أبا الشّيص، سَلْ هذا الخادم أن يَحُلَّ أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أَعَزَّهُ اللَّهُ أحقُّ بمسألته. قال: قد سألته، فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئاً. فقال: [السريع]

وَشَادِنٍ كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدُّجَى فـي الفَرْقِ مِنْهُ المِسْكُ مَذْرورُ
يُحَاذِرُ العَيْنَ عَلَى صَدْرِهِ فَالجَيْبُ مِنْهُ الدَّهْرَ مَزْرورُ

فقال أبو دُلَف: وحياتي لقد أحسنتَ! وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسنَ كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت! فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أُخرى.

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفِيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزِيّ قال: حدّثني علي بن سعد بن إياس الشيبانيّ قال: تَعشَّقَ أبو الشِّيص محمدُ بن رَزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، وينفق عليها في منزل الرجل، حتى أتلف مالاً كثيراً. فلما كُفَّ بصره، وأخفق، جعل إذا جاء إلى مَولى الجارية حَجَبَهُ، ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشِّيص، فشكا إليّ وَجْدَهُ بالجارية، واستخفاف مولاها به، وسألني المُضِيَّ معه إليه، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذِنَ، فدخلت أنا وأبو الشِّيص، فعاتبته في أمره، وعَظَّمت عليه حقّه، وخوّفْته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكلُ في بيته، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صُراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أتراه قد مات لعنه الله! فما زلنا ندقُّ الباب حتى فُتِحَ لنا، فإذا هو قد حَسَر كُمَّيْهِ وبيده سوط، وقال لنا: ادخلا، فدخلنا، وإنما حمله على الإذن لنا الفَرَقُ مني، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها، فاستمعنا عليه واطلعنا، فإذا هي مشدودة على سُلَّم وهو يضربها أشدّ ضرب، وهي تصرخ، وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرِقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك: [السريع]

يَــقُــولُ والــسَّــوطُ عَــلَــى كَــفِّــهِ ... قَــدْ حَــزَّ فِــي جِــلْــدَتِــهَــا حَــزَّا
وَهِــيَ عَــلَــى الــسُّــلَّــمِ مَــشْــدُودَةٌ ... «وَأَنْــتِ أَيْــضــاً فَــاسْــرِقِــي الْــخُــبْــزَا»

قال: وجعل أبو الشيص يُردِّدهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادراً، وقال له: أنشدني البيتين اللّذين قلتهما، فدافعه، فحلف أنه لا بُدَّ من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، وقد أسعفتك بما تحبّ، فإن شاع هذان البيتان فضحتَني، فقل له يقطع هذا، ولا يُسْمِعْهما، وله علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، ووافقته عليه، فلم يزلْ يتردَّد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال: حَدَّثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال: كانت لأبي الشّيص جارية سوداء اسمها تِبْر، وكان يتعشّقها، وفيها يقول: [المنسرح]

لَــمْ تُــنْــصِــفِــي يــا سَــمِــيَّــةَ الــذَّهَــبِ ... تُــتْــلِــفُ نَــفْــسِــي وَأَنْــتِ فِــي لَــعِــبِ

يَـابْـنَـةَ عَـمِّ الـمِـسـكِ الـذَّكِـيِّ وَمَـنْ لَـوْلاَكِ لَـمْ يُـتـخَـذْ وَلَـمْ يَـطِـبِ
ناسَبَكِ المِسْكُ في السَّوادِ وَفِي الرِّ يـحِ فَـأَكْـرِمْ بِـذَاكَ مِـنْ نَـسَـبِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا عليّ بن محمد النّوفليّ، عن عمّه قال: كان أبو الشِّيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ، وهما حينئذ مُملقان، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه، واستغنى، فجفا أبا الشيص، وتغير له، فكتب إليه: [البسيط]

الـحَـمْـدُ لـلَّـهِ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـن عَـلَـى قُـربِـي وَبُـعْـدِكَ مِـنِّـي يَـابْـنَ إسْـحَـاقِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُجْدِي عَلَيَّ وَقَدْ أَصْـبَـحْـتَ رَبَّ دنـانـيـرٍ وَأَوْراقِ
تُـجْـدي عَـلَـيَّ إذا مَـا قِـيـلَ مَـنْ راقِ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ عِنْدَ المَوْتِ بالسَّاقِ
يَـوْمٌ لَـعَـمْـري تَـهُـمُّ الـنَّـاسَ أَنـفُـسـهـمْ وَلَـيْـسَ يَـنْـفَـعُ فـيـه رُقـيـةُ الـرَّاقِـي

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدَّثنا أبو العباس بن الفرات قال: كنت أسيرُ مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل، وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هَرِم، وما فيهم إلاّ نِضْوٌ[1]، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان فقال: كأنهم والله صِفة أبي الشيص حيث يقول: [الكامل]

أَكَـلَ الـوَجـيـفُ لُـحُـومَـهـا وَلُـحُـومَـهُـمْ فَـأَتَـوكَ أَنْـقَـاضـاً عَـلَـى أَنْـقَـاضِ[2]

[مقتله]

وقال عبد الله بن المعتز: حدّثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش: كان أبو الشِّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ يشرب، فلما ثَمِلَ نام عنده، ثم انتبهَ في بعض اللّيل، فذهب يَدِبُّ إلى خادم له، فوجأه[3] بسكّين، فقال له: ويحكَ! قتلتني والله! وما أُحبّ والله أن أفتضحَ أَني قُتِلت في مثل هذا، ولا تُفْضَح أنت بي، ولكن خذ دَسْتيجة[4] فاكسِرْها ولَوِّثها بدمي، واجعل زجاجها في الجُرْح، فإذا سُئِلْتَ عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودُفِنَ أبو الشيص، وجزع عُقْبة عليه جزعاً شديداً. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبةَ عن

(١) النِّضو: الحيوان الهزيل.
(٢) الوجيف: ضرب من سير الإبل السريع.
(٣) وجأه: ضربه.
(٤) الدّستيجة: الوعاء الكبير من الزجاج.

خبره، وأنه هو قتله، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يَزَلْ يضربه حتى قتله.

صوت

[الكامل]

هَـلاَّ سَـأَلْـتَ مَـعَـالِـمَ الأَطْـلاَلِ والـرَّسْـمَ بَـعْـدَ تَـقَـادُمِ الأَحْـوَالِ
دِمَـنـاً تَـهِـيـجُ رُسُـومُـهـا بَـعْـدَ الـبِـلَـى طَـرَبـاً وَكَـيْـفَ سُـؤَالُ أَعْـجَـمَ بَـالِ(١)
يَـمْـشِـيـنَ مَـشْـيَ قَـطَـا الـبِـطَـاحِ تَـأَوُّداً قُـبَّ الـبُـطُـون رَوَاجِـحَ الأَكْـفَـالِ
مِـنْ كُـلِّ آنِـسَـةِ الـحَـدِيـثِ حَـيِـيَّـةٍ لَـيْـسَـتْ بِـفَـاحِـشَـةٍ ولا مِـتْـفَـالِ
أَقْـصَـى مَـذَاهِـبِـهَـا إذا لاقَـيْـتَـهـا فـي الـشَّـهْـرِ بَـيْـنَ أَسِـرَّةٍ وحِـجَـالِ(٢)
وَتَـكُـونُ رِيـقَـتُـهـا إذا نَـبَّـهْـتَـهـا كـالـشَّـهْـدِ أَوْ كَـسُـلافَـةِ الـجِـرْيَـالِ

المِتفال: المنتنة الريح. والجريال فيما قيل: اسم للون الخمر. وقيل: بل هو من أسمائها. والدليل على أنه لونها قول الأعشى: [الكامل]

وسُـلافَـةٍ مِـمَّـا تُـعَـتِّـقُ بَـابِـلٌ كَـدَمِ الـذَّبـيـحِ سَـلَبْـتُـهـا جِرْيـالَـهـا

قال سِماك بن حَرْب: حَدّثني يُحَنَّسُ بن مَتَّى الحِيريّ راوية الأعشى أنه سأله عن هذا البيت فقال: سلبتها لونها: شربتها حمراء، وبُلْتها بيضاء.

الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد، والغناء لابن سُرَيج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة. وذكر المكيّ أنه لابن مُحرز. وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل. وهذا الشعر من قصيدة للكميت، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب، يقول فيها:

[الكامل]

قَـادَ الـجُـيُـوشَ لِـخَـمْـسَ عَـشْـرةَ حِـجَّـةً ولِـدَاتُـهُ عَـنْ ذَاكَ فِـي أَشْـغَـالِ
قَـعَـدَتْ بِـهِـمْ هِـمّـاتُـهُـمْ وسَـمَـتْ بِـهِ هِـمَـمُ الـمُـلُـوكِ وَسَـوْرَةُ الأَبْـطَـالِ
فَـكَـأَنَّـمَـا عَـاشَ الـمُـهَـلَّـبُ بَـيْـنَـهُـمْ بِـأَغَـرَّ قَـاسَ مِـثَـالَـهُ بِـمِـثَـالِ
فـي كَـفِّـه قَـصَـبـاتُ كُـلِّ مُـقَـلَّـدٍ يَـوْمَ الـرِّهَـانِ وَفَـوْزُ كُـلِّ نِـضَـالِ
وَمَـتَـى أَزِنْـكَ بِـمَـعْـشَـرٍ وأَزِنْـهُـمُ بِـكَ أُلْـفِ وَزْنَـكَ أَرْجَـحَ الأَثْـقَـالِ

تمّ الجزء السادس عشر من كتاب الأغاني

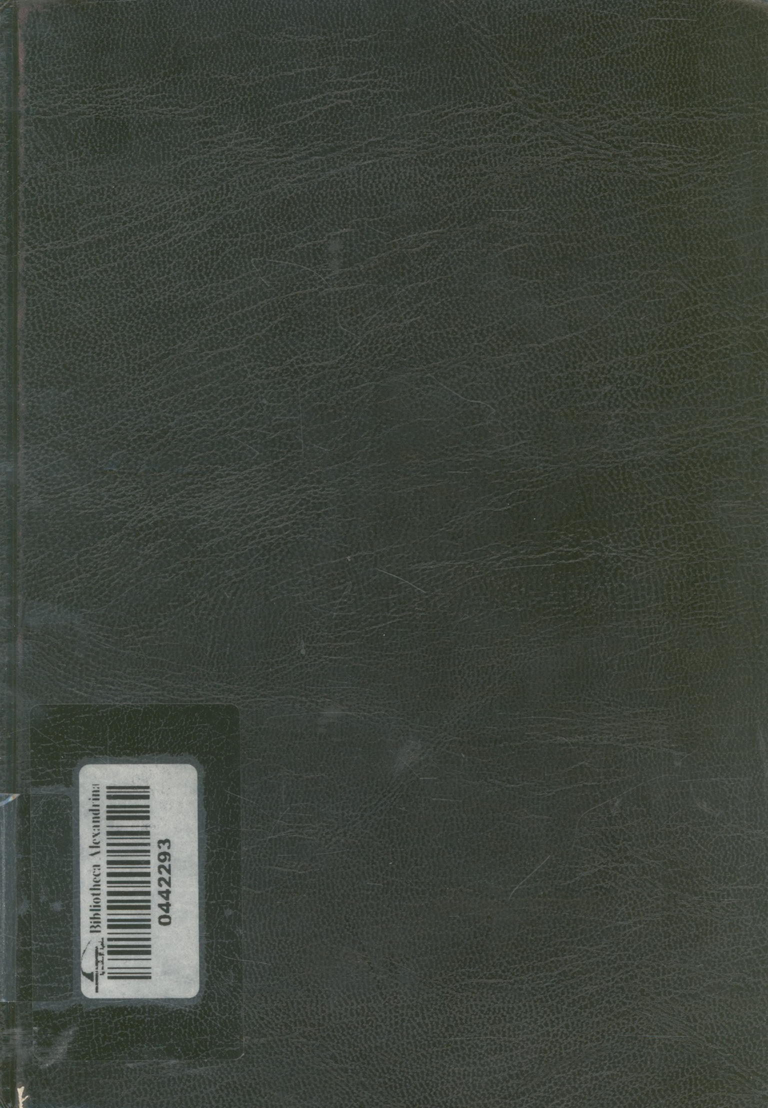
ويليه الجزء السابع عشر وأوله أخبار الكميت ونسبة

---

(١) الأعجم: الذي لا يتكلّم.

(٢) الحِجال: جمع الحجلة: بيت مثل القبّة يصنع للعروس يُزَيّن بالثياب والستور والأسرّة.

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
04442293